موسوعة

الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين

الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء

المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة

إعداد وتحقيق

مركز العلوم والثقافة الإسلامية

قسم إحياء التراث الإسلامي

الجزء الخامس

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان

موسوعة

الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين

الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء (ع)

المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة (ع)

إعداد وتحقيق

مركز العلوم والثقافة الإسلامية

قسم إحياء التراث الإسلامي

الجزء الخامس

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

الطبعة الثانية

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان - ص.ب: ٢٤/١٢٤ - تلفاكس: ٥٤١٤٣١ هاتف: ٥٤٤٨٠٥

Email: al_mouarekh@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

شبكة الفكر
alfeker.net

دليل
موسوعة الإمام شرف الدين

المدخل

حياة الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين العاملي

الجزء الأوّل

١ . المراجعات

الجزء الثاني

٢ . النصّ والاجتهاد

الجزء الثالث

٣ . الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة

٤ . أبوهريرة

الجزء الرابع

٥ . كلمة حول الرؤية

٦ . فلسفة الميثاق والولاية

٧ . أجوبة مسائل موسى جار الله

٨ . إلى المجمع العلمي العربي بدمشق

٩ . مسائل فقهيّة

الجزء الخامس

١٠ . الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام

١١ . المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة

الجزء السادس

١٢ . تأليف الأُمّة

١٣ . مودّة أهل البيت عليهم السلام فريضة

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يصطفي من عباده ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة، والصلاة والسلام على نبيّه وخاتم رسله، سيّد الأنبياء محمّد المختار وآله البررة الخيرة.

يعتبر الإمام السيّد عبدالحسين شرف‌الدين الموسوي من الرجال النوادر، وقد امتاز بمواهب شتّى جعلته نجماً لامعاً ومناراً شامخاً في العالم الإسلامي والعربي، وبذكائه ونبوغه المتميّز أصبح فذّاً بين الأفذاذ، وعَلَماً من أعلام الصحوة الإسلاميّة، حيث دان لعظمة هذا الشخص الكبير القاصي والداني، والمخالف والمؤالف.

لقد شاءت الإرادة الإلهيّة أن تكون هذه الشخصية نجم هداية يطلّ في سماء العالم الإسلامي والعربي أكثر من نصف قرن، ليُهتدى به من ظلمات الجهل والحيرة إلى رحاب العلم والمعرفة، وليُنتهل من علومه ما ينقشع به رين القلوب، وما يزيح غشاوة الشكوك، وما ينير بنور اليقين والهداية.

وإذا أردنا أن نعطي لهذه الشخصية البارزة منزلتها التأريخية، جعلناها في عِداد سلسلة أئمّة وروّاد إصلاح الفكر الديني النيّرين الذين برزوا وتألّقوا عبر العصور والأزمنة بأفكارهم الغنيّة المعطاءة للمسلمين إلى زماننا الحاضر.

فقد كان ـ رضوان اللّه تعالى عليه ـ في سيرته الذاتية وعمله الرسالي الذي اضطلع به طوال حياته المباركة قدوة مثلى للإسلاميّين، فهو لم يكن إلّا انعكاساً لظلال أئمّة أهل البيت عليهم‌السلام في جهادهم وجهودهم، ومدافعاً صلباً لإمامتهم ومنهجهم، حيث أخذ على

نفسه ما أخذ آباؤه الكرام عليهم السلام على أنفسهم من النهوض بأعباء الدعوة لهذا الدين الحنيف، والقيام بما يفرضه الواجب الديني من التبليغ بمبادئ الإسلام المحمّدي، ومنهج أهل البيت عليهم السلام السويّ.

كان الإمام شرف‌الدين في جميع الميادين ـ السياسية والاجتماعية والعلمية ـ فارسها المجلّى وبطلها المغوار. وحسبك شاهداً على بطولته آثاره الخالدة التي تركها غرّة في جبين الدهر، لا تفتأ تشعّ بالخير والجمال والنور، تحمل مشعل الهداية ساطعاً وهّاجاً في غمرة من الظلمات الحالكة، تضيء السبيل لمن ضلّ السبيل، وتكشف غياهب الشكوك والشبهات عن آفاق الحقّ والحقيقة، وتهدي التائهين إلى موطن الأمن والسلامة.

وقد جرى على يراعه من الدلائل والبيّنات والبراهين النيّرات ما يجعله آية من آيات اللّه الباهرة، وينبوعاً من ينابيعه الزاخرة، التي لا ينضب معينها الفيّاض ما بقي في دنيا الإسلام اسم للإسلام، وما بقي على وجه هذه البسيطة ظلّ للحقّ والإيمان.

وممّا يؤسف له أشدّ الأسف أنّ قسماً كبيراً من كتبه ومؤلّفاته ضاع ونهب وأحرق في هجوم الاستعمار الفرنسي على بيته ومكتبته.

غير أنّ المتبقّى من كتبه ـ كان ولا يزال ـ فيه كلّ الخير والبركة والعطاء المستمرّ للأجيال التي عاصرته وتلته حتّى يومنا هذا.

ولو أردنا أن نقف عند أهمّ هذه الآثار الموجودة ـ التي طبع أكثرها في حياته أو بعد وفاته ـ لقلنا إنّ ما أنتجه يراع هذا المفكّر العبقري هو مشروع فكريّ كامل، وإنجاز رساليّ جدير بالاهتمام.

مشروع تحقيق موسوعة الإمام شرف الدين

وحيث إنّ هذه الآثار كانت متفرّقة بعيدة عن أيدي القرّاء والباحثين من جهة، وقد طبع كثير منها مراراً طبعات غير محقّقة، مليئة بالأخطاء المطبعية من جهة أُخرى، مضافاً إلى التغييرات غير المناسبة التي قام بها بعض الناشرين على النصوص الأصلية، لهذا قرّر قسم إحياء التراث الإسلامي التابع لمركز العلوم والثقافة الإسلاميّة نشر مؤلّفات وتراث السيّد

عبدالحسين شرف الدين الموسوي الذي واكب حياة جيلنا الإسلامي المعاصر ، وذلك ضمن مشروعه الكبير المتضمّن نشر تراث العلماء الذين عاشوا في قرننا الحالي والقرون القريبة التي سبقته والذين أسّسوا حركة الإصلاح في الفكر الديني المعاصر .

ولا يخفى على علمائنا الأجلّة وقرّائنا الكرام أهميّة وفائدة نشر هذه الموسوعات الشاملة المحقّقة والمنقّحة واللائقة بمنزلة هؤلاء الروّاد ، حيث سيتمّ نشر المؤلّفات الكاملة لكلّ شخصيّةٍ علميّة في مجموعةٍ متكاملة، تسهم في الاطّلاع على آرائه العلمية ، وعلى ما جدّ في زمنه من المسائل التي لم يبتلِ بها السلف الصالح ، وعلى مدى تطوّر العلوم الاسلاميّة في ذلك الحين ، وفوائد أُخرى كثيرة لا تخفى على الباحثين في حقل التراث الإسلامي .

عملنا

منذ أن تقرّر البدء بمشروع تحقيق تراث الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين وكتبه كلّها في موسوعة شاملة، قام قسم إحياء التراث الإسلامي بالخطوات التالية:

١. جمع كتب السيّد شرف الدين المطبوعة، ولا سيّما الطبعة الأُولى لكلّ كتاب والطبعات التي تتميّز فيها طبعة عن طبعة، مثل: الطبعة الأُولى للمراجعات والطبعة الثانية لها، حيث تختلف الطبعة الثانية عن الطبعة الأُولى في بعض الألفاظ والعبارات، وكلّها من ثمرات قلم السيّد شرف الدين وفي حياته.

ويدخل ضمن مهمّة جمع كتبه ﷺ التواصل مع أُسرة السيّد شرف الدين في لبنان حيث حصلنا منهم على بعض صور المخطوطات وبعض الإجازات التي لم تنشر من قبل، فضلاً عن المقالات المنشورة في مجلّة العرفان وغيرها.

ومع هذا فقد بقي من آثار السيّد شرف الدين ما لم تصل أيدينا إليه، وسنظلّ نتابع آثاره وتراثه وننشر ونصحّح ما استجدّ لنضيفه في الطبعات القادمة إن شاء اللّه تعالى .

٢. تخريج الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال والأشعار وما يحتاج إلى توثيقه.

٣. ضبط النصّ مع ملاحظة بعض الاختلافات فيما بين طبعات الكتاب الواحد، ووضع

أصحّها في المتن، وشرح الألفاظ الصعبة، وتوزيع النصّ، وتنظيم الهوامش.

٤. مقابلة المطبوع على الحاسوب مع النسخة المقوّمة النصّ.

٥. المراجعة الفنّيّة، حيث يلاحظ المطبوع على الحاسوب فنّيّاً من حيث حجم المكتوب في الصفحة، ووضع رؤوس الأسطر، والعناوين داخل المتن، والعناوين في أعلى الصفحات، وما شاكل ذلك.

٦. المراجعة النهائيّة، حيث يلاحظ الكتاب ملاحظة كاملة من كافّة النواحي: الإملائيّة والنحويّة واللغويّة، وما شاكل ذلك.

٧. الفهرسة حيث تفهرس الآيات والأحاديث والأقوال والأشعار والأمثال والأعلام والأماكن وما إلى ذلك، والفهارس كما هو معروف مفاتيح الكتب.

٨. علّق السيّد شرف الدين على كلّ كتاب من كتبه بتعليقة يفسّر بها الغامض ويفصّل المجمل ويزيد في الاستشهاد بالحديث وغيره. وعلّق محقّقونا ما حصل من عمليّة التحقيق والتخريج وما قاموا به من توضيح وبيان.

وقد جعلنا متن الكتاب أوّلاً ووضعنا تحته خطّاً قصيراً، وتحت ذلك الخطّ تعليقة المؤلّف ﵀، ثمّ جعلنا خطّاً أطول تحته هوامش محقّقينا. وميّزنا أعداد علامة هوامش شرف الدين بأن جعلناها بين قوسين، بينما أوردنا أعداد علامة هوامش المحقّق خالية من الأقواس.

هذا وقد رتّبنا الآثار الخالدة للإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين على حسب الأهمّيّة موضوعاً ودراسة ومنهجاً في مجلّدات، بحيث يشتمل بعضها على كتابين أو أكثر، ومجلّد يختصّ بالمقالات، ومجلّد يختصّ بالخطب والرسائل والإجازات والتقريظات.

وفرزنا كتاب بغية الراغبين عمّا ألحقه به ولده العلّامة السيّد عبداللّه شرف الدين، فجعلنا الأصل مجلّداً، والملحقات مجلّداً مستقلّاً، وجعلنا مجلّداً خاصّاً بالفهارس.

شكر وثناء

يتقدّم مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة إلى جميع الإخوة المحقّقين في قسم إحياء التراث الإسلامي المشاركين في تحقيق وإخراج موسوعة الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين

بالشكر الوافر والثناء الجميل، مثمّناً جهودهم الكبيرة الجادّة، وداعياً الله عزّ وجلّ لهم بالتوفيق، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

وقد رتّبنا أسماء الذوات العاملين في هذه الموسوعة حسب حروف المعجم، وذكرنا أمام اسم كلّ منهم العمل الذي قام به:

مجموعة المحقّقين:

أسعد الطيّب، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، المراجعة النهائيّة.

إسماعيل بيك المندلاوي، عضو لجنة المقابلة.

جواد الفاضل، عضو مساعد في تخريج بغية الراغبين.

السيّد حسين بني هاشمي، تحقيق كلمة حول الرؤية، عضو لجنة المقابلة.

السيّد خليل العابديني، سكرتير اللجنة المشرفة على التحقيق، تحقيق إلى المجمع العلمي العربي بدمشق، وفلسفة الميثاق والولاية.

رضا المختاري، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، وله شرف اقتراح تحقيق موسوعة شرف الدين.

طه النجفي، عضو لجنة المقابلة.

عباس المحمّدي، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، وتحقيق قسم من النصّ والاجتهاد، وتقويم وتكميل تخريجات بغية الراغبين وملحقاته.

السيّد عبدالرسول الحامدي، عضو لجنة المقابلة.

عبدالرسول المهاجر، عضو مساعد في مقابلة النصّ وتخريج بغية الراغبين.

علي أوسط الناطقي، مسؤول قسم إحياء التراث الإسلامي، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، تحقيق قسم من النصّ والاجتهاد، والمراجعة النهائيّة، والمراجعة الفنيّة.

السيّد علي الحسيني لرگاني، عضو مساعد للمحقّقين.

غلامحسين قيصريه‌ها، تحقيق الفصول المهمة، وأجوبة مسائل موسى جار الله.

غلام رضا النقي، تحقيق المجالس الفاخرة، والمساعد في تخريج المجاهيل.

محمّد إسلامي پناه، تحقيق ثبت الأثبات.

محمّد الباقري، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق.

محمّدحسين المولوي، تحقيق مختصر الكلام في مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام.

محمّد الربّاني رحمه الله، تحقيق مسائل فقهيّة.

محمّد مهدي عادل‌نيا، المساعد في تخريج بغية الراغبين.

منصور الإبراهيمي، تحقيق المراجعات، وأبوهريرة، والكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، وقسم من المجالس الفاخرة، وستّة من المقالات.

السيّد مهدي الطباطبائي، المسؤول السابق لقسم إحياء التراث الإسلامي، وعضو اللجنة المشرفة على التحقيق.

السيّد منذر الحكيم، عضو اللجنة المشرفة على التحقيق، تأليف حياة الإمام شرف الدين، ومقدّمات التحقيق لأجزاء الموسوعة. وله شرف التواصل مع أُسرة شرف الدين.

نعمة الله الجليلي، تحقيق خمسة من المقالات، والمراجعة النهائيّة.

ولي الله القرباني، عضو لجنة المقابلة.

محسن النوروزي، المراجعة الفنّيّة قبل النشر.

مجموعة الإخراج الفنّي:

رمضان علي القرباني ومحمّد الخازن.

مسك الختام

ويسرّنا هنا أن نتقدّم بالشكر الجزيل والثناء الخالص إلى كافّة مسؤولي مكتب الإعلام الإسلامي خصوصاً مدير المكتب فضيلة السيّد حسن الربّاني، ومسؤولي مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة خصوصاً فضيلة الشيخ محمّدتقي السبحاني وفضيلة الشيخ محمدحسن النجفي، حيث جعلوا هذا العمل المبارك نصب أعينهم، ومنحوه جهدهم ووقتهم وقدّموا ما في وسعهم من عون منذ كان بذرة صغيرة أيّام اقتراحه ليكون أحد أعمال قسم إحياء التراث الإسلامي إلى أن أصبح بحمد اللّه تعالى شجرة باسقة وارفة الظلال تسرّ الناظرين.

مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة

قسم إحياء التراث الإسلامي

مقدّمة التحقيق

ويشتمل على بابين:

الباب الأوّل: في رحاب الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام

الباب الثاني: في رحاب المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة عليهم السلام

الباب الأوّل
في رحاب
الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام

من هي الزهراء؟

الزهراء فاطمة ابنة سيّد المرسلين، وزوجة سيّد الوصيّين، والوعاء الطاهر للسلالة النبويّة الطاهرة، والمنبت الطيّب لعترة خاتم النبيّين محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله أجمعين.

ولدت من أكرم أبوين عرفهما التاريخ البشري الذي غيّر وجهه ودفع به إلى أشواط بعيدة من التكامل والتسامي، أبوها خاتم المرسلين الهداة، وزوجها سيّد الذادة الحماة، وولداها السبطان العظيمان سيّدا شباب أهل الجنّة.

النشأة الفريدة

نشأت في دار يغمرها حنان أبيها، الذي حمل عبء النبوّة، وتحمّل في سبيله ما تنوء عن حمله الجبال.

وكابدت محن تبليغ الرسالة الإلهيّة منذ نعومة أظفارها، وعاشت أيّام الحصار في شِعب أبي طالب عليه السلام وهي في عمر الزهور.

وتحمّلت المصاب بفقد اُمّها وعمّ أبيها في عام الحزن، وبقيت سلوة لأبيها وهو يتحمّل

أعباء الرسالة، ويواجه أعتى تيّار ضدّها في أُمّ القرى التي كانت تحتضن بيت التوحيد الأوّل، والمسجد الحرام الذي جعله الله قياماً للناس.

الهجرة إلى الله ورسوله

وهاجرت وجاهدت في سبيل الله أعظم ما يمكن أن تقوم به امرأة مثلها، من جهاد قبل اقترانها بأسد الله وأسد رسوله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وبعد اقترانها، وقبل رحيل أبيها وبعد رحيله، وقدّمت أروع مثل للزوجة النموذج وللأُمّ القدوة، وفي أحرج لحظات التاريخ الإسلامي الحاسمة، حيث كانت هذه الرسالة تختطّ طريق النهوض بالإنسانيّة الخاملة، وفي ظرف جاهلي يرفض إنسانيّة المرأة وينأى بها في مهوى سحيق.

زهرة الرسالة الخالدة

والزهراء هي زهرة هذه الرسالة الخالدة، ووليدة النهضة الإلهيّة الفريدة، استطاعت أن تضرب بسلوكها ومواقفها في كلّ الأصعدة مثلاً أعلى لقيم الخير والكمال والجمال.

وقد أثبتت الزهراء فاطمة للعالم الإنساني أجمع أنّها الإنسان الكامل الذي استطاع أن يحمل طابع الأنوثة، فيكون آية إلهيّة كبرى، ودليلاً ناصعاً على قدرة الله البالغه وإبداعه العظيم، حين أعطى للزهراء أوفر حظّ من العظمة، وأوفى نصيب من الإنسانيّة المزدانة بالجلال والجمال والبهاء.

رمز التضحية والبطولة

لقد كانت الزهراء رمز البطولة والجهاد والصبر والتضحية والإيثار، حتّى استشهدت في سبيل رسالة والدها العظيم، فكانت مصداقاً بارزاً للعطاء الإلهي، ونموذجاً حقيقيّاً للبذل والعطاء الكبير، الذي أمر الله نبيّه به حين قال له: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[1].

---

١. سورة الكوثر (١٠٨): ١ ـ ٣.

كوثر الرسالة المعطاء

فهي كوثر الرسالة بحقّ؛ لأنّها وبعلها كانت القربان الأكبر، الذي قدّمه رسول الله للإنسانيّة لخدمة الإنسانيّة، والارتقاء بها إلى حيث القمم الشامخة من الكمال والجمال والبهاء الربوبي، الذي يحيط بالإنسان ويسمو به إلى سدرة المنتهى.

وهكذا فاقت الزهراء في كلّ معاني الخير سادات الأوّلين والآخرين، وكانت بحقّ سيّدة نساء العالمين. وهي مع كلّ ذلك حوراء إنسيّة تتقدّم بكمالاتها على سائر أفراد هذه الأُمّة.

لماذا تفضيل الزهراء؟

كما قرّر ذلك الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي في كتابه: «الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام»، الذي كتبه جواباً لمن سأله عن دليل معتبر عند خصوم الإماميّة في تفضيل الزهراء على سائر هذه الأُمّة.

وقد أسّس جوابه على محكمات الكتاب البيّنات، مثل آية المباهلة، وآية التطهير، وآية المودّة في القربى، وآيات الأبرار، وهي تشكّل أدلّة قاطعة تظلّ أعناق الورى لها خاضعة، حين يعرف من ألمّ بتاريخ المسلمين أنّ آية المباهلة نزلت في أهل البيت، بما فيهم فاطمة البتول بشكلٍ خاصّ لا في سواهم، وهي تنوّه بشأنهم الكبير، وتؤثرهم على مَن سواهم من أهل السوابق والفضل، بنحوٍ لم يسبق إلى شأنهم سابق، ولا يلحقهم فيه لاحق. وهكذا آية التطهير والمودّة في القربى وآيات الأبرار، التي هي غيض من فيض، ونموذج من آيات كثيرة نزلت بشأنهم، أو أشارت إلى فضلهم، واعتبرتهم هم السابقون الأوّلون والمقرّبون، وأنّ سبقهم إلى الفضائل لا ينحصر في السبق الزمني، بل تعدّاه إلى التفاضل في امتلاك القيم التي لخّصها الذكر الحكيم في التقوى، حين فضّل بها أصحاب التقوى قائلاً: **﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**[1].

---

١. الحجرات (٤٩): ١٣.

وقد تصدّى الإمام شرف الدين للإجابة على أسئلة واستفسارات شتّى، خلال بيانه الوافي وحججه الناطقة بالحقّ والصدق، في مجال تفضيل أهل الفضل من أهل البيت عليهم السلام على من سواهم من المسلمين والعالمين.

فصول الكتاب ومنهجه

قسّم المؤلّف طاب ثراه كتابه إلى أربعة فصول، يتكفّل كلّ فصل البحث عن آية واحدة من حيث دلالتها على تفضيل أهل البيت عليهم السلام، بما فيهم الزهراء فاطمة على مَن سواهم من الاُمّة.

وقد تعرّض في الفصل الثاني لآية التطهير، واستدلّ بها على عصمة الخمسة الطيّبة: الرسول، وابن عمّه وزوج ابنته، والسبطين، والزهراء عليهم السلام.

كما استدلّ بها على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وردّ في الفصل الثالث على من صرف آية المودّة عن آل محمّد صلى الله عليه وآله.

وفي الفصل الرابع عمد إلى بيان الأسرار الواردة في آيات الأبرار.

وختم بحثه باستنتاج أمر مهمّ من الآيات، إليك نصّه:

> رأيت هداك الله إذا أمعنت النظر فيما ألقاه عزّ وجلّ إليهم في ختام البشائر العظيمة والمواهب الجسيمة تتمثّل لك عناية الله بهم قالباً حسّيّاً، وترى كرامتهم عليهم وسموّ منزلتهم لديه شخصيّاً مرئيّاً، وذلك أنّه ختم كلامه في شؤونهم بقوله مخاطباً لهم عليهم السلام ﴿إنّ هذا﴾ الإكرام العظيم الذي فصّلناه في محكم الذكر تفصيلاً وفضّلناكم على العالمين تفضيلاً ﴿كان لكم جزاءً﴾ على أعمالكم المقدّسة، التي استوجبت هذا الإكرام الجسيم، لم تنالوه بشفاعة أو بمجرّد فضل، وإنّما أخذتموه بالاستحقاق والعدل ﴿وكان سعيكم﴾ مع ذلك كلّه ﴿مشكوراً﴾ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[1].

---

١. اُنظر في خاتمة الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام.

ثمّ استنتج من تقابل الكافرين والأبرار: أنّ الكافرين الظالمين هم أعداء الأبرار، وأنّ الله قد أنذرهم بما أعدّ لهم من السلاسل والأغلال والعذاب الأليم وسعير النار.

وجعل هذا الاستنتاج غير خافٍ على الخوّاضين لعباب الذكر الحكيم، الغوّاصين على كلّ سرّ من أسراره، المتدبّرين لمواقع كلمه.

فضل الزهراء في مصادر الجمهور

ثمّ أنهى رسالته بالنصوص النبويّة الاثني عشر حول فضل الزهراء فاطمة من مصادر أهل السنّة، وقد جاء في بعضها تصريح النبيّ ﷺ لابنته بفضلها على سائر نساء العالمين حين قال لها: «ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين» أو «سيّدة نساء المؤمنين» أو «سيّدة هذه الأُمّة» حسب ما جاء في البخاري وغيره من المصادر المعتمدة لدى القوم.

على أنّ بعض العلماء من المحقّقين وجمهور المسلمين قد ذهبوا إلى تفضيلها، ولا سيّما بعض المعاصرين كالنبهاني حيث قال:

> وصرّح بأفضليّتها على سائر النساء حتّى على السيّدة مريم كثير من العلماء المحقّقين، ومنهم التقيّ السبكي، والجلال السيوطي، والبدر الزركشي، والتقي المقريزي، كما نقل عن المناوي رأيه هذا عن جمع من الخلف والسلف[1].
>
> وقد سئل عن مثل ذلك ابن أبي داود فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة منّي»، ولا أعدل ببضعة رسول الله أحداً.

ثمّ أشار المؤلّف إلى أنّه قد استقصى في كتابه سبيل المؤمنين كلّ ما يدلّ على تفضيلهم عليهم السلام. غير أنّ هذا الكتاب هو واحد من نفائسه المفقودة أو المسلوبة أو المحروقة في هجمة الفرنسيّين على داره ونهبهم لمكتبته حين كان مطارداً من قبل هذه القوّات المستعمرة.

---

١. الشرف المؤبّد: ٥٩.

طبعات الكتاب

وفرغ المؤلّف من تأليف هذه الرسالة الخاصّة بالزهراء عليها السلام في صور مستهلّ رجب سنة ١٣٤٦هـ. وطبعه لأوّل مرّة في صيدا سنة ١٣٤٧هـ، كما طبع في النجف سنة ١٣٨٦هـ، وتكرّر طبعه في بغداد وقم وطهران وبيروت طبعات عديدة تكشف عن الاهتمام به، كما تُرجم أكثر من ترجمة بالفارسيّة والأورديّة.

شكر وتقدير

وقد تمّ تحقيق هذا الكتاب المبارك الخاصّ بتفضيل الزهراء وأهل بيت الرسالة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ ضمن موسوعة الإمام شرف الدين، في قسم إحياء التراث الإسلامي، تصدّى لمهمّة تحقيقه الشيخ منصور الإبراهيمي راجين له ولسائر الإخوة الذين ساهموا في إخراجه بالشكل المطلوب كمال التوفيق وقبول الجهد من العليّ القدير.

الباب الثاني
في رحاب
المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة عليهم السلام

الإمام شرف الدين والإصلاح الديني

ذكر بعض من ترجم للإمام شرف الدين عدّة مجالات للإصلاح كانت مورد اهتمام الإمام شرف الدين، وخصّ بالذكر منها الإصلاح الديني، وأراد به الإصلاح الذي بادر إليه في مجالي إصلاح مجالس العزاء والمنبر الحسيني الذي اهتمّ به أتباع أهل البيت عليهم السلام منذ قرون بعيدة.

ومصطلح الإصلاح الديني يشير إلى تعرّض الدين لنوع من التحريف والفساد فأصبح بحاجة إلى إصلاح.

والإصلاح الحقيقي قد بادر إليه الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين رفض تقديم البيعة لطاغية زمانه، وآثر الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، فقال مصرّحاً بأنّه إنّما رفض البيعة ونهض بالأُمّة لطلب الإصلاح في أُمّة جدّه. فالأُمّة قد انحرفت عن الدين الحقّ. والدين خالد وبريء من العيب والانحراف عن رسالة الدين ومنهجه وأهدافه وقِيَمه وأحكامه.

فالأُمّة في مسيرتها كانت قد انحرفت فاحتاجت إلى الإصلاح، فالإصلاح الديني بمعنى

إرجاع الأُمّة إلى جادّة الصواب في مجال تديّنها، أو التزامها بالدين، أو توعيتها على الدين الحقّ هو أمر صحيح.

وحين أرجع الحسين عليه‌السلام أُمّة جدّه إلى رؤية رساليّة صائبة من خلال مسيرته وسلوكه الرسالي، ونهض بها فقاومت الاستغلال الأُموي، واستمرّت في مناهضة الاستغلال العبّاسي، كان قد شقّ طريقاً ثوريّاً داخل جسم الأُمّة، وأحدث تيّاراً نهضويّاً يحمل مشعل المبادرة ضدّ الانحراف، وقد استمرّ شيعة أهل البيت في حملهم لهذا المشعل النهضوي طيلة القرون السالفة، من خلال إحيائهم لذكرى الحسين عليه‌السلام ونهضته واستشهاده وإيثاره للعزّ على الذلّ.

وكانت تجاربهم الثوريّة تحفظهم من الانهيار والذوبان في المسيرة العامّة للمجتمع الإسلامي، التي اعتادت على معايشة الحكّام الظالمين، نتيجة انتشار تعليمات وعّاظ السلاطين.

ولكنّ هذا لا يمنع من اختراق هذا الخطّ النهضوي بمقولات، تنتهي بمرور الزمن إلى نوع من التحريف وشعارات ثوريّة تختفي وراءها ثقافة أجنبيّة، تمتدّ إلى هذا القطّاع الثوري بالتدريج، حتّى تمسخ الشعائر وتنحرف بها عن مسيرتها الثوريّة الصحيحة.

وهكذا لمس العلماء والمصلحون نوعاً من التحريف يطال مجالس العزاء التي كانت وقوداً حقيقيّاً للثورات الإسلاميّة ضدّ الطغيان والطغاة. وكان لا بدّ لهم من محاربة البدع والقضاء عليها بشكلٍ سليم.

وممّن أسهم في هذا الميدان علّامتنا السيّد عبد الحسين شرف الدين، ومعاصره العلّامة السيّد محسن الأمين العاملي، حيث كتب الثاني المجالس السنيّة في خمسة أجزاء، وكتب الأوّل منهما المجالس الفاخرة، وقدّم لها بمقدّمة مهمّة تحت عنوان: المقدّمة الزاهرة.

وممّا يؤسف له أنّ كتاب المجالس الفاخرة قد فُقد ضمن النفائس الأُخرى، ولم يبقَ منه إلّا المقدّمة الزاهرة، وشيء ممّا بقي في ذاكرة بعض الخطباء الذين تربّوا على منهج الإمام شرف الدين في هذا الميدان.

المنهج الإصلاحي للإمام شرف الدين

لقد مارس الإمام شرف الدين منهجه التصحيحي ضمن خطوات ومراحل وعلى مستويات شتّى.

المستوى الأوّل: إعداد مادّة تاريخيّة وعلميّة سليمة ونقيّة من الشوائب لخطباء المنبر الحسيني، وقد تكفّل كتاب المجالس الفاخرة بهذا الجانب.

المستوى الثاني: تطبيق المنهج الذي ارتآه للتصحيح من خلال مجالسه ومحاضراته التي كان يلتزم بها بنفسه. إذ كان يرتقي المنبر ويلتزم بما كان قد كتبه وأعدّه لهذه المهمّة.

المستوى الثالث: تربية مجموعة من الخطباء على الالتزام بنهجه في الخطابة والمنبر الحسيني.

وقد نجح الإمام شرف الدين في هذا الجانب حيث استطاع أن يغطّي الساحة الإسلاميّة في المناطق التابعة لأهل البيت عليهم السلام بعطائه الفكري والنهضوي التوحيدي.

وقد طبعت مقدّمة هذا الكتاب في صيدا سنة ١٣٣٢ هـ، ثمّ طبعت بعد حياة المؤلّف رحمه الله في كربلاء والنجف وقم وطهران وبيروت. وأمّا المجالس الفاخرة فكان من مجموعة نفائسه المفقودة في الكارثة التي حلّت في مدينة صور سنة ١٣٣٨. وقد وجد بعد ذلك شذرات من هذا الكتاب، رتّبها المرحوم السيّد علي شرف الدين وطبعت في النجف سنة ١٣٨٦. واستمرّت طبعاته في لبنان وايران وعراق. وهو كتاب جدير بالاهتمام رغم التطوّرات التي حصلت في ميدان الخطابة والمنبر الحسيني.

غير أنّ هذا الكتاب وكتاب المجالس السنيّة لهما دور تأسيسي وريادي في هذا الميدان، لأنّهما قد وفّرا المادّة العلميّة والمحتوى الذي يحتاجه الخطيب دائماً.

ولا أنسى الإشارة إلى جهود خيّرة بذلها جملة من الخطباء خلال هذه العقود الثمانية بعد كتابي المجالس الفاخرة و المجالس السنيّة.

وقد توّجتها أخيراً رسالة الدكتوراه القيّمة للأُستاذ الخطيب الشيخ محمّد باقر المقدسي تحت عنوان: دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلاميّة.

بين «المقدّمة الزاهرة» و «المجالس الفاخرة»

تضمّنت المقدّمة الزاهرة بحثاً تفصيليّاً حول مشروعيّة إقامة المآتم الحسينيّة وإحياء ذكرى أهل البيت عليهم السلام، بدءاً بالأصل العملي الأوّلي على الإباحة، واستدلالاً بالسيرة العمليّة النبويّة وسيرة الصحابة المعاصرين للنبيّ صلى الله عليه وآله، وانتهاءً بالأحاديث الدالّة على الجواز مع بحث موضوعي مقارن. وهو بهذا قد ردّ على مزاعم كلّ الذين حاولوا إبطال المآتم الحسينيّة من خلال إثارة عدم مشروعيّتها.

وهناك اتّجاه حاول تزييف ما عليه الإماميّة من الاهتمام بإثارة العواطف الإنسانيّة واستغلالها في مجال التوعية الدينيّة المستمرّة، وذلك من خلال المنبر الحسيني الحافل بالقيم والمبادئ الرائعة، بزعم أنّ هذه المجالس غير مجدية ولا فائدة فيها، لا سيّما إذا كان هؤلاء المهرّجون ينتقدون الثورة الحسينيّة نفسها ويعتبرونها ثورة فاشلة.

وفي مجال الردّ على هذه المزاعم الواهية أو المثبّطة للعزائم والنفوس الموالية لأهل بيت الرسالة عليهم السلام، قام العلّامة شرف الدين بجهد نوعي بيّن فيه فلسفة المآتم الحسينيّة وأهمّيّة إقامة مجالس العزاء الحسيني، جمع فيه بين العقل والنقل والتاريخ، كما بيّن فيه ضرورة تهذيب وتصحيح كيفيّة إقامة مجالس العزاء، وما ينبغي ذكره في هذه المجالس، ثمّ اهتمّ بشكلٍ مكثّف ببيان فلسفة نهضة الإمام الحسين عليه السلام وعزمه على الاستشهاد في سبيل الله تعالى، مع تدليله على علم الحسين بمصيره واستشهاده، وأنّ هذه النهضة الفريدة بهذه المواصفات كانت ثورة ناجحة غاية النجاح؛ لأنّها قد حقّقت أهدافها بشكلٍ تامّ، ولا زالت ثورة حيّة تدفع الشعوب إلى النهوض ضدّ الظلم والظالمين.

ولنا أن ندعم بيانه بما انتهى إليه الشعب الفلسطيني اليوم في انتفاضته الأخيرة بعد انتكاسات عديدة تبلورت في حركة جبّارة تحاول القضاء على كلّ المخطّطات الصهيونيّة

الغاشمة من خلال شعور هذا الشعب بضرورة التأسّي بثورة الحسين عليه السلام وحركته الاستشهاديّة في مطلع النصف الثاني من القرن الأوّل الهجري ضدّ الطغيان والعتوّ الأموي.

وبحثه هذا بحث علمي عصري يمتاز بالحيويّة والفاعليّة والإحكام.

و المجالس الفاخرة قد تضمّنت جملة من هذه البحوث، ولكن بشكل مجالس تحتوي مادّتها على هذه التوعية التي تتميّز بالاستناد إلى العقل والنقل، كما تتميّز بالأسلوب العصري والعلمي البنّاء، فهي مفيدة للخاصّة والعامّة معاً. ولكلّ منهما أن يستوعب منها ما تسعه قريحته وقابليّاته.

ولكنّ المجالس الفاخرة التي كانت تتضمّن مادّة تستوعب سيرة أهل البيت عليهم السلام لم يبقَ منها إلّا ما يرتبط بعاشوراء والسيرة النبويّة وشيء يسير من سيرة الأئمّة: عليّ والحسن والحسين.

فهي نموذج رائع وفريد في بابه، ولطلّاب هذا الميدان وروّاده التأسّي بمنهجه وطريقته، وعسى أن يقيّض الله له من يقوم بإكماله وإتمامه مع تجديد وإبداع يحتاجه العصر ويتماشى مع حاجات ومتطلّبات المرحلة، كما نلاحظ شيئاً من هذا الإبداع والتطوير في محاولة الدكتور الشيخ المقدسي دام تأييده في كتابه دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلاميّة.

وبعد إتمام تحقيق هذه المجالس وصلت إلينا نسخة محقّقة ومزيدة لما احتوته من مجالس أُخرى كانت قد اشتملت عليها مخطوطة الشيخ ديب بيضون الجبيلي العاملي رحمه الله، قد تمّ تحقيقها على يد الأُستاذ محمّد جواد فخر الدين وتشرّفت مؤسّسة العارف للمطبوعات بطباعتها ونشرها سنة ١٤٢٥ هق.

ومن هنا اضطرّت لإعادة النظر في تحقيق هذا الكتاب، مستفيدة من تجربة الأُستاذ فخر الدين، وحاولت إكمال مشروعها بإضافة ما تميّزت به هذه النسخة الجديدة من مجالس فاخرة.

وأمّا قصّة إضافة هذه المجالس الأُخرى ـ التي تبلغ عددها خمسة عشرة ـ فقد كتبها الأُستاذ فخر الدين كما يلي:

أوّلاً ـ نقل عن الشيخ آغا بزرك الطهراني صورة دقيقة عن كتاب المجالس الفاخرة المطبوع بصيدا سنة ١٣٣٢ بعد أن نهبت مكتبة السيّد سنة ١٣٢٩ هـ.

ثمّ ذكر طبعاته الأُخرى في كربلاء سنة ١٣٧٨ هـ، والنجف سنة ١٣٨٦ هـ بتقديم الدكتور السيّد محمّد بحر العلوم.

ثمّ عرّج على ما عثر عليه صاحب دار العارف الأخ أحمد زكي من نسخة مخطوطة لأحد تلامذة السيّد شرف الدين وهو المرحوم الشيخ ذيب بيضون المتوفّى سنة ١٩٤٩ م حيث وجد في مخطوطته مجالس زائدة على المطبوع في النجف والذي كانت فيه مجالس زائدة على المطبوع في كربلاء وصيداء.

وباعتبار فقدان أصل الكتاب فإنّ كلّ ما يعثر عليه ممّا يحمل أنفاس السيّد ويشبه مجالسه التي نظّمها ورتّبها للقراءة على منهجه الجديد يمكن نسبته إليه على احتمال أو على أكبر من ذلك، لا سيّما إذا كانت هناك إشارة واضحة، كما في مجالس الشيخ ذيب التي كانت تصدّر بقوله:

ومن المجالس الفاخرة للإمام سماحة سيّدنا ومولانا الحجّة السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي دام ظلّه، قال نفعنا الله به[1].

وقد تضمّنت هذه النسخة بفصولها الثلاثة ٥٠ مجلساً سوى المقدّمة الزاهرة وحياة الإمام شرف الدين بقلم الشيخ مرتضى آل ياسين ومقدّمة عن حياة الشيخ ذيب بقلم السيّد محمّد الغروي دام عزّه، وأشار في مقدّمته إلى أنّ الشيخ ذيب كان قد استعار كتاب المجالس الفاخرة من الإمام شرف الدين قبل هجوم المحتلّين الفرنسيّين وإحراق داره ومكتبته، فدوّن الكثير من فصوله ليستفيد منها في مجالسه.

وجزا الله الإمام وتلميذه وكلّ من جدّ واجتهد في هذا المضمار خيراً.

هذا، وقد وجدنا أثناء تحقيقنا لهذه النسخة أنّها احتوت على أخطاء مطبعيّة كثيرة،

---

١. انظر مقدّمة المجالس الفاخرة، طبعة دار العارف، ص ٨.

واشتملت على بعض الإيرادات المهمّة، نشير إلى بعضها:

أ ـ عدم اشتمالها على قسم مهمّ من المقدّمة الزاهرة، التي كتبها العلّامة شرف الدين، وقد أوردناها في الصفحات ٨٠ ـ ١٠٤.

ب ـ قيام مصحّح النسخة بإضافة عناوين إلى المجالس دون الإشارة إلى ذلك، وكانت بعض هذه العناوين غير مناسبة لموضوع المجلس.

ج ـ عدم الإشارة إلى الكثير من مصادر الكتاب والتي ظلّت مجهولة.

د ـ وقوع اشتباه فاحش في عدد المجالس حيث تمّ ترقيم مجلسين بالعدد الثالث والعشرون، وبذلك استمرّ الاشتباه حتّى المجلس الأخير الذي أُشير إليه على أنّه التاسع والأربعون في حين كان الواجب اعتباره المجلس الخمسون.

وفي الختام نتقدّم بخالص الشكر وجميل الثناء إلى جميع الإخوة الأعزّاء في قسم إحياء التراث الإسلامي، خصوصاً السادة غلام رضا النقي، ومنصور الإبراهيمي، حيث تصدّيا معاً لتحقيق هذا الكتاب، سائلين الله عزّ وجلّ إتمام النعمة علينا بتعجيل فرج مولانا الحجّة بن الحسن العسكري عليه‌السلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة
قسم إحياء التراث الإسلامي

(١٠)

الكلمة الغرّاء
في تفضيل الزهراء عليها السلام

تحقيق
منصور الإبراهيمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد، فهذه هي الكلمة الغرّاء في تفضيل فاطمة الزهراء عليها السلام ألقيتها[١] جواباً لمن سألني **فقال**:

هل للإماميّة دليل يعتبره خصومهم في تفضيل فاطمة الزهراء على سائر هذه الأُمّة؟ وما ذلك الدليل والحجّة؟ أرجو التفصيل.

فقلت:

بسم الله الرحمن الرحيم

ذلك الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتّقين، وتلك السنّة لا شبهة فيها لأحدٍ من المسلمين، وناهيك بهما قولاً فصلاً لا يجحده جاحد، وحكماً عدلاً لا يكابره معاند.

فهنا مطلبان:

---

(١) بسم الله، وعلّقت عليها تعليقة تكشف عن دقائق أغراضها ولطيف إشاراتها، وجعلتها تحت الخطّ في أسفل صفحاتها، فلا تفوتنّ الباحثين مطالعتها.

عبدالحسين شرف الدين الموسوي

المطلب الأوّل
في دلالة الكتاب

وحسبك من محكماته البيّنات آية المباهلة[1]، وآية التطهير[2]، وآية المودّة في القربى[3]، وآيات الأبرار[4]، أدلّة قاطعة تظلّ أعناق الورى لها خاضعة.

فهنا فصول أربعة:

الفصل الأوّل: في آية المباهلة

وهي قوله ـ عزّ من قائل ـ في سورة آل عمران: **﴿فَمَنْ حاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِن الْعِلْمِ فَقُلْ تعَالَوْا نَدْعُ اَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكاذِبينَ﴾**[5].

---

١. آل عمران (٣): ٦١.

٢. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٣. الشورى (٤٢): ٢٤.

٤. الإنسان (٧٦): ٥.

٥. آل عمران (٣): ٦١.

أجمع أهل القبلة ـ حتّى الخوارج منهم ـ على أنّ النبيّ ﷺ لم يدع للمباهلة من النساء سوى بضعته الزهراء، ومن الأبناء سوى سبطَيه وريحانَتيه من الدنيا، ومن الأنفس إلّا أخاه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، فهؤلاء أصحاب هذه الآية بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها، لم يشاركهم فيها أحد من العالمين ـ كما هو بديهيّ لكلّ من ألَمّ بتأريخ المسلمين ـ وبهم خاصّة نزلت(١) لا بسواهم.

فباهل النبيّ ﷺ بهم خصومَه من أهل نجران فبهلهم، وأُمّهات المؤمنين ـ رضي الله عنهنّ ـ كنّ حينئذٍ في حجراته ﷺ، فلم يدع واحدةً منهنّ وهنّ بمرأى منه

---

(١) فيما علمه المسلمون وأخرجه المحدّثون[1] عن أعلام الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ. وقد رواه الإمام الواحدي في كتابه أسباب النزول بسنده عن جابر بن عبدالله : ـ وكان الشعبي يفسّر الآية فيقول: ـ أبناءنا: الحسن والحسين، ونساءنا: فاطمة، وأنفسنا: عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ. كذا في صفحة ٧٥ من أسباب النزول للواحدي حيث ذكر فيه آية المباهلة[2].

وأخرج الدارقطني[3] ـ كما في الآية التاسعة من الآيات التي أوردها ابن حجر في الباب ١١، من صواعقه[4] ـ:

أنّ عليّاً يوم الشورى احتجّ على أهلها، فقال لهم: «أُنشدكم بالله، هل فيكم أحد جعله الله نفس النبيّ، وأبناءه أبناءه، ونساءه نساءه غيري؟ قالوا: اللهمّ لا...». الحديث.

---

١. كابن المغازلي في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب: ٢٦٤، ح ٣٦٢، والحسكاني في شواهد التنزيل ١: ١٢٠ ـ ١٢٨، ح ١٦٨ ـ ١٧٦، والسيوطي في الدرّ المنثور ٢: ٢٢٨ ـ ٢٣٢، ذيل الآية ٦١ من سورة آل عمران (٣)، و تاريخ الخلفاء: ١٦٩.

٢. أسباب النزول: ٩٠ ـ ٩١.

٣. حكاه عنه القندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٤٤٧، الباب ٥٩، ح ٢٢٩.

٤. الصواعق المحرقة: ١٥٦، الباب ١، الفصل ١.

ومسمع. ولم يدع صفيّة، وهي شقيقة أبيه وبقيّة أهليه، ولا أُمّ هانئ ذات الشأن والمكانة، وهي كريمة عمّه، الفارج لهمّه، ذي الأيادي التي هي من المسلمين طوق الهوادي، ولا دعا غيرها من عقائل الشرف والمجد، وخفرات عَمرو العلى[١] وشيبة الحمد[٢]، ولا واحدة من نساء الخلفاء الثلاثة، وغيرهم من المهاجرين والأنصار.

كما أنّه لم يدع مع سيّدي شباب أهل الجنّة أحداً من أبناء الهاشميّين، على أنّهم كانوا ﴿إذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾[٣] ولا دعا أحداً من أبناء الصحابة على كثرتهم ووفور فضلهم.

وكذلك لم يدع من الأنفس مع عليّ عمَّه وصِنوَ أبيه العبّاس بن عبدالمطّلب، وهو شيخ الهاشميّين، وأجود القرشيّين، وأعظم الناس (١) عند رسول الله ﷺ، بل لم يدع أحداً من كافّة عشيرته الأقربين، ولا واحداً من السابقين الأوّلين ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ، وكانوا بمرأى من المباهلة ومسمع، ومنتدى من أهلها ومجمع، فلم ينتدب واحداً منهم مع من انتدبهم إليها، بل لم ينتدب أحداً من سائر أهل الأرض بالطول والعرض.

إنّما خرج ﷺ ـ كما نصّ عليه الرازي في تفسيره الكبير[٤] ـ وعليه مرطٌ من شعر أسود وقد احتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ خلفها، يقول: «إذا أنا دعوت فأمّنوا».

---

(١) فيما أخرجه البغوي في ترجمة أبي سفيان بن الحارث عن أبيه، كما في ترجمة العبّاس من الإصابة[٥].

---

١. هو هاشم بن عبد مناف. راجع تاريخ اليعقوبي ١: ٢٩٢.

٢. هو عبدالمطّلب بن هاشم. راجع البداية والنهاية ٢: ٣١٠.

٣. الإنسان (٧٦): ١٩.

٤. التفسير الكبير ٤ (الجزء الثامن): ٩٠، ذيل الآية ٦١ من سورة آل عمران (٣).

٥. مصابيح السنّة ٤: ١٩١، ح ٤٨١٩ ـ ٤٨٢٢؛ الإصابة ٣: ٥١١ ـ ٥١٢، الرقم ٤٥٢٥.

فقال أُسقف نجران:

يا معشر النصارى، إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً لأزاله بها، فلا تباهلوهم فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.(١)

---

(١) وهذا الحديث ذكره المفسّرون[١]، والمحدّثون[٢]، وأهل السير والأخبار[٣]، وكلّ من أرّخ حوادث السنة العاشرة للهجرة، وهي سنة المباهلة.

قال الرازي بعد إيراده في تفسيره الكبير: واعلم أنّ هذه الرواية كالمتّفق على صحّتها بين أهل التفسير والحديث.

قلت: بل هي كالضروريات لديهم، فلا يجهلها منهم أحد. وقد تصدّى سيّدنا الشريف المقدّس ابن طاووس لتفصيل المباهلة ومقدّماتها، وما كان قبلها في نجران من المؤامرات والمناظرات في جلساتهم المتعدّدة المنعقدة لذلك، حين دعاهم سيّد الأنبياء والمرسلين إلى الله تعالى، وأرسل إليهم في ذلك رسله.

فليراجع كتاب الإقبال[٤] من أراد الوقوف على تفصيل تلك الأحوال؛ ليرى أعلام النبوّة، وآيات الإسلام، وبشائر النبيّين بسيّدهم محمّد صلى الله عليه وآله، وبعترته الطيّبين الطاهرين، وبذرّيّته المباركة من بضعته سيّدة نساء العالمين.

وكنت أردت أن أُخرج هذه القضيّة من كتاب الإقبال وأنشرها كرسالة على حدة؛ تعميماً لفوائدها، وتسهيلاً لطالبها، ولعلّ بعض أهل الهمم العالية ممّن حبسوا نفوسهم على نشر الحقّ يسبقني إلى ذلك، فأكون قد فزت بتنبيهه إلى هذه المهمّة إن شاء الله تعالى.

---

١. كالطبري في تفسيره ٣: ٢٩٧ ـ ٢٩٨، ح ٧١٧٦، والزمخشري في الكشّاف ١: ٣٦٨ ـ ٣٦٩، والطبرسي في مجمع البيان ٢: ٤٥٢، ذيل الآية ٦١ من سورة آل عمران (٣)، والسيوطي في الدرّ المنثور ٢: ٢٢٨ ـ ٢٣٢.

٢. راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١: ٣٧٦ ـ ٣٧٧، ذيل الآية ٦١ من سورة آل عمران (٣)؛ الدرّ المنثور ٢: ٢٣٠ ـ ٢٣١.

٣. كابن الأثير في الكامل في التاريخ ١: ١٥٨، حوادث سنة ١٠، والإربلي في كشف الغمّة ١: ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

٤. الإقبال بالأعمال الحسنة ٢: ٣١٠ ـ ٣٥٩، الباب ٦، الفصل ١.

بخٍّ بخٍّ إنّ من وقف على هذه الوهلة العظيمة والروعة الشديدة التي رهقت أعلام نجرانٍ وممثّلي دينها ودنياها(١) بمجرّد أن برز أصحاب الكساء لمباهلتهم، يعلم أنّ لمحمّد وآل محمّد ـ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ـ جلالةً ربّانيّة تغشى الأبصار، ومهابةً روحانيّة يُخفَض لها جناح الذلّ والصغار.

ألا ترى أُولئك الأبطال ـ وهم ستّون فارساً من أُسود الشرى وليوث الوغى ـ كيف ارتعدت فرائصهم قلقاً، وانخلعت قلوبهم فرقاً، ونادى عظيمهم بما سمعت هَلوعاً جزوعاً.

---

(١) إذ وفدوا على رسول الله ﷺ وعليهم ثياب الحبرات جباباً وأردية، يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله: ما رأينا وفداً مثلهم، وكان فيهم أربعة عشر رجلاً هم زعماء القوم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول الأمر في نجران، وهم: «**السيّد**» واسمه الأيهم، وهو إمامهم وصاحب رحلهم.

و«**العاقب**» وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلّا عن رأيه، واسمه عبد المسيح.

و«**أبو حارثة بن علقمة**» وهو أُسقفهم وحبرهم وإمامهم، وصاحب مدارسهم وكنائسهم، وكان قد شرف فيهم، ودرس كتبهم حتّى حسن علمه في دينهم، وكانت ملوك الروم قد شرّفوه وموّلوه، وبنوا له الكنائس؛ لعلمه واجتهاده.

نقل ذلك كلّه الإمام الواحدي في كتابه أسباب النزول[١]، وغير واحد من المفسّرين[٢] وأهل الأخبار[٣].

---

١. أسباب النزول: ٩٠.

٢. كالطبري في تفسيره ٣: ٢٩٧ ـ ٢٩٨، ح ٧١٧٦، والزمخشري في الكشّاف ١: ٣٦٨ ـ ٣٦٩، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ١: ٣٧٧ ـ ٣٧٨، ذيل الآية ٦١ من سورة آل عمران (٣).

٣. كابن هشام في السيرة النبويّة ٢: ٢١٥، وابن سعد في الطبقات الكبرى ١: ٣٥٧ ـ ٣٥٨؛ وابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢: ٢٩٣ ـ ٢٩٤، حوادث سنة ١٠.

وهذا ليس إلّا للجلالة الربّانيّة والعظمة الروحانيّة التي أدركها خصمهم من أوّل نظرة إلى وجوههم المباركة، فكأنّ الجلالة والعظمة والمهابة والأُبّهة وقرب المنزلة من الله والكرامة عليه، مكتوبةٌ بنوره تعالى في أسارير جبهاتهم الميمونة، ومعنونةٌ في صفحات وَجَناتهم الكريمة، وإنّي لأعجب ـ والله ـ من المسلم لا يقدر هذا المقام قدره!

وأنت تعلم أنّ مباهلتَهصلى الله عليه وآله بهم، والتماسه منهم التأمينَ على دعائه بمجرّده فضلٌ عظيم، وانتخابه إيّاهم لهذه المهمّة العظيمة، واختصاصهم بهذا الشأن الكبير، وإيثارهم فيه على من سواهم من أهل السوابق فضلٌ على فضلٍ لم يسبقهم إليه سابق، ولن يلحقهم فيه لاحِق. ونزول القرآن العزيز آمراً بالمباهلة بهم بالخصوص فضلٌ ثالث يزيد فضل المباهلة ظهوراً، ويضيف إلى شرف اختصاصهم بها شرفاً، وإلى نوره نوراً.

[نكتة]

وهناك نكتة يعرف كنهَها علماءُ البلاغة، ويقدر قدرَها الراسخون في العلم، العارفون بأسرار القرآن، وهي أنّ الآية الكريمة ظاهرة في عموم الأبناء والنساء والأنفس، كما يشهد به علماء البيان، ولا يجهله أحد ممّن عرف أنّ الجمع المضاف حقيقة في الاستغراق، وإنّما أُطلقت هذه العمومات عليهم بالخصوص؛ تبياناً لكونهم ممثّلي الإسلام، وإعلاناً لكونهم أكمل الأنام، وأذاناً بكونهم صفوة العالم، وبرهاناً على أنّهم خيرة الخيرة من بني آدم، وتنبيهاً إلى أنّ فيهم من الروحانيّة الإسلاميّة والإخلاص لله في العبوديّة ما ليس في جميع البريّة، وأنّ دعوتهم إلى المباهلة بحكم دعوة الجميع، وحضورهم خاصّة فيها، مُنَزَّل منزلة حضور الأُمّة عامّة، وتأمينهم على دعائه مغنٍ عن تأمين من عداهم، وبهذا جاز التجوّز بإطلاق تلك العمومات عليهم بالخصوص.

ومن غاص على أسرار الكتاب الحكيم وتدبّره، ووقف على أغراضه، يعلم أنّ إطلاق هذه العمومات عليهم بالخصوص إنّما هو على حدّ قول القائل:

ليس على الله بمستنكر 　　 أن يجمع العالَم في واحد[١]

ولذا قال الزمخشري في تفسير الآية من كشّافه: «وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام»[٢]. انتهى.

[نكتة أُخرى]

بقيت نكتة يجب التنبّه لها، وحاصلها: أنّ اختصاص الزهراء من النساء، والمرتضى من الأنفس ـ مع عدم الاكتفاء بأحد السبطين من الأبناء ـ دليلٌ على ما ذكرناه من تفضيلهم عليهم السلام؛ لأنّ عليّاً وفاطمة لمّا لم يكن لهما نظير في الأنفس والنساء كان وجودهما مغنياً عن وجود مَنْ سواهما، بخلاف كلٍّ من السبطين؛ فإنّ وجود أحدهما لا يغني عن وجود الآخر؛ لتكافئهما، ولذا دعاهما صلى الله عليه وآله جميعاً، ولو دعا أحدهما دون صِنوه كان ترجيحاً بلامرجّح، وهذا ينافي الحكمة والعدل.

نعم، لو كان ثمّة من الأبناء من يساويهما لَدعاه معهما، كما أنّه لو كان لعليّ نظيرٌ من الأنفس، أو لفاطمة من النساء لَما حاباهما؛ عملاً بقاعدة الحكمة والعدل والمساواة.

[اختصاص عليّ عليه السلام بكونه نفس النبيّ صلى الله عليه وآله]

بقي ممّا دلّت عليه الآية من خصائص عليّ عليه السلام فضل تضمحلّ دونه الخصائص، وتفنى في جنبه الفضائل والمناقب، ألا وهو كونه نفس النبيّ، وجارياً بنصّ الآية

---

١. حكاه ابن كثير في البداية والنهاية ١٠: ٢٤٨، حوادث سنة ١٩٥.

٢. الكشّاف ١: ٣٧٠، ذيل الآية ٦١ من سورة آل عمران (٣).

مجراه، الفضل الذي تعنو له الجباه بخوعاً، وتطامن[1] لديه المفارقُ خشوعاً، ويملأ الصدور هيبةً وإجلالاً، وتصاغر دونه الهمم يأساً من بلوغ مداه ﴿ذلك فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ واللهُ ذُو الفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[2].

وأنت ـ هداك الله ـ إذا عرفت أنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ قد أنزل نفس النبيّ، وأجراها في محكم الذكر مجراها، لا ترتاب حينئذٍ في أنّه أفضل الأُمّة وأولاها برسول الله صلى الله عليه وآله حيّاً وميّتاً.

وقد صرّح أولياء أهل البيت واعترف أعداؤهم بدلالة الآية على هذا التفضيل الخالد في القرآن ذكره، والطيب في بيّنات الفرقان نشره، حتّى أنّ الرازي ـ مع غرامه بنقض المحكمات، وهيامه في التشكيك والشبهات ـ لم يناقش في دلالتها على هذا المقدار من تفضّله عليه السلام، وإنّما ناقش المحمود بن الحسن حيث صرّح بدلالتها على تفضيله على مَن كان قبل محمّد من الأنبياء عليه وعليهم السلام.

وإليك عبارة الرازي بعين لفظه، قال(١):

كان في الريّ رجل يقال له: محمود بن الحسن الحمّصي، وكان معلّم الاثني عشريّة، وكان يزعم أنّ عليّاً عليه السلام أفضل من جميع الأنبياء سوى محمّد صلى الله عليه وآله. واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[3] إذ ليس المراد بقوله: «وَأَنْفُسَنَا» نفس محمّد صلى الله عليه وآله؛ لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد به غيرها،

---

(١) في تفسير آية المباهلة، فراجع صفحة ٤٨٨ من الجزء الثاني من تفسيره الكبير[4] مفاتيح الغيب. والرازي هذا هو الخطيب محمّد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي.

---

١. تَطَأْمَنَ طَأْمَنَه: إذا سكن أو انخفض. المعجم الوسيط: ٥٦٦، «ط. م. ع».

٢. الحديد (٥٧): ٢١.

٣. آل عمران (٣): ٦١.

٤. التفسير الكبير ٤ (الجزء الثامن): ٩٠ ـ ٩١، ذيل الآية بتفاوت يسير في بعض الألفاظ.

وأجمعوا على أنّ ذلك الغير كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام فدلّت الآية على أنّ نفس عليّ هي نفس محمّد(١)، ولا يمكن أن يكون المراد أنّ هذه النفس هي عين تلك، فالمراد أنّ هذه النفس مثل تلك النفس، وذلك يقتضي المساواة في جميع الوجوه، تركنا العمل بهذا العموم في حقّ النبوّة، وفي حقّ الفضل؛ لقيام الدلائل على أنّ محمّداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان نبيّاً وما كان عليّ كذلك، ولانعقاد الإجماع على أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان أفضل من عليّ عليه السلام، فبقي فيما وراءه معمولاً به.

ثمّ الإجماع دلّ على أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام، فيلزم أن يكون عليّ أفضل من سائر الأنبياء.

فهذا وجه الاستدلال بظواهر هذه [الآية]، وأمعن النظر تجده قد أوضح دلالة الآية على ذلك غاية الإيضاح، ونادى ـ من حيث لا يقصد ـ حيّ على الفلاح.

لم يعارض الشيعة فيما نقله عن قديمهم وحديثهم، ولا ناقشهم فيه بكلمة واحدة، فكأنّه أذعن لقولهم، واعترف بدلالة الآية على رأيهم.

وإنّما ناقش المحمود بن الحسن ـ كما لا يخفى ـ على أنّ الإجماع الذي صال به الرازي على المحمود لا يعرفه المحمود ومن يرى رأيه، فافهم.

---

(١) كما قيل في مديحه عليه السلام:

وهو في آية التباهُلِ نفسُ الـ		مصطفى ليس غيره إيّاها[١]

ولعلّك إذا ضممت قوله: ﴿وأنْفُسَنا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾[٢] وأمعنت النظر في الآيتين، ينجلي لك من الأسرار ما كان خفيّاً.

---

١. القصائد الخالدات: ١٣٤، هائيّة الأزري.

٢. التوبة (٩): ١٢٠.

الفصل الثاني: في آية التطهير

وهي قوله ـ جلّ وعلا ـ في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١].

لا ريب في أنّ أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم في هذه الآية، إنّما هم الخمسة أصحاب الكساء، وكفاك هذا برهاناً على أنّهم أفضل مَن أقلّته الأرض يومئذٍ ومَن أظلّته السماء. ألا وهم: رسول الله صلى الله عليه وآله، وصنوه الجاري بنصّ الذكر مجرى نفسه، وبضْعته التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها، وريحانتاه من الدنيا سبطاه الشهيدان سيّدا شباب أهل الجنّة، فهؤلاء هم أصحاب هذه الآية البيّنة(١) بحكم الأدلّة القاطعة والحجج الساطعة، لم يشاركهم فيها أحدٌ من بني آدم،

(١) صرّح بذلك أبوسعيد الخدري وجماعة من التابعين، منهم مجاهد وقتادة وغيرهم فيما ذكره الإمام البغوي، وابن الخازن[٢]، وكثير من المفسّرين[٣]، كما في المقصد الأوّل من الشرف المؤبّد لآل محمّد[٤]، ومؤلّفه يوسف بن إسماعيل المعاصر النبهاني.
ومن أراد تفصيل القول بنزول هذه الآية في الخمسة بالخصوص فعليه برشفة الصادي للإمام أبي بكر بن شهاب الدين العلوي رحمه الله[٥].

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٢. معالم التنزيل ٣: ٥٢٩؛ تفسير الخازن ١: ٢٥٨، ذيل الآية.

٣. سيأتي أقوالهم بُعيد هذا.

٤. الشرف المؤبّد لآل محمّد: ٦ ـ ١٨، المقصد ١.

٥. رشفة الصادي: ٢٣ ـ ٢٤.

ولا زاحمهم تحت كسائها واحد من هذا العالم.

وقد أورد الإمام جلال الدين السيوطي(١) في تفسير هذه الآية من كتابه الدرّ المنثور عشرين رواية من طرق مختلفة في أنّ المراد من «أهل البيت» هنا إنّما هم «الخمسة» لا غير[1].

وذكر ابن جرير في تفسيره(٢) خمس عشرة رواية بأسانيد مختلفة في قصر الآية عليهم بالخصوص[2].

وحسبك في ذلك قول رسول الله(٣): «أُنزلت هذه الآية في خمسة: فيّ، وفي عليّ، والحسن، والحسين، وفاطمة»(٤).

---

(١) كما في المقصد الأوّل من الشرف المؤبّد[3].

(٢) كما في الشرف المؤبّد[4] أيضاً.

(٣) فيما أخرجه ابن جرير والطبراني بأسانيدهم إليه ﷺ. وقد ذكره ابن حجر في تفسير الآية من صواعقه، والنبهاني في صفحة ٧ من الشرف المؤبّد[5].

(٤) وأخرج الإمام أحمد بن حنبل[6] ـ كما في تفسير الآية من الصواعق[7] ـ عن أبي سعيد الخدري: أنّها نزلت في خمسة: النبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين. ←

---

١. الدرّ المنثور ٦: ٦٠٣ ـ ٦٠٥، ذيل الآية.

٢. تفسير الطبري ١٠: ٢٩٦ ـ ٢٩٨، ح ٢٨٤٨٥ ـ ٢٨٥٠٢.

٣ و٤. الشرف المؤبّد لآل محمّد: ٩ ـ ١٨، المقصد ١.

٥. راجع: تفسير الطبري ١٠: ٢٩٦، ح ٢٨٤٨٧؛ المعجم الأوسط ٢: ٤٩١، ح ١٨٤٧؛ ٤: ٢٧١ ـ ٢٧٢، ح ٣٤٨٠؛ المعجم الصغير ١: ١٣٥؛ الصواعق المحرقة: ١٤٣، الباب ١، الفصل ١؛ الشرف المؤبّد: ٨، المقصد ١.

٦. حكاه عنه القندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٤٢٩، الباب ٥٩، ح ١٧٦، وأبوبكر الحضرمي في رشفة الصادي: ٣٣.

٧. الصواعق المحرقة: ١٤٣، الباب ١١، الفصل ١.

وقد أجمعت كلمة أهل القبلة من أهل المذاهب الإسلامية كلّها على أنّه لمّا نزل الوحي بها عليه ضمّ سبطيه وأباهما وأُمّهما إليه، ثمّ غشّاهم ونفسه بذلك الكساء؛ تمييزاً لهم عن سائر الأبناء والأنفس والنساء.

فلمّا انفردوا تحته عن كافّة أُسرته واحتجبوا به عن بقيّة أُمّته، بلّغهم الآية وهم على تلك الحال حرصاً على أن لايطمع بمشاركتهم فيها أحد من الصحابة والآل، فقال ـ مخاطباً لهم وهم معه في معزل عن كافّة الناس ـ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] فأزاح بحجبهم في كسائه حينئذٍ حُجُب الريب وهتك سُدَف[2] الشبهات، فبرح الخفاء[3] بحكمته البالغة، وسطعت أشعّة الظهور ببلاغه المبين، والحمد لله ربّ العالمين.

ومع ذلك لم يقتصر على هذا المقدار من توضيح اختصاص الآية بهم عليهم السلام، حتّى أخرج يده من تحت الكساء، فألوى بها إلى السماء، فقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي

← وأخرجه عن أبي سعيد أيضاً الإمام الواحدي عند بلوغه للآية من كتابه أسباب النزول، والإمام الثعلبي في تفسيره الكبير[4]، وكثيرون من المحدّثين[5] والمفسّرين[6].

---

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٢. السُدَفُ: الظلمة. المعجم الوسيط: ٤٢٣، «س. د. ف».

٣. بَرِح الخَفاء: وضح الأمر. المعجم الوسيط: ٤٧، «ب. ر. ح».

٤. أسباب النزول: ٢٩٥؛ الكشف والبيان ٨: ٤٢، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣).

٥. كالحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣: ١٥٨، وابن المغازلي في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٢٥٤، ح ٣٤٥، ومحبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى: ٢٤، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٦١، ح ١٤٩٧٦، وأبوبكر الحضرمي في رشفة الصادي: ٣٤.

٦. كابن جرير في جامع البيان ١٠: ٢٩٦، ح ٢٨٤٨٨، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٩: ٣١٣٢، والطبرسي في مجمع البيان ٨: ٣٥٧، والسيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٤، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣).

فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» يكرّر ذلك وأمّ سلمة تسمع وترى؛ إذ كان نزول الآية وقضيّة الكساء في بيتها، فقالت: وأنا معكم يا رسول الله؟ ورفعت الكساء لتدخل، فجذبه(١) من يدها وقال: «إنّك على خيرٍ».

وفي ذلك كلّه صحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة[1].

---

(١) أخرج الإمام أحمد بن حنبل في صفحة ٣٢٣ من الجزء السادس من مسنده عن أُمّ سلمة، قالت: إنّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «ائتيني بزوجكِ وابنيكِ» فجاءت بهم فألقى عليهم كساء فدَكِياً ثمّ وضع يده عليهم، ثمّ قال: «اللهمّ إنّ هؤلاء آل محمّد، فاجعل صلواتك وبركاتك على محمّد وعلى آل محمّد، إنّك حميدٌ مجيدٌ». قالت: فرفعتُ الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: «إنّك على خيرٍ»[2]. انتهى.

وهذا الحديث رواه بالإسناد إلى أمّ سلمة أيضاً أبوإسحاق الثعلبي في تفسيره[3]، وغير واحد من المفسّرين[4] والمحدّثين[5].

وأخرج الإمام أحمد من حديث أُمّ سلمة في صفحة ٢٩٢ من الجزء السادس من مسنده أنّ رسول الله ﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمة ببرمة[6] فيها حريرة[7]، فقال لها: «ادعي ←

---

١. للمزيد راجع: نور الثقلين ٤: ٢٧٠ ـ ٢٧٧، ح ٨٤ ـ ١١٠؛ غاية المرام ٢: ٣٢١ ـ ٣٦٧، الباب ٢٩ من المقصد الأوّل.

٢. مسند أحمد ١٠: ٢٢٨، ح ٢٦٨٠٨. رواه أيضاً في فضائل الصحابة ٢: ٥٨٧ ـ ٥٨٨، ح ٩٩٤.

٣. الكشف والبيان ٨: ٤٢، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣).

٤. كالطبري في تفسيره ١٠: ٢٩٧، ح ٢٨٤٩٦، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٩: ٣١٣٢ ـ ٣١٣٣، والطبرسي في مجمع البيان ٨: ٣٥٧، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣: ٤٩٢ ـ ٤٩٣، والسيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٤، ذيل الآية.

٥. كأبي يعلى في مسنده ١٢: ٣٤٤، ح ٦٩١٢، والطبراني في المعجم الكبير ٣: ٥٣، ح ٢٦٦٤؛ ٢٣: ٣٣٦، ح ٧٨٠، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٦٢، ح ١٤٩٧٠، والشبلنجي في نور الأبصار: ٢٢٥.

٦. البرمة: القِدر من الحجر. مجمع البحرين ٦: ١٦، «ب. ر. م».

٧. الحريرة: دقيقٌ يطبخ بلبنٍ أو دَسم. المعجم الوسيط: ١٦٦، «ح. ر. ر».

فيا أهل البصائر برسول الله، العارفين بمبلغه من الحكمة والعصمة، المقدّرين قدرَ أفعاله وأقواله، هل تجدون وجهاً لحصرهم تحت الكساء عند تبليغهم الآية عن الله تعالى إلّا المبالغة البليغة في توضيح ماقلناه من اختصاصها [بهم] وامتيازهم بها عن العالمين؟

← زوجكِ وابنيكِ». قالت أمّ سلمة: فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون معه وهو على منامة له، على دكّان [1] تحته كساء خيبري، قالت: وأنا أُصلّي في الحجرة، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. قالت: فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به ثمّ أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثمّ قال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهِبْ عنهم الرجس وطهِّرْهم تطهيراً». قالت: فأدخلتُ رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: «إنّكِ إلى خيرٍ، إنّكِ إلى خير» [2]. انتهى.

وهذا الحديث أخرجه الإمام الواحدي في تفسير الآية من كتابه أسباب النزول، فراجع منه صفحة ٢٦٧ [3].

وأخرجه ابن جرير في تفسير الآية من تفسيره الكبير [4]، وابن المنذر [5]، وابن أبي حاتم [6]، وابن مَرْدَوَيْه [7]، والطبراني [8]، وغيرهم [9]. ←

---

١. الدُكّان: الدكّة المبنيّة للجلوس عليها. لسان العرب ١٣: ١٥٧، «د.ك.ن».

٢. مسند أحمد ١٠: ١٧٧، ح ٢٦٥٧٠.

٣. أسباب النزول: ٢٩٥.

٤. جامع البيان ١٠: ٢٩٧، ح ٢٨٤٩٦.

٥. نقله عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٣، ذيل الآية.

٦. راجع: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩: ٣١٣٢ ـ ٣١٣٣، ذيل الآية.

٧. نقله عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٣، ذيل الآية. راجع أيضاً مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٣٠٢، ح ٤٨١.

٨. المعجم الكبير ٣: ٥٣ ـ ٥٤، ح ٢٦٦٦؛ المعجم الأوسط ٤: ٤٧٩، ح ٣٨١١.

٩. كأبي عيسى في الجامع الصحيح ٥: ٦٦٣، ح ٣٧٨٧ وص ٦٩٩، ح ٣٨٧١، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٩: ٣١٣٢ ـ ٣١٣٣، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣: ٤٩٢، ذيل الآية.

وهل تفهمون من قوله: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»[١] إلّا الحصر بهم والقصر عليهم؟

← وأخرج الترمذي والحاكم وصحّحاه، وابن جرير[٢] وابن المنذر[٣]، والبيهقي في سننه[٤] من طرق عديدة عن أمّ سلمة، قالت: في بيتي نزلت هذه الآية وفي البيت عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فجلّلهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثمّ قال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً». انتهى.

وأخرج مسلم في باب «فضائل عليّ» من صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أباتراب؟ فقال: أما ماذكرتُ ثلاثاً قالهنّ رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: «يا رسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان؟» فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبوّة بعدي؟».

وسمعته يقول يوم خيبر: «لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله» فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لي عليّاً» فأُتي به أرمد، فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه.

ولمّا نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللّهمّ هؤلاء أهلي»[٥]. انتهى. ←

---

١. تقدّم في ص ١٦ ـ ١٧.

٢. الجامع الصحيح ٥: ٦٩٩، ح ٣٨٧١؛ تفسير الطبري ١٠: ٢٩٦ ـ ٢٩٨، ح ٢٨٤٨٨؛ المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٧، ح ٤٧٦١.

٣. حكاه عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٥، ذيل الآية ٣٣من سورة الأحزاب (٣٣)، وأبوبكر الحضرمي في رشفة الصادي: ٣٠.

٤. السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٢١٤، ح ٢٨٦١.

٥. صحيح مسلم ٤: ١٨٧١، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٢، والآية في سورة آل عمران (٣): ٦١.

وهل ترون وجهاً لجذب الكساء من يد أُمّ سلمة، ومنعها من الدخول معهم على جلالة قدرها وعظم شأنها إلّا الذي ذكرناه؟

فأين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ اَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾[1].

فيكون بحجبه إيّاهم في كسائه عابثاً؟ أو يكون بقوله: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي» هاذياً؟ أو يكون بجذبه الكساء من يد أُمّ سلمة مجازفاً؟ حاشا لله

← وأخرج مسلم أيضاً في باب «فضائل أهل البيت» من صحيحه، وهو في صفحة ٣٣١ من جزئه الثاني عن عائشة قالت: خرج رسول الله غداة وعليه مِرْط مُرَحَّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليٌّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2]. انتهى.

وهذا الحديث أخرجه أحمد من حديث عائشة في مسنده[3]. وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصاحب الجمع بين الصحيحين[4]، وصاحب الجمع بين الصحاح الستة، ومن أراد المزيد فعليه برشفة الصادي[5] للإمام أبي بكر بن شهاب الدين العلوي، على أنّ في هذا المقدار كفاية لأُولي الأبصار.

---

١. التكوير (٨١): ١٩ ـ ٢٢.

٢. صحيح مسلم ٤: ١٨٨٣، كتاب فضائل الصحابة، ح ٦١.

٣. لم نعثر عليه في مسنده ولكن حكاه عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٥، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣).

٤. تفسير الطبري ١٠: ٢٩٦، ح ٢٨٤٨٨؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩: ٣١٣١، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣)؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٢٦، ح ٤٧٦١؛ الجمع بين الصحيحين للإشبيلي ٣: ٥٦١ ـ ٥٦٢، ح ٤٢٧٥.

٥. رشفة الصادي: ٣٠.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ﴾[١].

وقد تكرّرت منه ﷺ قضيّة الكساء حتّى احتمل بعض العلماء تكرار نزول الآية أيضاً، والصواب عندنا نزولها مرّة واحدة، لكن حكمة الصادق الأمين في نصحه ببلاغه المبين، اقتضت تكرير تلك القضيّة مرّة في بيت أُمّ سلمة عند نزول الآية(١) وتبليغها لأهل المخاطبين فيها؛ وأُخرى في بيت فاطمة(٢)، وفي كلّ مرّة يتلو عليهم الآية مخاطباً لهم بها وهم في معزل عن الناس تحت ذلك الكساء؛ درءاً للشبهة في نحو أهل الزيغ.

وقد بلغ ـ بأبي هو وأُمّي ـ في توضيح اختصاص الآية بهم كلّ مبلغ، وسلك في إعلان ذلك مسالك ينقطع معها شغب المشاغب، ولا يبقى بعدها أثر لهذيان

---

(١) كما تدلّ عليه الأحاديث التي سمعتها عن أُمّ سلمة.

(٢) ويدلّ عليه ما أخرجه الإمام أحمد في صفحة ١٠٧ من الجزء الرابع من مسنده عن واثلة ابن الأسقع، أنّه قال ـ من جملة حديث ـ: أتيت فاطمة أسألها عن عليّ، قالت: «ذهب إلى رسول الله ﷺ» فجلست انتظره حتّى جاء رسول الله ﷺ ومعه عليّ وحسن وحسين آخذاً كلّ واحد منهما بيده، فأدنى عليّاً وفاطمة فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد منهما على فخذه، ثمّ لفّ عليهم ثوبه ـ أو قال كساءه ـ ثمّ تلا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»[٢]. انتهى.

وقد أخرج هذا الحديث عن واثلة كلّ من ابن جرير في تفسيره الكبير[٣]، وابن المنذر[٤]، ←

---

١. النجم (٥٣): ٤ ـ ٥.

٢. مسند أحمد ٦: ٤٥، ح ١٦٩٨٤.

٣. جامع البيان ١٠: ٢٩٧، ح ٢٨٤٩٤.

٤. حكاه عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٥، وأبوبكر الحضرمي في رشفة الصادي: ٣٠.

النواصب، حتّى كان بعد نزول الآية كلّما خرج إلى الفجر يمرّ ببيت فاطمة فيقول: «الصلاة يا أهل البيت، إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً» وقد استمرّ على هذا ستّة أشهر في رواية أنس(١)، وعن ابن عبّاس: سبعة أشهر[١].

← وابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهقي في سننه، والحاكم وصحّحه[٢]، وغيرهم من حملة الآثار وحفظة الأخبار[٣].

قال النبهاني في صفحة ٧ من كتاب الشرف المؤبّد ما هذا لفظه:

وقد ثبت من طرق عديدة صحيحة أنّ رسول الله ﷺ جاء ومعه عليّ وفاطمة وحسن وحسين، قد أخذ كلّ واحد منهما بيدٍ حتّى دخل، فأدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد على فخذه، ثمّ لفّ عليهما كساء ثمّ تلا هذه الآية ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

ـ قال النبهاني: ـ قالت أُمّ سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، فقال: «إنّك من أزواج النبيّ على خيرٍ»[٤].

(١) أخرج الإمام أحمد في صفحة ٢٥٩ من الجزء الثالث من مسنده عن أنس بن مالك: أنّ النبيّ ﷺ كان يمرّ ببيت فاطمة ستّة أشهر إذا خرج إلى الفجر، فيقول: «الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»[٥]. انتهى. ←

---

١. حكاه عنه الشبلنجي في نور الأبصار: ٢٢٦، والنبهاني في الشرف المؤبّد: ٨، المقصد ١.

٢. راجع: المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٣٧٣، ح ٣٢٠٩٤؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩: ٣١٣٢، ذيل الآية؛ المعجم الكبير ٣: ٥٥، ح ٢٦٧٠؛ السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٢١٧، ح ٢٨٧٠؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٢٦ـ١٢٧، ح ٤٧٦٠.

٣. كأبي يعلى في مسنده ١٣: ٤٧٠ ـ ٤٧١، ح ٧٤٨٦، وابن المغازلي في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٢٥٦ـ٢٥٧، ح ٣٥٠، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٦٣، ح ١٤٩٧٢.

٤. الشرف المؤبّد: ٧، المقصد ١.

٥. مسند أحمد ٤: ٥١٦، ح ١٣٧٣٠.

وفي روايةذكرها النبهاني(١) وغيره[1]: ثمانية أشهر. فصرّح الحقّ عن محضه، وبدأ الصبح لذي عينين.

[ردّ القول بأنّ الآية مختصّة بنساء النبيّ ﷺ]

لكن حثالة من أعداء أهل البيت، وصنائع بني أُميّة، ودعاة الخوارج، ذهبوا في صرف الآية عن أهلها كلّ مذهب، فقال بعضهم: إنّها خاصّة بنساء النبيّ ﷺ، وتشبّثوا في ذلك بسياق الآية، وبالغ عكرمة ومقاتل بن سليمان في الانتصار لهذا الرأي والاستدلال بالسياق عليه، وكان عكرمة ينادي به في الأسواق(٢) تحاملاً

← وأخرجه الحاكم وصحّحه، والترمذي وحسّنه، وابن أبي شيبة، وابن جرير[2]، وابن المنذر، وابن مردويه[3]، والطبراني[4] وغيرهم[5] عن أنس أيضاً، فراجع كتاب رشفة الصادي للإمام أبي‌بكر بن شهاب الدين العلوي[6].

(١) في صفحة ٨ من الشرف المؤبّد[7].

(٢) فيما نقله عنه جماعة كثيرون، منهم الواحدي في كتابه أسباب النزول، وابن حجر في صواعقه[8].

---

١. كالشبلنجي في نور الأبصار: ٢٢٦.

٢. المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٣٩١، ح ٣٢٢٦٢؛ الجامع الصحيح ٥: ٦٩٩، ح ٣٨٧١؛ تفسير الطبري ١٠: ٢٩٦، ح ٢٨٤٨٩؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٤٤ ـ ١٤٥، ح ٤٨٠٢.

٣. حكى عنهما السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٦٠٥، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣). راجع أيضاً مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٣٠٤، ح ٤٨٨.

٤. المعجم الكبير ٣: ٥٦، ح ٢٦٧١.

٥. كابن الأثير في أُسد الغابة ٧: ٢٤١، الرقم ٧١٧٦.

٦. رشفة الصادي: ٣٢.

٧. الشرف المؤبّد: ٨، المقصد ١.

٨. أسباب النزول: ٢٩٦؛ الصواعق المحرقة: ١٤٣، الباب ١، الفصل ١.

على أصحاب الكساء، ولا عجب؛ فإنّ عكرمة من الدعاة إلى عداوة عليّ، والسعاة في تضليل الناس عنه بكلّ طريق.

فعن يحيى بن بكير قال: قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب، قال: فالخوارج الذين هم في المغرب عنه أخذوا(١).

وعن خالد بن [أبي] عمران قال: كنّا في المغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم، فقال: وددت أنّ بيدي حربة فأعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً؛ لبنائه على كفر من عدا الخوارج من أهل القبلة[١].

وعن يعقوب الحضرمي عن جدّه قال: وقف عكرمة على باب المسجد فقال: ما فيه إلّا كافر. ـ قال: ـ وكان يرى رأي الإباضيّة[٢]، وهم من غلاة الخوارج.

---

(١) نقل القاضي الجعابي ـ حيث أتى على ذكر عكرمة في كتاب الموالي ـ: أنّ عكرمة دخل في رأي الحروريّة من الخوارج فخرج يدعو إليهم بالمغرب.

وعن أبي عليّ الأهوازي ـ كما في ترجمة عكرمة من معجم ياقوت ـ:

إنّ عكرمة كان يرى رأي الخوارج، ويميل إلى استماع الغناء ـ قال: ـ وقيل: إنّه كان يكذب على مولاه[٣].

---

١. نقله الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥: ٢٢، الرقم ٩، وابن حجر في تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧، الرقم ٤٧٥.

٢. راجع: المعرفة والتاريخ ٢: ٧؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٧، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢١ ـ ٢٢، الرقم ٩.

٣. معجم الأُدباء ١٢: ١٨٤، الرقم ٤٦.

وعن ابن المديني: كان عكرمة يرى رأيَ نجدة الحروري[١]، وكان نجدة من أشدّ الخوارج عداوةً لأمير المؤمنين.

وعن مصعب الزبيري: كان عكرمة يرى رأيَ الخوارج[٢]. وعن عطاء: كان عكرمة إباضيّاً[٣]. وعن أحمد بن حنبل: أنّ عكرمة كان يرى رأي الصُفْرية[٤]. وهم من غلاة الخوارج أيضاً.

وحدّث أيّوب عن عكرمة أنّه قال: إنّما أنزل الله متشابه القرآن؛ ليضلّ به[٥]. فانظر إلى آرائه ما أخبثها!

وعن ابن أبي شعيب قال: سألت محمّد بن سيرين عن عكرمة، فقال: ما يستوي[٦] أن يكون من أهل الجنّة لكنّه كذّاب[٧].

وعن وهيب قال: شهدت يحيى بن سعيد الأنصاري وأيّوب فذكرا عكرمة، فقال يحيى: هو كذّاب[٨].

---

١. المعرفة والتاريخ ٢: ٤؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٨، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢١، الرقم ٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧، الرقم ٤٧٥.

٢. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٩، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٢، الرقم ٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧، الرقم ٤٧٥.

٣. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٨، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢١، الرقم ٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧، الرقم ٤٧٥.

٤. الكامل في ضعفاء الرجال ٥: ٢٦٦، الرقم ١٤١١؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٨، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٣٠، الرقم ٩.

٥. الضعفاء الكبير ٣: ٣٧٤، الرقم ١٤١٣؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٣٢ ـ ٣٣، الرقم ٩.

٦. في المصدر: «يسوؤني».

٧. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٢، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٥، الرقم ٩.

٨. الضعفاء الكبير ٣: ٣٧٣، الرقم ١٤١٣؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٢، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٥، الرقم ٩.

وعن ابن المسيّب أنّه كذب عكرمة[١].

وعن عبدالله بن الحارث قال:

دخلت على عليّ بن عبدالله بن العبّاس فإذا عكرمة في وثاق، فقلت: ألا تتّقي الله؟ فقال: إنّ هذا الخبيث يكذب على أبي.(١)[٢]

وعن ابن المسيّب أنّه قال لمولى له اسمه «بُرد»: لا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عبّاس[٣].

---

(١) هذا لفظ الذهبي في ميزان الاعتدال[٤] نقلاً عن عبدالله بن الحارث.

والذي نقله ياقوت الرومي في ترجمة عكرمة من معجمه عن عبدالله بن الحارث:

قال: دخلت على عليّ بن عبدالله بن عبّاس وعكرمة موثوق في باب الكَنيف، فقلت: أتفعلون هذا بمولاكم؟ فقال: إنّ هذا يكذب على أبي[٥].

ونقل ياقوت في آخر ترجمة عكرمة من معجمه أيضاً عن يزيد بن [أبي] زناد:

قال: دخلت على عليّ بن عبدالله بن مسعود وعكرمة مقيّد على باب الحشّ، قلت: ما لهذا كذا؟، قال: إنّه يكذب على أبي[٦]. انتهى.

فهو بمقتضى هاتين الروايتين تارةً يكذب على ابن عبّاس فينكر عليه ابنه ويعزّره، وتارةً يكذب على ابن مسعود فينكر عليه ولده ويعزّره.

---

١. ميزان الاعتدال ٣: ٩٤، الرقم ٥٧١٦.

٢. الضعفاء الكبير ٣: ٣٧٣ ـ ٣٧٤، الرقم ١٤١٣؛ وفيات الأعيان ٣: ٢٦٥ ـ ٢٦٦، الرقم ٤٢١.

٣. المعرفة والتاريخ ٢: ٣؛ معجم الأُدباء ١٢: ١٨٥، الرقم ٤٦؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٠، الرقم ٤٠٠٩.

٤. ميزان الاعتدال ٣: ٩٤، الرقم ٥٧١٦.

٥. معجم الأُدباء ١٢: ١٨٤، الرقم ٤٦.

٦. المصدر: ١٩٠، الرقم ٤٦، فيه: «إنّه يكذب» ولم يذكر كلمة «على أبي». ونقله الذهبي أيضاً في سير أعلام النبلاء ٥: ٢٣، الرقم ٩.

وعن ابن عمر أنّه قال ذلك أيضاً لمولاه نافع[١].

وعن طاوس: لو أنّ عند عكرمة مولى ابن عبّاس تقوى من الله وكفّ من حديثه لشُدّت إليه المطايا[٢].

وعن ابن [أبي] ذؤيب: رأيت عكرمة وكان غير ثقة[٣].

وعن يحيى بن سعيد قال: حدّثوني والله عن أيّوب أنّه ذكر له أنّ عكرمة لا يحسن الصلاة، فقال أيّوب: أوَكان يصلّي؟![٤]

وعن محمّد بن سعيد: كان عكرمة كثير العلم... وليس يحتجّ بحديثه ويتكلّم الناس فيه[٥].

وعن مطرف بن عبدالله: سمعت أنّ مالكاً يكره أن يذكر عكرمة، ولا يرى أن يروي عنه[٦].

وعن أحمد بن حنبل: ما علمت أنّ مالكاً حدّث بشيء لعكرمة إلّا في مسألة واحدة[٧].

وعن سليمان بن معبد السنجي قال: مات عكرمة وكثيّر عَزّة في يوم واحد،

---

١. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٧٩، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٣، الرقم ٥؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧، الرقم ٤٧٥.

٢. الطبقات الكبرى ٥: ٢٨٩ ـ ٢٩٠؛ الكامل في ضعفاء الرجال ٥: ٢٦٦، الرقم ١٤١١؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٧، الرقم ٤٠٠٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٩، الرقم ٤٧٥.

٣. معجم الأُدباء ١٢: ١٨٩، الرقم ٤٦؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٢، الرقم ٤٠٠٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٧١، الرقم ٤٧٥.

٤. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٤، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٤ ـ ٢٥، الرقم ٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٧١، الرقم ٤٧٥.

٥. ميزان الاعتدال ٣: ٩٤، الرقم ٥٧١٦؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٣٣، الرقم ٩.

٦. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٣، الرقم ٤٠٠٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٧١، الرقم ٤٧٥.

٧. تهذيب التهذيب ٧: ٢٧١، الرقم ٤٧٥.

فشهد الناس جنازة كثيّر وتركوا جنازة عكرمة[١](١).

وعن الفضل الشيباني عن رجل قال: رأيت عكرمة قائماً في لعب النرد[٢].

وعن يزيد بن هارون:

قدم عكرمة البصرة فأتاه أيّوب ويونس وسليمان فسمع عكرمة صوت غناء فقال: اسكتوا. ثمّ قال: قاتَلهُ الله لقد أجاد، فأمّا يونس وسليمان فما عادا إليه...[٣].

إلى آخر ما هو مأثور عن هذا الرجل ممّا يدلّ على سقوطه، فراجع ترجمته في ميزان الاعتدال[٤] للذهبي، فإنّ فيها جميع مانقلناه الآن عنه.

على أنّ كلّ من ترجمه ـ كالعسقلاني في مقدّمة فتح الباري، وابن خلّكان في وفياته، وياقوت الرومي في إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الموسوم بمعجم الأُدباء[٥]، وغيرهم[٦] ـ طعنوا فيه بنحو ما سمعت. ولمّا ذكر الشهرستاني في كتاب الملل والنحل[٧] رجالَ الخوارج، كان عكرمة أوّل رجلٍ عدّه منهم.

---

(١) وعن الرياشي، عن الأصمعي، عن نافع المدني نحوه.

وعن ابن سلام ـ كما في معجم ياقوت ـ: إنّ أكثر الناس كانوا في جنازة كثيّر[٨].

---

١. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٩٠، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٣٣، الرقم ٩؛ تهذيب التهذيب ٧: ٢٧١، الرقم ٤٧٥.

٢. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٤، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٧، الرقم ٩.

٣. معجم الأُدباء ١٢: ١٨٥، الرقم ٤٦؛ تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٤، الرقم ٤٠٠٩؛ سير أعلام النبلاء ٥: ٢٧، الرقم ٩.

٤. ميزان الاعتدال ٣: ٩٣ـ٩٧، الرقم ٥٧١٦.

٥. معجم الأُدباء ١٢: ١٨١ ـ ١٩٠، الرقم ٤٦؛ وفيات الأعيان ٣: ٢٦٥ ـ ٢٦٦، الرقم ٤٢١؛ فتح الباري (المقدّمة): ٥٩٦ـ ٦٠١.

٦. كالمزّي في تهذيب الكمال ١٣: ١٦٣ ـ ١٨١، الرقم ٤٥٩٣.

٧. الملل والنحل ١: ١٣٧.

٨. معجم الأُدباء ١٢: ١٨٥، الرقم ٤٦.

وأمّا **مقاتل** فقد كان عدوّاً لأمير المؤمنين أيضاً، وكان دأبه صرف الفضائل عنه حتّى افتضح بذلك.

قال إبراهيم الحربي ـ كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلّكان[١] ـ:

قعد مقاتل بن سليمان فقال ـ إطفاءً لنور أمير المؤمنين ـ: سلوني عمّا دون العرش، فقال له رجل: أخبرني من حلق رأس آدم حين حجّ؟ فبهت.

وقال الجوزجاني ـ كما في ترجمة مقاتل من ميزان الذهبي ـ:

كان مقاتل كذّاباً جسوراً، سمعت أباليمان يقول: قدم هاهنا فأسند ظهره إلى القبلة، وقال: سلوني عمّا دون العرش.

ـ قال: ـ وحُدِّث أنّه قال بمثلها بمكّة، فقام إليه رجل فقال: أخبرني عن النملة أين أمعاؤها؟ فسكت[٢].

ونقل ابن خلّكان هذه الحكاية في ترجمة مقاتل من وفياته[٣] من طريق سفيان بن عيينة.

وكان مقاتل مع ذلك كلّه من رجال المرجئة وغلاة المشبّهة بنصّ جماعة، منهم ابن حزم في صفحة ٢٠٥ من الجزء الرابع من كتابه الفصل[٤]. وعدّه الشهرستاني في كتاب الملل والنحل[٥] من رجال المرجئة.

وقال الإمام أبوحنيفة ـ كما في ترجمة مقاتل من ميزان الاعتدال[٦] ـ:

أفرط جهم في نفي التشبيه حتّى قال: إنّه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتّى جعله مثل خَلقه.

---

١. وفيات الأعيان ٥: ٢٥٦، الرقم ٧٣٣.

٢. أحوال الرجال: ٢٠٢، الرقم ٣٧٣؛ ميزان الاعتدال ٤: ١٧٣، الرقم ٨٧٤١.

٣. وفيات الأعيان ٥: ٢٥٦، الرقم ٧٣٣.

٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥: ٧٤.

٥. الملل والنحل ١: ١٤٦.

٦. ميزان الاعتدال ٤: ١٧٣، الرقم ٨٧٤١.

قال أبوحاتم بن حيّان البستي ـ كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلّكان[١] ـ:

كان مقاتل يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان مشبّهاً يشبّه الربّ بالمخلوقين ـ قال: ـ وكان يكذب مع ذلك في الحديث.

إلى آخر ما قاله أئمّة الجرح والتعديل فيه[٢].

ولهم فيه وفي عكرمة كلام أوضح من ذلك في الجرح، وأصرح منه في التضليل والقدح، لكنّ المقام لايسع الاستقصاء. وهذا القدر كافٍ لما أردناه من سقوط الرجُلين، وفساد آرائهما، وبطلان أقوالهما، ولاسيّما في هذا المقام، فإنّه لا ينتظر منهما فيه إلّا ما يقتضيه الوغر[٣] والحقد، ويستوجبه الخروج والنصب، ولا عجب منهما وإنّما العتب والعجب ممّن اعتمد عليهما وهو يعرف كنههما.

أمّا ما تشبّثا به من وقوع الآية في سياق الخطاب مع النساء فتضليل محض، وتمويه مجرّد، وإن أطنب في تلفيقه وتزويقه صاحب نوادر الأُصول[٤] وغيره[٥] من أعداء آل الرسول، فإنّهم لم يألوا جهداً في تصويره وتزويره، ولم يدّخروا وسعاً في تقريره وتحريره، لكن مثلهم في ذلك ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٦].

---

١. وفيات الأعيان ٥: ٢٥٧، الرقم ٧٣٣.

٢. للمزيد راجع: الجرح والتعديل ٤ (ق ١): ٣٥٤، الرقم ١٦٣٠؛ الكامل في ضعفاء الرجال ٦: ٣٤٥، الرقم ١٩١٤.

٣. الوَغْرُ: العداوة. المعجم الوسيط: ١٠٤٥، «و.غ.ر».

٤. نوادر الأُصول ٣: ٦٨ ـ ٦٩.

٥. راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣: ٤٩١ ـ ٤٩٤؛ فتح القدير ٤: ٢٨٠، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣).

٦. العنكبوت (٢٩): ٤١.

ولنا في ردّه وجوهٌ:

الأوّل: أنّه اجتهاد في مقابل النصوص الصريحة، والأحاديث المتواترة الصحيحة، وقد سمعت بعضها[١].

الثاني: أنّها لو كانت خاصّة في النساء ـ كما يزعم هؤلاء ـ لكان الخطاب في الآية بما يصلح للإناث، ولَقالَ ـ عزّ من قائل ـ «عنكنّ» و«يُطَهِّرَكُنَّ» كما في غيرها من آياتهنّ، فتذكير ضمير الخطاب فيها دون غيرها من آيات النساء كافٍ في ردّ تضليلهم.

الثالث: أنّ الكلام البليغ يدخله الاستطراد والاعتراض ـ وهو تخلّل الجملة الأجنبيّة بين الكلام المتناسق ـ كقوله تعالى في حكاية خطاب العزيز لزوجته إذ يقول لها: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيدكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا وَاسْتَغْفِرِى لِذَنْبِكِ﴾[٢] فقوله: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا﴾ مستطرد بين خطابيه معها، كما ترى.

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[٣] فقوله: ﴿وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ مستطرد من جهة الله تعالى بين كلام بلقيس.

ونحوه قوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوٰاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[٤] تقديره: «فَلا أُقْسِمُ بِمَوٰاقِعِ النُّجُومِ، إِنَّهُ لَقرآنٌ كَرِيمٌ» وما بينهما استطراد على استطراد، وهذا كثير في الكتاب والسنّة، وكلام العرب العاربة، وغيرهم من البلغاء.

---

١. راجع بداية الفصل الثاني.

٢. يوسف (١٢): ٢٨ ـ ٢٩.

٣. النمل (٢٧): ٣٤ ـ ٣٥.

٤. الواقعة (٥٦): ٧٥ ـ ٧٧.

وآية التطهير من هذا القبيل، جاءت مستطردة بين آيات النساء، فتبيّن بسبب استطرادها أنّ خطاب الله لهنّ بتلك الأوامر والنواهي والنصائح والآداب لم يكن إلّا لعناية الله تعالى بأهل البيت ـ أعني الخمسة ـ لئلّا ينالهم ـ ولو من جهتهنّ ـ لومٌ، أو ينسب إليهم ـ ولو بواسطتهنّ ـ هنات، أو يكون عليهم للمنافقين ـ ولو بسببهنّ ـ سبيلٌ. ولو لا هذا الاستطراد ما حصلت هذه النكتة الشريفة التي عظمت بها بلاغة الذكر الحكيم، وكمل إعجازه الباهر، كما لا يخفى.

الرابع: أنّ القرآن لم يترتّب في الجمع على حسب ترتيبه في النزول بإجماع المسلمين كافّة، وعلى هذا فالسياق لا يكافئ الأدلّة الصحيحة عند تعارضهما؛ لعدم الوثوق حينئذٍ بنزول الآية في ذلك السياق، ولذا كان الواجب في مقامنا هذا ترك فحوى السياق لو سلّم ظهوره بما زعموا، والاستسلام لحكم ما سمعت بعضه من الأدلّة القاطعة والحجج الساطعة، ولا غرو فإنّ حمل الآية على ما يخالف سياقها غير منافٍ للبلاغة، ولا مخلّ بالإعجاز، وقد أجمعوا على أنّه لا جناح بالمصير إليه إذا قامت قواطع الأدلّة عليه.

[ردّ القول بأنّ المراد من «أهل البيت» من حرّمت عليهم الصدقة]

وذهب بعضهم إلى أنّ المراد من «أهل البيت» في الآية مَن حُرّمت عليهم الصدقة، وهم بنو هاشم كافّة[1]، مستدلّين على ذلك بما أخرجه مسلم في باب «فضائل عليّ» من صحيحه عن زيد بن أرقم، وقد قيل له: مِن أهل بيته نساؤه؟ قال:

---

١. حكاه الثعلبي في تفسيره، والظاهر أنّه مال إليه. للمزيد راجع: الكشف والبيان ٨: ٤٢، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣)؛ الشرف المؤبّد: ٢٤، المقصد ١.

لا، وايم الله إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثمّ يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته الذين حُرِموا الصدقة بعده[1].

وأنت تعلم أنّ استدلالهم هذا باطل من وجهين:

أحدهما: أنّك لو راجعت هذا الحديث من صحيح مسلم[2] تعلم أنّ زيداً إنّما سئل عن مراد النبيّ ﷺ بأهل بيته الذين ذكرهم في قوله: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي».(١)

فأجاب عن خصوص هذا السؤال بما سمعت، ولم يتعرّض لبيان المراد بأهل البيت المذكورين في الآية، إذ لم يُسأل عنهم، فكيف نقل عنه في تفسير الآية ما قاله في تفسير الحديث، وهل هذا إلّا كالمغالطة؟ ولو سئل زيد عن الآية لأجاب بالصواب، كما فعل أبوسعيد الخدري ومجاهد وقتادة وغيرهم[3]، وما كان ليخفى عليه حديث الكساء، ولا ليخالف في تفسيرها سيّد الأنبياء ﷺ.

وبالجملة: فإنّ ما نقله مسلم عن زيدٍ خارج عن موضوع مسألتنا هذه، فالاستدلال به هنا ممّا لا وجه له.

---

(١) المراد من «أهل بيته» هنا مجموعهم من حيث المجموع باعتبار دخول أئمّتهم فيهم، والقرينة على ذلك اقترانهم بالكتاب الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وليس المراد من «عترته» و«أهل بيته» جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكلّ فردٍ فردٍ منهم، وهذا المعنى هو الذي أراده زيد بن أرقم.

---

١. صحيح مسلم ٤: ١٨٧٤، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٧.

٢. المصدر.

٣. راجع تعليقة المصنّف في ابتداء الفصل الثاني.

ثانيهما: لو فرضنا أنّ زيداً فسّر الآية بما سمعت، فإنّما هو مفسّر لها برأي قد رآه لا تثبت به حجّة ولا يقوم به برهان؛ حيث لم ينقل ذلك التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما يراه كلّ من راجع الحديث في صحيح مسلم، فكيف نعارض به الأدلّة القاطعة، والبراهين الساطعة، ونقدّمه على النصوص الصريحة، والأحاديث المتواترة الصحيحة؟ لكنّا منينا بقوم لا ينصفون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وقد أغرب الرازي إذ قال في تفسيره:

واختلف في «أهل البيت» والأولى فيهم ما قاله البقاعي: أنّهم كلّ من يكون من إلزام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال والنساء والأزواج والإماء والأقارب...[1].

إلى آخر كلامه الذي نسج فيه على منوال البقاعي، وخالف به سنّة البشير النذير الداعي:

لكم ذُخركم إنّ النبيَّ ورَهطَه وجيلَهم ذُخري إذا التُمِسَ الذُخرُ
جعلت هوايَ الفاطميّين زُلفةً إلى خالقي ما دامت أو دام لي عمرُ[2]

[ردّ القول بأنّ الآية شاملة للزوجات ولأصحاب الكساء]

وذهب قوم إلى أنّ الآية شاملة للزوجات ولأصحاب الكساء، جمعاً بين الأدلّة وظاهر السياق[3].

---

١. التفسير الكبير ١٣ (الجزء الخامس والعشرون): ٢١٠، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣) بتفاوت في الألفاظ.

٢. راجع تكملة أمل الآمل: ١٣٢، الرقم ٨٢.

٣. كالبيضاوي في تفسيره ٣: ٣٨٢، وابن الكثير في تفسير القرآن العظيم ٣: ٤٩٤، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣)، وابن حجر في الصواعق المحرقة: ١٤٣، الباب ١، الفصل ١.

ويردّه أوّلاً: ما سمعته من كلامنا في السياق فراجعه[١].

وثانياً: منع أُمّ سلمة من الدخول تحت الكساء، فإنّه أقوى دليل على خروج النساء.

وثالثاً: لو كان غير عليّ وفاطمة وابنيهما مراداً لقال ﷺ حين جلّلهم بالكساء: اللهمّ هؤلاء من أهل بيتي، لكنّه قصر أهل بيته عليهم وحصرهم فيهم، فقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً».

وفي رواية ذكرها ابن حجر في صواعقه: «أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدوّ لمن عاداهم»[٢].

وأخرج أحمد بن حنبل من حديث أُمّ سلمة في صفحة ٢٩٦ من الجزء السادس من مسنده[٣] قالت: بينما رسول الله ﷺ في بيتي يوماً إذ قالت الخادم: إنّ عليّاً وفاطمة بالسُدَّة، قالت: فقال لي: «[قومي] فتنحّي لي عن أهل بيتي» قالت: فقمت فتنحّيت في البيت قريباً، فدخل عليّ وفاطمة، ومعهما الحسن والحسين، وهما صبيّان صغيران، فأخذ الصبيّين فوضعهما في حجره، فقبّلهما، واعتنق عليّاً بإحدى يديه، وفاطمة باليد الأُخرى، فقبّل عليّاً وقبّل فاطمة، فأغدق عليهم خميصة سوداء، فقال: «اللهمّ إليك ـ لا إلى النار ـ أنا وأهل بيتي»(١). الحديث.

(١) وأخرجه في آخر صفحة ٣٠٤ من الجزء ٦ عن أُمّ سلمة أيضاً[٤].

١. تقدّم في ص ٣١ـ٣٢.

٢. الصواعق المحرقة: ١٤٤، الباب ١، الفصل ١. حكاه الحاكم أيضاً في المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٠، ح ٤٧٦٧ بتفاوت في بعض الألفاظ.

٣. مسند أحمد ١٠: ١٨٤، ح ٢٦٦٠٢.

٤. المصدر: ١٩٧، ح ٢٦٦٦٢.

وهو كما ترى ظاهر في حصر أهل بيته فيهم عليهم السلام، فهل حاباهم صلى الله عليه وآله بكسائه؟ أو آثرهم من تلقاء نفسه بما سمعت من دعائه وثنائه؟ أو ضلّ وغوى إذ قال: «أُنزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي عليّ والحسن والحسين وفاطمة»؟[1] أو نطق عن الهوى إذ كان يقف كلّ يوم على باب عليّ وفاطمة عند خروجه إلى الفجر فيقول: «الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»؟[2] أو هجر والعياذ بالله حين قال لأُمّ سلمة: «قومي فتنحّي لي عن أهل بيتي»؟[3]

كلّا والله ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾[4].

ولله درّ الإمام أبي بكر بن شهاب الدين حيث قال في هذا المقام من كتابه رشفة الصادي:

دعوا كلَّ قولٍ غيرَ قولِ محمّدٍ فعندَ بُزوغِ الشمسِ يَنطَمِسُ النَجمُ[5]

تنبيهان:

أحدهما: أنّ الآية دلّت على عصمة الخمسة؛ لأنّ الرجس فيها عبارة عن الذنوب، كما في الكشّاف[6] وغيره[7]. وقد تصدّرت بأداة الحصر وهي «إنّما».

---

١. تقدّم تخريجه في ص ١٥.

٢. تقدم تخريجه في ص ٢٢ ـ ٢٣.

٣. تقدّم قُبيل هذا.

٤. النجم (٥٣): ٢ ـ ٥.

٥. رشفة الصادي: ٢٤.

٦. الكشّاف ٣: ٥٣٨، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣)

٧. كأبي حيّان في البحر المحيط ٧: ٢٢٤، والآلوسي في روح المعاني ٢٢: ١٢، ذيل الآية.

فأفادت أنّ إرادة الله تعالى في أمرهم مقصورة على إذهاب الذنوب عنهم وتطهيرهم منها، وهذا كنه العصمة وحقيقتها(١).

---

(١) أورد النبهاني في أوّل كتابه الشرف المؤبّد هذه الآية، فنقل عن جماعة من الأعلام ما يدلّ على أنّهم قد فهموا منها عصمة أهلهاعليهم السلام، وإليك ما نقله بعين لفظه، قال:

قال الإمام أبوجعفر محمّد بن جرير الطبري في تفسيره: يقول الله تعالى: إنّما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل محمّد، ويطهّركم من الدنس الذي يكون في [أهل] معاصي الله تطهيراً.

ـ قال: ـ وروى عن أبي زيد: أنّ «الرجس» هاهنا الشيطان.

ـ قال: ـ وذكر ـ أي الطبري ـ بسنده إلى سعيد عن قتادة أنّه قال: قوله: ﴿إنّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِجسَ أهلَ البَيْت وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً﴾ فهُم أهل بيتٍ طهّرهم الله من السوء، وخصّهم برحمة منه.

ـ قال: ـ وقال ابن عطيّة: والرجس اسم يقع على الإثم والعذاب، وعلى النجاسات والنقائص، فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت.

ـ قال: ـ وقال الإمام النووي: قيل: هو الشكّ، وقيل: العذاب، وقيل: الإثم. قال الأزهري: «الرجس» اسم لكلّ مستقذر من عمل وغيره[1]. انتهى.

وفسّر الشيخ محي الدين بن العربي لفظ «الرجس» في الباب ٢٩ من فتوحاته بكلّ ما يشين، وإليك عبارته، قال:

وقد ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله قد طهّره الله وأهل بيته تطهيراً، وأذهب عنهم الرجس، وهو كلّ ما يشينهم، فإنّ الرجس هو القذر عند العرب، هكذا حكى الفرّاء[2]. إلى آخر كلامه.

---

١. الشرف المؤبّد: ٦، المقصد ١. راجع أيضاً تفسير الطبري ١٠: ٢٩٦، ح ٢٨٤٨٥ـ٢٨٤٨٦.

٢. الفتوحات المكيّة ٣: ٢٢٩.

ثانيهما: أنّها دلّت بالالتزام على إمامة أمير المؤمنين؛ لأنّه ادّعى الخلافة لنفسه، وادّعاها له الحَسنان وفاطمة، ولا يكونون كاذبين؛ لأنّ الكذب من الرجس الذي أذهبه الله عنهم وطهّرهم منه تطهيراً.

الفصل الثالث: في آية المودّة

وهي قوله تبارك وتعالى في آل حم الشورى: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ(١) وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهٰا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً﴾[1].

أجمع أهل البيت، وتصافق أولياؤهم في كلّ خلف على أنّ «القربى» هنا إنّما هم: عليّ وفاطمة وابناهما، وأنّ «الحسنة» في الآية إنّما هي مودّتهم، وأنّ الله تعالى غفور شكور لأهل ولايتهم.

---

(١) «القربى» مصدر كالزُلفى والبُشرى، وهي بمعنى القرابة[2]، والاستثناء هنا متّصل، والمعنى: لا أسألكم على أداء الرسالة شيئاً من الأجر إلّا أن تودّوا قرابتي، فهو على حدّ قول القائل:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلولٌ من قراع الكتائب[3]

ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً، أي لا أسألكم عليه أجراً قطّ ولكن أسألكم أن تودّوا قرابتي، وكيف كان فمودّتهم فريضة.

---

١. الشورى (٤٢): ٢٣ ـ ٢٤.

٢. لسان العرب ١: ٦٦٥ ـ ٦٦٦، «ق. ر. ب».

٣. حكاه الفخر الرازي في التفسير الكبير ١٤ (الجزء السابع والعشرون): ١٦٦، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).

وهذا عندنا من الضروريّات المفروغ عنها، وفيه صحاح متواترة عن أئمّة العترة الطاهرة[1]، وإليك ما هو مأثور عن غيرهم:

أخرج أحمد والطبراني والحاكم وابن أبي حاتم عن ابن عبّاس ـ كما نصّ عليه ابن حجر في تفسير الآية ١٤ من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب ١١ من صواعقه ـ قال:

لمّا نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال ﷺ: «عليّ وفاطمة وابناهما»[2]. انتهى.

وهذا الحديث أخرجه عن ابن عبّاس أيضاً ابن المنذر، وابن مردويه(١)، والمقريزي(٢)، والبغوي، والثعلبي في تفاسيرهم[3]، والجلال السيوطي(٣) في دُرّه المنثور، والحافظ أبونعيم في حليته، والحمويني الشافعي في فرائده[4]،

(١) فيما نقله عنهما النبهاني في أربعينه[5].

(٢) فيما نقله النبهاني عنه في الشرف المؤبّد[6].

(٣) فيما نقله عنه في الشرف المؤبّد[7].

١. للمزيد راجع نور الثقلين ٤: ٥٧٠ ـ ٥٧٥، ح ٥٩ ـ ٧٦.

٢. راجع: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٦٩، ح ١١٤١؛ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٠: ٣٢٧٦، ح ١٨٤٧٣؛ المعجم الكبير ٣: ٤٧، ح ٢٦٤١؛ شواهد التنزيل ٢: ١٣٣ ـ ١٣٤، ح ٨٢٧؛ الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١١، الفصل ١.

٣. انظر: معالم التنزيل ٤: ١٢٥؛ الكشف والبيان ٨: ٣١٠، ذيل الآية.

٤. انظر: حلية الأولياء ٣: ٢٠١، الرقم ٢٣٦؛ فرائد السمطين ٢: ١٣، ح ٣٥٩.

٥. مجموع الأربعين أربعين: ٢١٤. راجع أيضاً: الدرّ المنثور ٧: ٣٤٨، ذيل الآية؛ مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٣١٦، ح ٥٢١.

٦. الشرف المؤبّد: ٨٠، المقصد ٣.

٧. المصدر؛ الدرّ المنثور ٧: ٣٤٨، ذيل الآية.

وغيرهم من المفسّرين[١] والمحدّثين[٢].

وأرسله الزمخشري في كشّافه، واستدلّ على اعتباره بروايات رواها في الكشّاف عن رسول الله ﷺ.

فمنها: ما روى عن عليّ قال: «شكوت إلى رسول الله حسدَ الناس لي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين؟».

ومنها: قوله ﷺ: «حرّمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي».

ومنها: قول رسول الله ﷺ: «من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً(١)، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد

---

(١) المراد من «آل محمّد» في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث المجموع باعتبار أئمّتهم الذين هم خلفاء رسول الله ﷺ، وأوصياؤه، ووارثو حكمه وأولياؤه، وهم الثقل الذي قرنه بالقرآن، ونصّ على أنّهما لا يفترقان فلا يضلّ من تمسّك بهما ولا يهتدي من أعرض عن أحدهما.

وليس المراد هنا من «الآل» جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكلّ فردٍ فردٍ؛ لأنّ هذه المرتبة السامية لأولياء الله خاصّة.

نعم، تجب محبّة جميع أهل بيته وكافّة ذرّيّته؛ لانتسابهم إليه ﷺ، وفي ذلك تحصل الزلفى لله تعالى، والشفاعة من رسوله ﷺ.

---

١. كابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١٠: ٣٢٧٦، ح ١٨٤٧٣، والبيضاوي في تفسيره ٤: ٩١، والطبرسي في مجمع البيان ٩: ٢٨، وأبي حيّان في البحر المحيط ٧: ٤٩٤، والآلوسي في روح المعاني ٢٥: ٣١، ذيل الآية.

٢. كابن المغازلي في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٢٥٨ ـ ٢٥٩، ح ٣٥٢، والحسكاني في شواهد التنزيل ١: ١٣٠ ـ ١٣٥، ح ٨٢٢ ـ ٨٢٨، والإربلي في كشف الغمّة ١: ١٤١، ومحبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى: ٢٥، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٦٦، ح ١٤٩٨٢، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٤٥٣ ـ ٤٥٤، الباب ٥٩، ح ٢٥٧، والشبلنجي في نور الأبصار: ٢٢٧.

مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّرَه ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يُزَفُّ إلى الجنّة كما تُزَفُّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة،ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله»[١]. الحديث.

وأخرجه الإمام الثعلبيفي تفسيره الكبير عن جريربن عبدالله البجلي[٢]، وأورده غير واحد من المحدّثين[٣]، والمفسّرين[٤]، ومؤلّفي المناقب[٥].

وأنت تعلم أنّ هذه المنزلة السامية إنّما ثبتت لهم من الله تعالى؛ لأنّهم خلفاؤه في أرضه، وأولياؤه في بسطه وقبضه، وحججه البالغة، ومناهل شرائعه السائغة، وأُمناؤه بعد النبيّ على وحيه، وسفراؤه في أمره ونهيه، فالمحبّ لهم بسبب ذلك محبّ لله، والمبغض لهم مبغض لله، ومن هنا قال فيهم الفرزدق:

من معشر حبُّهم دينٌ، وبغضُهُمُ كفرٌ، وقربُهُمُ مَنجىً ومعتصَمُ

---

١. الكشّاف ٤: ٢٢٠ ـ ٢٢١، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).

٢. الكشف والبيان ٨: ٣١٤، ذيل الآية ٢٤ من سورة الشورى (٤٢).

٣. كالطبراني في المعجم الأوسط ٣: ١٢٢، ح ٢٢٥١، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٧٢، ح ١٥٠٠٧، والسيوطي في إحياء الميّت: ٦٣، ح ١٨.

٤. كالفخر الرازي في التفسير الكبير ١٤ (الجزء السابع والعشرون): ١٦٦ ـ ١٦٧، والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١٦: ١٦ ـ ١٧، ذيل الآية.

٥. كالسمهودي في جواهر العقدين: ٣٣٣، وابن حجر في الصواعق المحرقة: ٢٣٢ ـ ٢٣٣، باب وصيّة النبيّ ﷺ، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٣٦٥ و٤٥٩، الباب ٥٧، ح ٤١ و٢٧٤، والنبهاني في الشرف المؤبّد: ٨٣، المقصد ٣.

إنْ عُـدّ أهـل التـقى كـانوا أئـمّتَهُمْ أو قيل: مَنْ خيرُ الأرض؟ قيل: هُمُ[1]

وأخرج الحاكم[2] ـ كما في تفسير هذه الآية من مجمع البيان[3] ـ بالإسناد إلى أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله: «إنّ الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتّى، وخلقت أنا وعليّ من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعليّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى. ولو أنّ عبداً عبدالله [بين الصفا والمروة][4] ألف عام ثمّ ألف عام ثمّ ألف عام حتّى يصير كالشنّ البالي وهو لا يحبّنا، كبّه الله على منخريه في النار» ثمّ تلا ﴿قُلْ لاٰ اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْراً اِلّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبىٰ﴾. انتهى.

وأخرج أبوالشيخ[5] وغيره[6] ـ كما في الصواعق وغيرها[7] ـ عن عليّ عليه السلام: «فينا في «آل حم» آية، لايحفظ مودّتنا إلّا كلّ مؤمن» ثمّ قرأ: ﴿قُلْ لا اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْراً اِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً اِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

وإلى هذا أشار الكميت بقوله:

وجَدْنا لكم في آل حَم آيةً تأوّلها منّا تقيٌّ ومُعْرِبُ[8]

---

١. ديوان الفرزدق: ٤٥٦.

٢. شواهد التنزيل ٢: ١٤١ ـ ١٤٢، ح ٨٣٧ بتفاوت في بعض الألفاظ.

٣. مجمع البيان ٩: ٢٨ ـ ٢٩، ذيل الآية ٢٤ من سورة الشورى (٤٢) بتفاوت يسير.

٤. أضفناه من المصدر.

٥. حكاه عنه الحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ١٤٢، ح ٨٣٨، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٣٥٨، الباب ٥٨، ح ٢٣.

٦. كأبي نعيم في ذكر أخبار أصبهان ٢: ١٦٥، ترجمة قتيبة بن مهران، والطبرسي في مجمع البيان ٩: ٢٩.

٧. الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١، الفصل ١. راجع أيضاً ينابيع المودّة ٢: ٤٥٤، الباب ٥٩، ح ٢٥٩.

٨. حكاه عنه الطبرسي في مجمع البيان ٩: ٢٨، والآلوسي في روح المعاني ٢٥: ٣١، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢). راجع أيضاً الروضة المختارة: ٢٧.

وأخرج البزّار[١] والطبراني[٢] وغيرهما[٣] ـ كما في الصواعق وغيرها[٤] ـ عن الإمام أبي محمّد الحسن السبط المجتبى بطرق مختلفة أنّه خطب خطبة قال فيها: «وأنا من أهل البيت الذين افترض الله ـ عزّ وجلّ ـ مودّتهم وموالاتهم، فقال: فيما أنزل على محمّد ﴿قُلْ لا اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْراً اِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبٰى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ حُسْناً﴾ ـ قال: ـ واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت». انتهى.

وأخرج الطبراني[٥] ـ كما في الصواعق وغيرها[٦] ـ عن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه لمّا أُقيم ـ بأبي هو وأمّي ـ أسيراً على درج دمشق قال له بعض جفاة أهل الشام: الحمد لله الذي قتلكم، فقال له: «أما قرأت: ﴿قُلْ لا اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجراً إلّا المَوَدَّةَ فى القُرْبٰى﴾ (١)» قال: وأنتم هم؟ قال: «نعم». انتهى.

وأخرج أحمد بن حنبل[٧] ـ كما في الصواعق[٨] أيضاً ـ عن ابن عبّاس في قوله

(١) رواه النبهاني في المقصد الثالث من كتابه الشرف المؤبّد عن السدي، عن أبي الديلم[٩].

١. حكاه عنه القندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٣٥٨، الباب ٥٨، ح ٢٤.

٢. راجع المعجم الأوسط ٣: ٨٨، ح ٢١٧٦.

٣. كالحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤: ١٦٥، ح ٤٨٥٥، وابن المغازلي في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٣٠٤ ـ ٣٠٥، ح ٤٣٢، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٧٣، ح ١٥٠١٠.

٤. الصواعق المحرقة: ١٧٣، الباب ١، الفصل ١. راجع أيضاً ينابيع المودّة ٢: ٤٥٤، الباب ٥٩، ح ٢٥٩.

٥. لم نعثر عليه في كتبه.

٦. الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١، الفصل ١؛ ينابيع المودّة ٢: ٤٥٤ ـ ٤٥٥، الباب ٥٩، ح ٢٦٠.

٧. حكاه عنه البحراني في غاية المرام ٣: ٢٣٠، الباب ٥ من المقصد الثاني، ح ١.

٨. الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١، الفصل ١.

٩. الشرف المؤبّد: ٨٢، المقصد ٣. رواه عنهما أيضاً الطبري في جامع البيان ١١: ١٤٤، ح ٣٠٦٧٧، وابن أعثم في الفتوح ٥: ٢٤٢، والخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ٢: ٦٨ ـ ٦٩.

تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِف حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً﴾ قال: هي المودّة لآل محمّد.

وأخرجه ابن أبي حاتم[١] ـ كما في الشرف المؤبّد(١) ـ عن ابن عبّاس أيضاً.

وعن أبي حمزة الثمالي في تفسيره عن ابن عبّاس: أنّه حين استحكم الإسلام بعد الهجرة قالت الأنصار: نأتي رسول الله فنقول له: قد تعروك أُمور فهذه أموالنا تحكم فيها كيف شئت، فأتوه بذلك فنزلت الآية فقرأها عليهم، وقال: «تودّون قرابتي من بعدي» فخرجوا مسلّمين لقوله. وقال المنافقون: إنّ هذا لشيء افتراه في مجلسه أراد به أن يذلّلنا لقرابته من بعده، فنزلت: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً﴾[٢]. الحديث.

وقد أخرج الثعلبي والبغوي ـ كما في الصواعق ـ عن ابن عبّاس أيضاً مثله[٣].

قاتل الله الحسد يورد أهله الدرك الأسفل من النار. انظر كيف خرج هؤلاء من الدين، وكذّبوا ـ حسداً لأولياء الله ـ نبيّهم وهو الصادق الأمين، فأنزل الله تعالى في نفاقهم قرآناً يتلوه المسلمون آناء الليل وأطراف النهار، ومع ذلك فإنّ بذرة أهل النفاق والحسد قد أجذرت بتعاهد أُولي السلطة لها من بني أُميّة

---

(١) راجع منه صفحة ٩٥[٤].

---

١. حكاه عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٧: ٣٤٨، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).

٢. حكاه عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٧: ٣٤٨، والطبرسي في مجمع البيان ٩: ٢٨، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢). راجع أيضاً تفسير القرآن العظيم لأبي حمزة الثمالي: ٢٩٣ ـ ٢٩٤، ذيل الآية.

٣. الكشف والبيان ٨: ٣١٤؛ معالم التنزيل ٤: ١٢٥، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢)؛ الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١، الفصل ١.

٤. الشرف المؤبّد: ٩٥، المقصد ٣.

وغيرهم بما يستوجب نُمُوَّها، وجمهور المسلمين غافلون، فالتبس الأمر ووقعت الشبهة.

وإنّما دخل البلاء باعتماد الجمهور على كلّ من كان في الصدر الأوّل، وبنائهم على عدالة كلّ فرد ممّن كانت له صحبة، مع مايتلونه في الكتاب والسنّة من شؤون المنافقين(١)، وتربّصهم الدوائر بسيّد النبيّين والمرسلين ﷺ، واشتدّ البلاء بالمنع من الخوض في تلك الأحوال، وسدّهم باب البحث عن حقائق أُولئك الرجال، فضيّعوا على أنفسهم كثيراً من الحقائق، وربما نسجوا من حيث لا يقصدون على منوال كلّ منافق، ولذلك اختلفوا في هذه الآية مع ما سمعت بعضه من النصوص الجليّة في نزولها بمودّة العترة الزكيّة.

---

(١) وحسبهم من الكتاب سورتا التوبة والأحزاب، فإنّ فيهما الذكرى لأُولي الألباب: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[1].

وناهيك من السنّة باب «الحوض» من كتاب الرقاق من صحيح البخاري، وباب قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[2]. وهو في كتاب بدء الخلق من الصحيح المذكور أيضاً[3]، وما أخرجه أحمد بن حنبل في آخر الجزء الخامس من مسنده عن أبي الطفيل[4]، فراجع.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[5].

---

١. التوبة (٩): ١٠١.

٢. صحيح البخاري ٥: ٢٤٠٤ـ٢٤٠٩، ح ٦٢٠٥ ـ ٦٢٢٠، والآية في سورة النساء (٤): ١٢٥.

٣. المصدر ٣: ١٢٢٢ـ١٢٢٦.

٤. راجع مسند أحمد ٩: ٢٠٧ـ٢١٢.

٥. آل عمران (٣): ١٤٤.

[أقوال المخالفين في معنى الآية]

والذي عرفناه من أقوال المخالفين أربعة مذاهب:

الأوّل: أنّ الله تعالى أمر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يقول لمشركي قريش: **﴿لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبٰى﴾** يعني إلّا أن تودّوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم[١].

وهذا مردودٌ بوجوه:

أحدها: أنّ الآية مدنيّة، كما سمعته قريباً عن تفسيري البغوي والثعلبي[٢]، وستسمعه عن غيرهم أيضاً[٣]، فأين مشركو قريش عنها؟

ثانيها: أنّ سبب نزولها بحكم ما سمعته[٤] وما ستسمعه[٥] من الأخبار، إنّما هو عرض الأنصار أموالهم على رسول الله صلى الله عليه وآله أو مفاخرتهم لبني هاشم، فيكون الخطاب معهم لا مع مشركي قريش.

ثالثها: أنّه لا يصحّ أن يكون الخطاب مع المشركين، إذ يقبح من الحكيم أن يطلب الأجر على أداء الرسالة ممّن كفر بها، وبلغ الغاية في جحودها وتكذيبها، وإنّما يحسن ذلك ممّن آمن بها، وعدّها نعمة عليه.

رابعها: أنّ هذا القول مخالف لما سمعته من النصّ على أنّها نزلت في مودّة عليّ وفاطمة وابنيهما[٦].

---

١. حكاه الفخر الرازي في التفسير الكبير ١٤ (الجزء السابع والعشرون): ١٦٥، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).

٢. تقدّم في ص ٤٤، الهامش ٣.

٣ و ٥. سيأتي في ص ٥١.

٤. تقدّم في ص ٤٤.

٦. تقدّم في ص ٣٩ ـ ٤٠.

خامسها: أنّه إنّما هو قول عكرمة، وتبعه فيه جماعة من صنائع بني أُميّة وأعداء أهل البيت، كما كنّا أوضحناه في كتابنا سبيل المؤمنين[١]، وهؤلاء لاتقبل أقوالهم ولا سيّما في مثل المقام، وقد عرفت أنّ عكرمة من دعاة الخوارج وكذبة المحدّثين، كما بيّنّاه في الفصل السابق[٢].

وأخطأ من نسب هذا القول إلى ابن عبّاس؛ اعتماداً على خبر رواه البخاري في باب قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ من كتاب تفسير القرآن من صحيحه، عن محمّد بن بشار، عن محمّد بن جعفر[٣]، وهما ضعيفان بإجماع الإماميّة، ووافقهم يحيى بن معين ـ كما في ميزان الاعتدال[٤] ـ على تضعيف محمّد بن بشار، بل كذّبه الفلّاس، فراجع.

وكيف يقول ابن عبّاس في تفسير «القربى» غير الذي قلناه، مع ما سمعته من الأحاديث الثابتة عنه في تفسير «القربى» بعليّ وفاطمة وابنيهما، وتفسير «الحسنة» بمودّتهم؟[٥]

الثاني: من مذاهب المخالفين في تفسير الآية أنّ معناها: قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا أن تودّوا القربى من الله ـ عزّ وجلّ ـ بالأعمال الصالحة[٦].

الثالث: أنّ معناها: إلّا أن تودّوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم[٧].

وأنت تعلم أنّ أصحاب هذه الأقاويل ما أرادوا بها غير التمويه والتضليل،

---

١. من كتبه المفقودة. للمزيد راجع: الموسوعة ج ٧، بغية الراغبين، مؤلّفاتي، الرقم ٦، والمطلب الثاني من هذه الرسالة، الرقم ٤ من نفائسه المفقودة.

٢. راجع ص ٢٣ ـ ٢٨.

٣. صحيح البخاري ٤: ١٨١٩، ح ٤٥٤١. ورواه عن ابن عبّاس في ٣: ١٢٨٩، ح ٣٣٠٦.

٤. ميزان الاعتدال ٣: ٤٩٠، الرقم ٧٢٦٩.

٥. راجع ص ٣٨ و ٤٤.

٦. نسبه الفخر الرازي إلى الحسن في التفسير الكبير ١٤ (الجزء السابع والعشرون): ١٦٦، ذيل الآية.

٧. حكاه الآلوسي عن عبدالله بن القاسم في روح المعاني ٢٥: ٣٢، ذيل الآية.

وحسبهم في ردّها أنّها في مقابل النصّ والدليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

الرابع: أنّ الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة سبأ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾[1] و[2].

وهذا من أغرب الأقاويل وأعجب الأباطيل؛ لأنّ وجوب مودّة القربى بكلّ المعاني مستمرّ إلى يوم القيام بحكم الضرورة من دين الإسلام، فما معنى هذا النسخ يا مسلمون؟

على أنّه لا تنافي بين الآيتين لتكونا من قبيل الناسخ والمنسوخ؛ فإنّ معنى آية الشورى: لا أسألكم على أداء رسالتي شيئاً من الأجر إلّا مودّة قرابتي، ومعنى آية سبأ: إنّي ما سألتكم على أداء رسالتي شيئاً من عرض الدنيا، والذي طلبته منكم في سورة الشورى أجراً عليه من مودّة قرابتي فإنّما هو لكم لا لي؛ لأنّ قرابتي حجج الله البالغة لديكم، ونعمه السابغة عليكم، وهم أمان أهل الأرض، وباب حطّة، وسفينة نجاة هذه الأُمّة، وهم كالقرآن الحكيم، فمودّتهم لازمة لكم، ومنافعها إنّما هي عائدة عليكم. فارجع البصر هداك الله وأمعن النظر في الآيتين، وهما قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[3] وقوله سبحانه: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾[4] تجد الثانية مؤكّدة لمفاد الأُولى، ومشوّقة إليه، كما لا يخفى.

---

١. سبأ (٣٤): ٤٧.

٢. نسبا الثعلبي والبغوي هذا القول إلى الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل، راجع: الكشف والبيان ٨: ٣١٣، ذيل الآية؛ معالم التنزيل ٤: ١٢٥؛ الصواعق المحرقة: ١٧١، الباب ١١، الفصل ١.

٣. الشورى (٤٢): ٢٣.

٤. سبأ (٣٤): ٤٧.

وبقي للقوم اعتراضان:

أحدهما: أنّهم قالوا: لو أراد الله من الآية مودّة القربى لقال: «إلّا مودّة القربى» أو «إلّا المودّة للقربى».

والجواب: أنّ هذا تغافل عمّا لا يغفل عنه ذو حظّ من فهم، وتجاهل بما لا يجهله الخبير بمواقع الكلام؛ لأنّ الإضافة واللام هنا لا يفيدان ما أفادته «في» من المبالغة بمودّة القربى(١) بجعلهم موضع الودّ والموالاة، كما يعلمه جهابذة الكلام العربي ويشهد به أئمّة البلاغة.

قال الزمخشري في كشّافه[1] بعد تفسير القربى بمن ذكرناهم عليهم السلام:

فإن قلت: فهلّا قيل إلّا مودّة القربى، أو إلّا المودّة للقربى، وما معنى قوله: إلّا المودّة في القربى؟ قلت: جُعِلوا مكاناً للمودّة، مقرّاً لها، كقولك: لي في آل فلان مودّة، ولي فيهم هوى وحبّ شديد، تريد: أُحبّهم وهم مكان حبّي ومحلّه، وليست «في» بصلة المودّة كاللام إذا قلت: إلّا المودّة للقربى، إنّما هي متعلّقة بمحذوف تعلّق الظرف به في قولك: المال في الكيس، وتقديره إلّا المودّة ثابتة في القربى ومتمكّنة فيه.

هذا كلام الزمخشري بعين لفظه، ولله درّه ما أوفر نصيبه من الإحاطة بالأسرار التي لا تتناهى البلاغة ولا يتمّ الإعجاز إلّا بها!

---

(١) قال النبهاني ـ حيث أورد الآية في الشرف المؤبّد ـ:

القربى مصدر بمعنى القرابة، وهو على تقدير مضاف، أي ذو القربى يعني الأقرباء. ـ قال: ـ وعبّر بـ«في» ولم يعبّر بـ«اللام» لأنّ الظرفيّة أبلغ وآكد للمودّة[2]. انتهى.

---

١. الكشّاف ٤: ٢١٩، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).

٢. الشرف المؤبّد: ٨٠، المقصد ٣.

ثانيهما: أنّهم قالوا: هذه الآية في سورة الشورى، وهي مكّيّة، والحسنان وُلدا في المدينة، فلا يمكن إرادتهما منها.

والجواب: أنّ هذه الآية وما بعدها إلى آخر ثلاث آياتٍ مدنيّةٌ قطعاً بحكم الأخبار المتظافرة من طريق العترة الطاهرة[1]، وقد روى ذلك صاحب مجمع البيان عن ابن عبّاس وقتادة[2]، ويدلّ عليه ما سمعته قريباً عن أبي حمزة الثمالي وتفسيري الثعلبي والبغوي[3].

وحسبك ما ذكره الإمام الواحدي في كتابه أسباب النزول[4] حيث قال:

قال ابن عبّاس: لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق، وليس في يده لذلك سعة، فقال الأنصار: إنّ هذا الرجل قد هداكم الله به، وهو ابن اُختكم وتنوبه نوائب وحقوق، وليس في يده لذلك سعة، فاجمعوا له من أموالكم ما لا يضرّكم، فأتوه به ليعينه على ماينوبه، ففعلوا، ثمّ أتوه به فقالوا: يا رسول الله إنّك ابن اُختنا، وقد هدانا الله تعالى على يديك وتنوبك نوائب وحقوق ليس لك سعة، فرأينا أن نجمع لك من أموالنا فنأتيك به فتستعين على ما ينوبك وهو هذا، فنزلت ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبىٰ﴾. انتهىٰ.

وهذا الحديث موجود أيضاً في الكشّاف[5] وغيره من التفاسير المعتبرة والكتب المؤلّفة في أسباب نزول.

وفي الكشّاف وغيره[6] رواية اُخرى في سبب نزولها، جاء فيها: أنّ الأنصار

---

١. للمزيد راجع: تفسير الصافي ٤: ٣٧٢ ـ ٣٧٥؛ نور الثقلين ٤: ٥٧٠ ـ ٥٧٦، ح ٥٩ ـ ٨٢.

٢. مجمع البيان ٩: ٢٠، ابتداء سورة الشورى (٤٢).

٣. تقدّم في ص ٣٩.

٤. أسباب النزول: ٣١٢.

٥. راجع: شواهد التنزيل ٢: ١٣٨ ـ ١٣٩، ح ٨٣٥ ـ ٨٣٦؛ الكشّاف ٤: ٢١٩؛ الدرّ المنثور ٧: ٣٤٨.

٦. الكشّاف ٤: ٢٢٠. راجع أيضاً: تفسير الطبري ١١: ١٤٤، ح ٣٠٦٧٨؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤: ١٢١؛ الدرّ المنثور ٧: ٣٤٧، ذيل الآية.

فاخروا بعض بني هاشم، فعاتبهم النبيّ ﷺ بذلك، فجثوا على الركب وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله، فنزلت الآية فقرأها عليهم.

أليست هذه الأخبار كلّها صريحة بنزول الآية في المدينة، وأنّ المخاطبين فيها إنّما هم الأنصار؟ ولا ينافي ذلك كونها في سورة مكّيّة؛ لأنّ ترتيب الكتاب العزيز في الجمع ليس على حسب ترتيبه في النزول إجماعاً وقولاً واحداً(١). ومن ثمّة كان أغلب السور المكّيّة لا يخلو من آيات مدنيّة، وكذلك أكثر السور المدنيّة لا يخلو من آيات مكّيّة، بحكم أئمّة السلف والخلف من الفريقين(٢). ووصف

---

(١) ألا ترى أنّ الأغلب من أواخره مكّي، والأكثر من أوائله مدني، فلو كان مرتّباً على حسب نزوله لوجب تقديم بعض ما أُخّر، وتأخير بعض ما قدّم. ولكانت سورة العلق في أوائله، وسورة براءة في آخره؛ بناءً على ما رواه البخاري عن سليمان بن حرب، عن شعبة[١]. ورواه مسلم عن بندار، عن غندر، عن شعبة أيضاً[٢]. ولكانت آخر آية من آياته قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾[٣] أو آخر آية من سورة النساء[٤]، أو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾[٥] الآية، كما لا يخفى على من راجع الكتب المؤلّفة في هذا الموضوع.

(٢) فراجع إن شئت التفصيل أوائل السور من مجمع البيان في تفسير القرآن، أو من تفسيري الطبري والرازي الكبيرين، أو من الكشّاف، أو أوّل كلّ من المائدة ←

---

١. راجع صحيح البخاري ٤: ١٦٨١ ـ ١٦٨٢، ح ٤٣٢٩. راجع أيضاً ١٥٨٦، ح ٤١٠٦، و ١٧٠٩، ح ٤٣٧٧.

٢. انظر صحيح مسلم ٤: ٢٣٢٢، كتاب التفسير، ح ٣١.

٣. راجع صحيح البخاري: ١٦٥٢، ح ٤٢٧٠، والآية في سورة البقرة (٢): ٢٨١.

٤. راجع المصدر: ١٦٨١ ـ ١٦٨٢، ح ٤٣٢٩.

٥. راجع المصدر ٤: ١٥٨٦، ح ٤١٠٦، و١٦٨١ ـ ١٦٨٢، ح ٤٣٢٩، و١٧٠٩، ح ٤٣٧٧ والآية في سورة التوبة (٩): ١٢٨.

السورة بكونها مكّيّة أو مدنيّة تابع لأغلب آياتها، كما صرّح به أئمّة هذا الفنّ من أهل المذاهب كلّها.

على أنّه لا مانع من تناول الآية الكريمة للحسنين عليهما السلام حتّى لو فرضنا نزولها بمكّة قبل ولادتهما؛ لأنّ المودّة فيها غير مقصورة على من كان من القربى موجوداً حين نزولها، بل هي ثابتة فيهم، وهم على الإطلاق مكانها، كما سمعت.

وبناءً على هذا تكون الآية نظير قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾[١] أترى أحداً من المسلمين قصر هذه الوصيّة على من كان موجوداً من الأولاد حين نزولها؟ كلّاً بل لم يتوهّم ذلك ابن أُنثى، فليت شعري ما الفرق بين الآيتين؟

وأمّا ماسمعته من قول النبيّ صلى الله عليه وآله في تفسير القربى: «هم عليّ وفاطمة وابناهما»[٢]

← والأعراف والرعد والإسراء والكهف ومريم والحجّ والشعراء والقصص والروم ولقمان وسبأ والزمر والزخرف والدخان والرحمن والمجادلة، من كتاب تفسير القرآن من إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري[٣]، وسائر المؤلّفات في هذا الموضوع.

وبعد التتبّع قل لي: كيف ألغى المعترضون صحاح الأخبار المفسّرة للقربى بما قلناه، وصرفوا الآية عن أهلها بمجرّد كونها في سورة يقال عنها مكّيّة؟! ومن أوحى إليهم أنّها ليست كأغلب المكّيّات وصفت بهذا الوصف باعتبار الغلبة؟ ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾[٤].

١. النساء (٤): ١١.

٢. تقدّم في ص ٣٩.

٣. إرشاد الساري ٧: ١٠٠ ـ ٣٧٤.

٤. النجم (٥٣): ٢٣.

فيجوز أن يكون متأخّراً عن نزولها، أو أنّه خبر من الله عزّ وجلّ بالغيب، فيكون من أعلام النبوّة.

ولا غرو فقد أخبر عن خلفائه وأنّهم اثنا عشر[١]، وأخبر عن يوم الجمل وكلاب الحوأب[٢]، وعن الفئة الباغية وقتلها عمّاراً[٣]، وعن الذين مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرميّة[٤]، وعن الناكثين والقاسطين والمارقين[٥]، وعن الضغائن لعليّ في نفوس قوم وأنّهم لا يبدونها له إلّا بعد فقده[٦]، وعن أشقى الآخرين وضربه سيّد

---

١. راجع: مسند أحمد ٧: ٤٠٣ ـ ٤١٨، ح ٢٠٨٣١، ٢٠٨٤٠، ٢٠٨٥٧، ٢٠٨٦٩، ٢٠٨٨٢، ٢٠٩٠٢، ٢٠٩٢١؛ صحيح البخاري ٦: ٢٦٤٠، ح ٦٧٩٦؛ دلائل النبوّة لأبي نعيم: ٤٢١ ـ ٤٢٢، ذكر ما أخبر به رسول الله ﷺ من الغيوب...؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٥١٩ ـ ٥٢٣، باب ما جاء في إخباره باثنى عشرة أميراً و...؛ البداية والنهاية ٦: ٢١٥ ـ ٢٢١، حوادث سنة ١١؛ الخصائص الكبرى ٢: ١٩٣ ـ ١٩٤، باب إخباره بالخلفاء بعده ثمّ... .

٢. مسند أحمد ٩: ٣١٠، ح ٢٤٣٠٨، و ٣٩٠ ـ ٣٩١، ح ٢٤٧٠٨؛ أعلام النبوّة للماوردي: ١٨١؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٤١٠ ـ ٤١١، باب ما جاء في إخباره بأنّ واحدة من اُمّهات المؤمنين تنبح عليها كلاب الحوأب... .

٣. الطبقات الكبرى ٣: ٢٥١ ـ ٢٥٣؛ مسند أحمد ٤: ١٨٠ ـ ١٨١، باب إخباره ﷺ بقتل عمّار بن ياسر؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ٤٧٣ ـ ٤٧٥، ح ٥٧١٠، ٥٧١٣ ـ ٥٧١٤؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٤٢٠ ـ ٤٢١، باب ما جاء في إخباره عن الفئة الباغية؛ البداية والنهاية ٦: ٢٣٩ ـ ٢٤٠، حوادث سنة ١١؛ الخصائص الكبرى ٢: ٢٣٩، باب إخباره ﷺ بقتل عمّار بن ياسر؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٧: ٤٨٥ ـ ٤٨٧، ح ١٢٠٤٨ ـ ١٢٠٥٥.

٤. راجع: صحيح مسلم ٢: ٧٤٠ ـ ٧٤٥، كتاب الزكاة، ح ١٤٢ ـ ١٤٨؛ سنن أبي داود ٤: ٢٤٣ ـ ٢٤٥، ح ٤٧٦٤ ـ ٤٧٦٨؛ البداية والنهاية ٦: ٢٤٢، حوادث سنة ١١؛ كنز العمّال ١١: ٢٩٤ ـ ٢٩٥، ح ٣١٥٥٥، و٢٨٦ ـ ٢٨٧، ح ٣١٥٤٠.

٥. المعجم الكبير ١٠: ٩١، ح ١٠٠٥٤؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١١٥، ح ٤٧٢٥ ـ ٤٧٣٠؛ مسند أبي يعلى ١: ٣٩٧، ح ٥١٩؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٧: ٤٨١، ح ١٢٠٤٢ ـ ١٢٠٤٥؛ كنز العمّال ١١: ٢٩٢، ح ٣١٥٥٢ ـ ٣١٥٥٣.

٦. المعجم الكبير ١١: ٦١، ح ١١٠٨٤؛ الكامل في ضعفاء الرجال ٧: ١٧٣، الرقم ٢٠٨٠؛ مسند أبي يعلى ١: ٤٢٧، ح ٥٦٥؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ١٥٥ ـ ١٥٦، ح ١٤٦٩٠ ـ ١٤٦٩١؛ كنز العمّال ١٣: ١٧٦، ح ٣٦٥٢٣.

الوصيّين بالسيف على هامته، وأنّ شيبته الكريمة تخضب من دم رأسه[١]، وعن حال بضعته الزهراء من بعده وأنّها أوّل بيته لحوقاً به[٢]، وعن محنة الحسن والذعاف[٣] الذي تجرّعه[٤]، وعن مصائب سيّد الشهداء في طفّ كربلاء، وعمّا لقيه أهل بيته من الإثرة والبلاء والقتل والتشريد والتطريد في البلاد[٥]، وعن ولاة الجور الذين يملكون من بعده أمر هذه الأُمّة، وعن بوائق بني أُميّة وبني مروان، وأنّ مدّتهم تكون ألف شهر[٦]، وعن بني العبّاس وملكهم[٧]، وعن فتنة نجد وطلوع قرن الشيطان منها[٨]، إلى

١. المستدرك على الصحيحين ٤: ١١٦ ـ ١١٧، ح ٤٧٣٤، و ١٢٠، ح ٤٧٤٠؛ دلائل النبوّة لأبي نعيم: ٤٢٣ ـ ٤٢٤، ذكر ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله من الغيوب؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٤٣٨ ـ ٤٤١، باب ما روي في إخباره بتأمير عليّ؛ الخصائص الكبرى ٢: ١٩٦، باب إخباره بالخلفاء بعده ثمّ ... .

٢. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٧٦٤، ح ١٣٤٥؛ صحيح البخاري ٣: ١٣٢٧، ح ٣٤٢٧؛ صحيح مسلم ٤: ١٩٠٤، كتاب فضائل الصحابة، ح ٩٧؛ أعلام النبوّة للماوردي: ١٨١؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٣٦٤، باب ما جاء في إخبار بنته بوفاته؛ البداية والنهاية ٦: ٢٢٤، حوادث سنة ١١.

٣. الذُّعاف: السمّ يقتل من ساعته. المعجم الوسيط: ٣١٢، «ذ. ع. ف».

٤. لم نعثر عليه.

٥. راجع: مسند أحمد ٤: ٤٨٢، ح ١٣٥٣٩، و ١٠: ١٨٠، ح ٢٦٥٨٦؛ المعجم الكبير ٣: ١٠٥ ـ ١١٠، ح ٢٨٠٧ ـ ٢٨٠٨، ٢٨١١ ـ ٢٨٢١؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٧١، ح ٤٨٧١؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٤٦٨ ـ ٤٧٢، باب ما روي في إخباره بقتل ابن ابنته ...؛ مسند أبي يعلى ١: ٢٩٨، ح ٣٦٣، و٦: ١٢٩ ـ ١٣٠، ح ٣٤٠٢؛ الخصائص الكبرى ٢: ٢١٢ ـ ٢١٤، باب إخباره صلى الله عليه وآله بقتل الحسين.

٦. الجامع الصحيح ٥: ٤٤٤ ـ ٤٤٥، ح ٣٣٥؛ تفسير الطبري ١٢: ٦٥٣، ح ٣٧٧١؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٥٠٩ ـ ٥١٢، باب ما جاء في رؤياه في ملك بني أُميّة، و٧: ٥٠٩ ـ ٥١٢، باب ما جاء في رؤياه في ملك بني أُميّة؛ تاريخ مدينة دمشق ٥٧: ٣٣٩ ـ ٣٤٢، الرقم ٧٣٢٩؛ البداية والنهاية ٦: ٢٧٢ ـ ٢٧٣، حوادث سنة ١١.

٧. دلائل النبوّة للماوردي: ١٨٣؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٦: ٥١٣ ـ ٥١٨، باب ما جاء في الإخبار عن ملك بني العبّاس؛ البداية والنهاية ٦: ٢٧٢ ـ ٢٧٧، حوادث سنة ١١.

٨. مسند أحمد ٢: ٤٦٠، ح ٥٩٩٤؛ صحيح البخاري ١: ٣٥١، ح ٩٩٠؛ الجامع الصحيح ٥: ٧٣٣، ح ٣٩٥٣؛ تاريخ مدينة دمشق ١: ١٣٣ ـ ١٣٤، باب دعاء النبيّ للشام بالبركة و ... .

مالا يحصى من إخباره عن الله تعالى بالمغيبات[١]، وقد رأتها الأُمّة بعد ذلك مثل فلق الصبح.

فعِلم الله الأزلي الذي وسع كلّ شيء قبل أن يكون شيء لا يضيق عن تولّد الحسنين من عليّ وفاطمة قبل أن يخلقهما تبارك وتعالى، وليس على الله بعزيز أن يبشّر بهما نبيّه ﷺ، ويفترض مودّتهما على الأُمّة قبل ولادتهما؛ لكرامتها عليه، وقرب منزلتهما منه سبحانه وتعالى، كما بشّر الله آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر النبيّين والمرسلين بمحمّد ـ صلّى الله عليه وآله وعليهم أجمعين ـ وعرّفهم جلالة قدره وعظم شأنه فآمنوا به وبخعوا لفضله.

ونحن مهما شككنا فلا نشكّ في أنّ «العترة» و«الكتاب» ثقلا رسول الله اللذان لا يضلّ مَن تمسّك بهما، وأنّ كلّاً منهما يفرغ عن الآخر؛ لأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض، وقد تواترت الأخبار عنهم في تفسير «القربى» بما ذكرناه.[٢]

وناهيك بذلك حجّة على ما قلنا أنّ تفسير «القربى» هنا بعليّ وفاطمة وابنيهما هو الذي ذهبت إليه جماهير أهل السنّة، وقطعت به أكابرهم(١).

---

(١) كما صرّح به غير واحد من الأعلام، كالسيّد الإمام أبي بكر بن شهاب الدين في كتابه رشفة الصادي[٣].

---

١. للمزيد راجع البداية والنهاية ٦: ٢٠٢ ـ ٢٨٨، حوادث سنة ١١.

٢. للمزيد راجع ص ٣٩ ـ ٤٤.

٣. رشفة الصادي: ٥٢. للمزيد راجع أيضاً ص ٣١ ـ ٣٣ منها.

وحسبك قول إمام الخلف منهم والسلف محمّد بن إدريس الشافعي :

يا أهل بيت رسول الله حُبُّكم فَرْضٌ من الله في القرآن أنزَلَهُ[(١)]
كفاكم من عظيمِ القدرِ أنّكم من لم يُصَلِّ عليكم لا صلاةَ لهُ

وقول الشيخ ابن العربي:

رأيت ولائي آل طه فريضة على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوثُ أجراً على الهدى بتبليغِهِ إلّا المودّة في القربى

وقال المعاصر النبهاني:

آل طه يا آل خير نبيّ جدّكم خيرةُ وأنتم خِيارُ
أذهب الله عنكم الرجس أهل الـ بيت قدماً فأنتم الأطهارُ
لم يَسَلْ جدّكم على الدين أجراً غير ودٍّ القربى ونِعْم الإجار

وحيث ثبت هذا عن أئمّة السنّة وجماهير الأُمّة، فلا مبالاة إذن بمخالفة من خالف، ولا بمجازفة من جازف، ممّن أشار النبهاني إليهم في كتابه الشرف المؤبّد، حيث ذكر بعضهم في خطبة الكتاب فقال:

> ومن هذا القبيل ما وقع في عصرنا في القسطنطنية سنة سبع وتسعين ومائتين وألف هجريّة من قوم جُهّال، غرقوا من أحوال البغضاء لآل محمّد في أوحال، فأخذوا يتأوّلون بجهلهم ما ورد من الآيات والأخبار في فضل أهل بيت النبوّة،

---

(١) البيتان الأوّلان نسبهما إلى الإمام الشافعي ابن حجر في صواعقه، والنهباني في شرفه[١]، وهما مشهوران عنه منتشران سائران، وقد نسب البيتين الأخيرين إلى ابن العربي صاحب الصواعق وغيره[٢].

---

١. الصواعق المحرقة: ١٧٥، الباب ١، الفصل ١؛ الشرف المؤبّد: ٩٩، المقصد ٣.

٢. الصواعق المحرقة: ١٧٠، الباب ١، الفصل ١. راجع أيضاً: رشفة الصادي: ٩٦؛ ديوان الإمام الشافعي: ١١٧.

ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومنبع الحكمة، ويخرجونها عن ظواهرها بأفهامهم السقيمة، وآرائهم الذميمة، ومع ذلك فقد زعموا أنّهم لأهل البيت من أهل المحبّة والوداد، ولم يعلموا أنّهم هائمون من الخذلان في كلّ وادٍ[1].

إلى آخر ما قال فيهم وفيمن نسجوا على منوالهم ممّن تقدّمهم، فراجع.

وقال في المقصد الثالث من الكتاب المذكور:

فقد رأينا من إذا سمع بذكر مزيّة امتاز بها أهل البيت، أو منقبة أُسندت إليهم ووصفوا بها من الله ورسوله ﷺ، أو السلف الصالح، أو علماء الأمّة أو أوليائها، يقطّب وجهه، ويتغيّر خلقه، ويودّ بلسان حاله أنّ تلك المزيّة لم تكن لهم، وقد يتكلّف الأقاويل الواهية، والأخبار الموضوعة، والآثار المصنوعة؛ ليطفئ بها نورالله ﴿وَاللهُ متمّ نُورِه وَلَوْ كَرِهَ الكافِرُون﴾[2].

هذا كلامه بعين لفظه، والحقّ ينطق منصفاً وعنيداً.

نسأل الله الهداية والتوفيق لنا ولجميع المسلمين بمنّه وكرمه إنّه أرحم الراحمين.

الفصل الرابع: في آيات الأبرار

وهي قوله ـ عزّ اسمه ـ في سورة الدهر: ﴿إِنَّ الاَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[3] إلى آخر السورة.

أجمع أولياء أهل البيت ـ تبعاً لكافّة أئمّتهم عليهم السلام ـ على نزولها في عليّ وفاطمة

---

١. الشرف المؤبّد: ٣.

٢. المصدر: ٨٢ ـ ٨٣، المقصد ٣، والآية في سورة الصفّ (٦١): ٨.

٣. الإنسان (٧٦): ٥ ـ ٧.

والحسن والحسين، وصحاحهم في ذلك متواترة من طريق العترة الطاهرة[1]، وهذا عندهم من الضروريّات التي لا يجهلها منهم أحد.

وقد أخرجه عن ابن عبّاس جماعة من أعلام غيرهم، كالإمام الواحدي في كتابه البسيط[2]، والإمام أبي إسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير[3]، والإمام أبي المؤيّد موفّق بن أحمد في كتاب الفضائل[4]، وغير واحد من الحفظة وأهل الضبط[5].

وإليك ما ذكره الزمخشري في تفسير السورة من الكشّاف[6] بعين لفظه قال:

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّ الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ناس معه، فقالوا: يا أباالحسن لو نذرت على ولديك، فنذر عليّ وفاطمة وفضّة جارية لهما إن برئا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض عليٌّ من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمّد، مسكينٌ من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلّا الماء، وأصبحوا صياماً، فلمّا أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف

١. راجع: الاختصاص للمفيد: ١٥٠ ـ ١٥١؛ نور الثقلين ٥: ٤٧١ ـ ٤٧٤، ح ٢١ و٢٢؛ غاية المرام ٤: ١٠٠ ـ ١٠٥، الباب ٧٢ من المقصد الثاني، ح ٢ ـ ٤.

٢. هذا الكتاب لم يصل إلينا، ولم نراه مطبوعاً.

٣. الكشف والبيان ١٠: ٩٩ ـ ١٠١، ذيل الآية ٥ من سورة الإنسان (٧٦).

٤. المناقب للخوارزمي: ٢٦٨ ـ ٢٧١، ح ١٥١.

٥. كالواحدي في أسباب النزول: ٣٧٨، والحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ٢٩٩ ـ ٣١٠، والفخر الرازي في التفسير الكبير ١٥ (الجزء الثلاثون): ٢٤٤، والسيوطي في الدرّ المنثور ٨: ٣٧١، والآلوسي في روح المعاني ٢٩: ١٥٧، ذيل الآية ٢٣ من سورة الإنسان (٧٦).

٦. الكشّاف ٤: ٦٧٠، ذيل الآية ٢٣ من سورة الإنسان (٧٦). للمزيد راجع أيضاً مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ٣٤١ ـ ٣٤٤.

عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك. فلمّا أصبحوا أخذ عليّ بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ فلمّا أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع قال: «ما أشدّ ما يسوؤني ما أرى بكم!» وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها، فساءه ذلك، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: خذها يا محمّد، هنّأك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة. انتهى. ونحن لا حاجة بنا إلى تضييع الوقت في إخراج أسانيد هذا الحديث، وطرقه إلى ابن عبّاس ومجاهد وأبي صالح وعطاء وغيرهم[١]، ولا إلى ذكر من أخرجه من حفّاظ الحديث وأئمّة التفسير بعد تواتره عن أئمّة الأبرار، وكونه ممّا لاريب فيه، وإنّما نشير إلى بعض ما تضمّنته تلك الآيات البيّنات من أسرار البلاغة ليتنبّه أُولو الألباب ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[٢].

إنّ علماء البيان وسائر أهل اللسان لا يرتابون في أنّ الجمع المحلّى بلام التعريف حقيقة في العموم، وهذا ممّا لايختلف فيه اثنان من أهل العربيّة، وأنت تعلم أنّ لفظ «الأبرار» في الآية جمع «برّ» أو «بارّ» محلّى باللام كماترى، فظهوره في الشمول والاستغراق ممّا لا ريب فيه.

وإنّما أطلق على عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام؛ تبياناً لكونهم أكمل الأبرار، وأذاناً بأنّهم الأخيار، وبرهاناً على أنّهم صفوة الصفوة، وحجّة على أنّهم خيرة الخيرة. فما عسى أن يقول القائلون في عظيم برّهم، أو يصف الواصفون سموّ قدرهم؟ وأيّ مدحة توازن مدحة الفرقان؟ وأيّ ثناء يكايل ثناء الذكر الحكيم؟ وأيّ عبارة فاضلة شريفة مقدّسة تكافئ قول الله تعالى فيهم؟

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، ﴿يَشْرَبُونَ﴾ الشراب الطيّب الطاهر يوم العطش الأكبر، ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ هي الزجاجة إذا كان فيها الشراب، ويسمّى الشراب

١. للمزيد راجع شواهد التنزيل ٢: ٣٠٣ ـ ٣١٠، ح ١٠٤٧ ـ ١٠٦١.

٢. الحاقّة (٦٩): ١٢.

نفسه كأساً أيضاً، وقد وصفها بقوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿كانَ مِزاجُها﴾ الذي تمزج به ماء من عين في الجنّة تسمّى ﴿كافوراً﴾ لأنّ ماءها في بياض الكافور ورائحته وبرودته، والدليل على أنّ كافوراً اسم عين في الجنّة قوله تعالى: ﴿عَيْناً﴾[1] بالنصب على أنّها عطف بيان أو بدل من «كافوراً»(١) ﴿يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللهِ﴾ عليّ وفاطمة والحسنان، وأمثالهم من الكاملين في العبوديّة لله سبحانه ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً﴾[2] إلى آخر ما اشتملت عليه آيات الفرقان من صفاتهم الكاملة.

وإنّما وصل فعل الشراب في الآية الأُولى بـ«من» الابتدائيّة، ووصله في الآية الثانية بـ«باء» الإلصاق؛ لأنّ الكأس مبتدأ شربهم، والعين يمزجون بها شرابهم، فيكون المعنى: يشربون الشراب بماء تلك العين، كما تقول: شربت الماء بالعسل.

وهذه العين ﴿يُفَجِّرُونَها﴾ أي يجرونها حيث شاؤوا من كلّ مكان أرادوا ﴿تفجيراً﴾ سهلاً يسيراً، لا تلحقهم فيه كافّة، ولا يجدون فيه من مشقّة.

---

(١) وقيل: تمزج لهم بالكافور وتختم بالمسك[3]، وقيل: بل فيها بياض الكافور ورائحته وبرده وكأنّها مزجت به[4]، وعلى هذين القولين تكون «عيناً» منصوبة على الاختصاص، أو على البدل من محلّ «كأس» بتقدير حذف مضاف، ويكون المراد من «الكأس» على هذا نفس الشراب لا الزجاجة، والتقدير حينئذ «إنّ الأبرار يشربون من شراب كان مزاجها كافوراً، شراب عين يشرب بها عباد الله».

---

١. الإنسان (٧٦): ٥.

٢. الفرقان (٢٥): ٦٣ ـ ٦٤.

٣. نسبه الزمخشري إلى قتادة في الكشّاف ٤: ٦٦٨، ذيل الآية ٦ من سورة الإنسان (٧٦).

٤. حكاه الزمخشري في الكشّاف ٤: ٦٦٩، ذيل الآية.

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى السبب في استحقاقهم لهذه الكرامة فقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ جواباً لسؤال مضمر، تقديره: ما الذي فعلوه فاستحقّوا به هذا الجزاء؟

وأنت تعلم أن ليس المراد من وصفهم بالوفاء بالنذر إلّا المبالغة في وصفهم بالتوفّر على أداء الواجبات؛ لأنّ من وفى بما أوجبه هو على نفسه كان بما أوجبه الله عليه أوفى، وتلك شهادة لهم من الله تعالى، ومن أصدق من الله قيلاً.

لم يقتصر سبحانه في تزكيتهم بهذه الشهادة على المبالغة في وصفهم بالتوفّر على أداء الواجبات حتّى بالغ في بُعدهم عن المحرّمات والشبهات بما وصفهم فيه من خشية الله والخوف من يوم القيامة، حيث قال ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾[1] يريد بذلك أنّ هذا الخوف العظيم يستوجب كونهم نصب أمره ونهيه، وتلك منزلة المعصومين.

ومن تدبّر القرآن الحكيم وغاص على أسراره البالغة، وجد في هذه الآيات البيّنات من عناية الله تعالى في هؤلاء الأبرار أمراً عظيماً، لا يوصف بكيف، ولا يقدّر بكم.

ألا ترى كيف رتّب هذه الشبهات في تزكيتهم، فكانت كلّ شهادة أكبر من سابقتها؛ إذ شهد أوّلاً بأنّهم يوفون بالنذر، ثمّ شهد ثانياً بأنّهم يخافون يوماً كان شرّه مستطيراً، فكانت أعظم من الأُولى؛ لدلالتها بصريح العبارة على رسوخ الإيمان بالله واليوم الآخر.

ثمّ شهد لهم ثالثاً بما هو أعظم من ذلك، فقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[2]. الضمير في «حبّه» للطعام على الأظهر، والمعنى أنّهم يطعمون

---

١. الإنسان (٧٦): ٧.

٢. الإنسان (٧٦): ٨.

الطعام مع حبّه؛ لشدّة جوعهم بسبب صومهم ثلاثة أيّام لا يذوقون في لياليها غير الماء، وهذا على حدّ قوله تعالى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[3].

وإنّما كانت هذه الشهادة أعظم؛ لكشفها عن كمال نفوسهم، وبلوغهم أقصى الغايات في حبّ الخير والإيثار على أنفسهم؛ إشفاقاً على المسكين، ورأفة باليتيم، وعِطْفة على الأسير. وأنت تعلم أنّهم لو لم يؤثروهم لما كان عليهم في ذلك من جناح، لكنّهم مثّلوا الحَنان والمرحمة بأجلى مظاهرهما حين لم يكونوا مكلّفين بذلك ولا مسؤولين عنه، وتلك من أفضل صفات المقرّبين.

بقي أعظم الشهادات وأجلّها، وأقوى الأدلّة على تزكيتهم وأدلّها، ألا وهو الذي أشار إليه سبحانه وتعالى حيث قال بلسان حالهم عن مكنون سرائرهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً﴾بفعلٍ تفعلونه ﴿وَ لَا شُكُورًا﴾ بقولٍ تقولونه: ﴿إِنَّا نَخَافُ(١) مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا﴾ موصوفاً على سبيل المجاز بكونه ﴿عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ شديد العبوس، تشبيهاً له في شدّته وضرره وتخويفه بالأسد العبوس، أو بالحاكم المتنمّر

---

(١) فعن مجاهد ـ كما في الكشّاف[4] وغيره[5] ـ أنّهم لم يقولوا حين أطعموا الطعام شيئاً، وإنّما علمه الله منهم فأثنى به عليهم، وهذا من عظيم عنايته بهم.

---

١. البقرة (٢): ١٧٧.

٢. آل عمران (٣): ٩٢.

٣. الحشر (٥٩): ٩.

٤. الكشّاف ٤: ٦٦٨ ـ ٦٦٩، ذيل الآية ٨ من سورة الإنسان (٧٦).

٥. كالطبري في جامع البيان ١٢: ٣٦١، ح ٣٥٧٨٧.

العبوس، ويجوز وصفه بصفة أهله؛ لعبوسهم يومئذٍ من شدّة أهواله، كقولهم: «نهارك صائم».

وأنت إذا تدبّرت بشائره لهم بالأمن من أهوال ذلك اليوم، تعرف مزيد عنايته بهمعليهم السلام؛ حيث لم يكتف منها ببشارة واحدة، بل جعل البشائر مترادفة متوالية، وكلّ واحدة منها أعظم من سابقتها.

قال أوّلاً: ﴿فَوَقٰهُمُ اللهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ﴾ تأميناً لهم من شرّه وضرّه، ثمّ أربى على ذلك فقال: ﴿وَلَقّٰهُمْ نَضْرَةً﴾ في وجوههم ﴿وَ سُرُوراً﴾ في قلوبهم بدل عبوس أعدائهم وحزنهم، ثمّ ترقّى في البشارة فقال: ﴿وَجَزٰاهُمْ بِمٰا صَبَرُوا﴾ على الإيثار مع شدّة الجوع؛ ابتغاء لمرضاة الله ﴿جَنَّةً وَحَرِيراً﴾.

ثمّ لم يكتف في البشارة بالجنّة على سبيل الإجمال حتّى فصل فيها أكثر الأحوال، فقال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهٰا عَلَى الْأَرٰائِكِ﴾ فهم في منتهى الراحة والرفاهة والغبطة والحبور، مستبشرين فكهين ﴿لاٰ يَرَوْنَ فِيهٰا شَمْساً﴾ حرّها يحمى ﴿وَلاٰ زَمْهَرِيراً﴾ برده يؤذي، فالشمس والزمهرير هنا كناية عن الحرّ والبرد(١).

وقد جمعوا بين البعد عنها ودنوّ الظلام عليهم، كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿وَدٰانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاٰلُهٰا﴾[1] بنصب «دانية» عطفاً على محلّ الجملة

(١) وقيل: إنّ «الزمهرير» هنا إنّما هو القمر؛ بقرينة مقابلته الشمس، وأنشدوا ممّا يدلّ على كونه من أسماء القمر:

وليلة ظلامها قد اعتكر   قطعتُها والزمهرير ما زَهَر[2]

وعلى هذا فالمعنى: أنّ الجنّة ضياء لا حاجة فيها إلى الشمس والقمر.

١. الإنسان (٧٦): ١١ ـ ١٤.

٢. حكاه الزمخشري في الكشّاف ٤: ٦٧٠، ذيل الآية ١٣ من سورة الإنسان (٧٦).

التي قبلها[١]؛ لأنها في محلّ النصب على الحاليّة من الممدوحين، والتقدير: متّكئين على الأرائك غير رائين شمساً ولا زمهريراً، ودانية عليهم ظلالها.

ثمّ لم يكتف سبحانه بهذا القدر من بيان كرامتهم حتّى قال: ﴿وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ والمعنى تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم؛ إذ الجملة هنا حاليّة من الضمير في «دانية»[٢].

والمراد من تذليل قطوفها جعلها ذللاً لا تمتنع على قاطفها متى أراد وكيف شاء، ويجوز أن تكون مأخوذة من الذلّ بمعنى الخضوع؛ لسهولة قطفها كيف شاء قطّافها.

---

(١) ويجوز عطفها على ﴿جنّة﴾ فيكون المعنى: وجزاهم جنّة وحريراً وجنّة أُخرى دانية عليهم ظلالها؛ إذ أنّهم وصفوا بالخوف من ربّهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا﴾ [١] وقد وعد الله الخائفين من ربّهم بجنّتين، فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [٢].

ويجوز أن نجعل «متّكئين» و«لا يرون» و«دانية» كلّها صفات الجنّة. وقرئ «ودانيةٌ» بالرفع على أن تكون خبراً مقدّماً، والمبتدأ المؤخّر ظلالها، والجملة في محلّ الحال، والتقدير: لا يرون شمساً ولا زمهريراً والحال أنّ ظلالها دانية عليهم.

(٢) ويجوز عطفها على ﴿دانية﴾، أي ودانية عليهم ظلالها ومذلّلة لهم قطوفها. وإذا جعلت «متّكئين»، و«لا يرون»، و«دانية» صفات للجنّة. فلتكن هذه الجملة صفة لها أيضاً.

هذا كلّه مع نصب «دانية»، أمّا مع رفعها على الإخبار بها عن «ظلالها» فتكون هي و«ظلالها» جملة ابتدائية، والجملة من «وذلّلت» معطوفة عليها.

---

١. الإنسان (٧٦): ١٠.

٢. الرحمن (٥٥): ٤٦.

ولو اكتفى ـ جلّ وعلا ـ بهذا القدر من بيان فوزهم في دار كرامته لكفاهم شرفاً وفضلاً، لكنّه سبحانه آثر الإطناب فيما تحدّى به من معجزات الكتاب؛ ليمثّل بذلك عنايته التامّة فيهم تمثيلاً، وليفضّلهم على من سواهم تفضيلاً فقال: ﴿وَيُطٰافُ عَلَيْهِمْ بِاٰنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَاَكْوٰابٍ﴾ خلقها الله تعالى بباهر قدرته وإتقان صنعه، فقال: كوني من جنس الفضّة في صفاء القوارير وشفيفها، ولذا ﴿كٰانَتْ قَوٰارِيرا[1] قَواريراً مِنْ فِضَّةٍ﴾ فتبارك الله أحسن الخالقين، كيف جمع فيها بين صفتي المعدنين المتباينين.

ثمّ لم يكتف سبحانه ببيان جنس تلك القوارير، وباهر وصفها حتّى وصفها أيضاً بقوله: ﴿قَدَّرُوهٰا﴾ في أنفسهم ﴿تَقْدِيراً﴾ خاصّاً على كيفيّات مخصوصة تشتهيها نفوسهم وتلذّ بها أعينهم، فجاءت كما قدّروا على حسب ما يتمنّون.

ثمّ شرح ـ تبارك وتعالى ـ ما يقع استعماله منهم في تلك الأكواب فقال: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهٰا كَأْساً﴾ أي خمرة موصوفة بقوله: ﴿كٰانَ مِزٰاجُهٰا﴾[1] الذي تمزج به ماء من عين في الجنّة تسمّى ﴿زَنْجَبِيلاً﴾.

ويدلّك على أنّ «زنجبيلاً» اسمٌ لعينٍ في الجنّة، قوله تعالى: ﴿عَيْناً فِيهٰا﴾ بالنصب، على أنّها عطف بيان، أو بدل من «زنجبيلاً».

ويجوز نصبها على الاختصاص، أو على كونها بدلاً من «كأساً» بتقدير حذف مضاف، ويكون المعنى: ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً، كأس عين ﴿تُسَمّٰى سَلْسَبِيلاً﴾ لكونها في منتهى السلاسة، يقال: شراب سلسل وسلسال إذا كان سلساً سائغاً سهل الانحدار، ويقال: سلسبيل إذا كان في غاية السلاسة.

---

(١) الألف هنا للإطلاق، وهي فاصلة بين قوارير الأُولى والثانية، وهما لا ينصرفان؛ لكونهما في صيغة منتهى الجموع.

---

١. الإنسان (٧٦): ١٤ ـ ١٧.

لم يكتف ـ عزّ وجلّ ـ بقوله: «و يطاف عليهم» حتّى ذكر الطائفين عليهم، القائمين بخدمتهم بأحسن الذكر وأجمله، ووصفهم بألطف الوصف وأفضله، فقال: ﴿وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لجمال منظرهم، وكمال هيئتهم، وصفاء ألوانهم، وبهاء أشكالهم، وما يروق العالمين من حسنهم ولطفهم وانبثاثهم في أنديتهم ﴿لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾ وقيل: شبّهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه؛ لحسنه وكثرة مائه.

لم يكتف ـ جلّ وعلا ـ بهذه التفاصيل كلّها حتّى أفاد سبحانه أنّ الإجمال فيما أعدّه الله لهم ممّا لابدّ منه ولا مندوحة عنه؛ لامتناع تفصيله بسبب قصور العبائر، وعجز أفهام الناس وقصر إدراكهم، ولذا قال ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ فلم يجعل مفعولاً لـ«رأيت» لا ظاهراً ولا مقدّراً؛ لتكون الرؤية عامّة لجميع ما ثمّة، والمعنى أنّك إذا أوقعت رؤيتك هناك على أيّ شيء من الأشياء تجدك قد ﴿رَأَيْتَ نَعِيماً﴾ عظيماً تضيق عنه الأوهام ﴿وَمُلْكاً كَبِيراً﴾[1] تنقطع دونه الأمانيّ، ولا يمكن وصفه إلّا بهذا المقدار.

وهذه الآية أبلغ في كرامتهم من كلّ ما تقدّم، وقد تدبّرها من تدبّرها فعلم أنّ فيها من فضلهم ما لا يحيط به إلّا الله تعالى، ومع ذلك لم ينته ذكره سبحانه لهم ووعده إيّاهم بما هم أهله، بل قال: ﴿عالِيَهُمْ(١) ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾

(١) بنصب عاليهم، لكونه حالاً من ضمير «عليهم» في قوله: ﴿وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ﴾. وقد يقال: إنّها حال من «ولدان». وقرئ «عاليهم» بالسكون على أنّه مبتدأ، وخبره: ﴿ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾.

١. الإنسان (٧٦): ١٨ ـ ٢٠.

فهم مزدانون بحليّ الكرامة، رافلون في حلل دار المقامة.

﴿وَ﴾ قد ﴿سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ جلّ وعلا هذا الساقي، وتبارك ما أعظم عنايته فيهم، وأجلّ اهتمامه ببيان كرامتهم، إذ نسب الساقي على سبيل المجاز إلى جلالته تعالى. فما يقول الواصف بعدها وإن أطنب؟ وما عسى أن يصف القائل فيهم وإن أسهب؟ وما ظنّك بمن يسقيهم ربّهم بكأسه الأوفى ﴿شَرَاباً طَهُوراً﴾ يرشّح بعد ذلك من أبدانهم عرقاً أطيب من ريح المسك؟

لا كخمر الدنيا رجساً نجساً خبيثاً منتناً، سالباً للعقل، متلفاً للجسم، مسقطاً للمروءة، معصوراً بالأيدي الوضرة، مدوساً بالأرجل القذرة، موضوعاً في دنان قد لا تسلم من الجراثيم السامّة، وأباريق قد لا يعنى بتنظيفها، مدارة بكؤوس تداولتها الأيدي الأثيمة، وولغت فيها الأفواه البخرة.

وأنت ـ هداك الله ـ إذا أمعنت النظر فيما ألقاه ـ عزّ وجلّ ـ إليهم في ختام البشائر العظيمة والمواهب الجسيمة، تتمثّل لك عناية الله بهم قالباً حسّيّاً، وترى كرامتهم عليه وسموّ منزلتهم لديه شخصاً مرئيّاً، وذلك أنّه ختم كلامه في شؤونهم بقوله مخاطباً لهم: ﴿إِنَّ هٰذَا﴾ الإكرام العظيم الذي فصّلناه في محكم الذكر تفصيلاً، وفضّلناكم على العالمين تفضيلاً ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ على أعمالكم المقدّسة التي استوجبت هذا الإكرام الجسيم، لم تنالوه بشفاعة أو بمجرّد فضل، وإنّما أخذتموه بالاستحقاق والعدل ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ﴾ مع ذلك كلّه ﴿مَشْكُوراً﴾[1]. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

بقيت نكتة شريفة، وحكمة من حكم الفرقان منيفة، حاصلها: أنّ هذه السورة

---

١. الإنسان (٧٦): ٢٢.

المباركة كما بشّرت هؤلاء الأبرار[1] فقد أنذرت أعداءهم الظالمين الكفّار بما أعدّ الله لهم من السلاسل والأغلال، والعذاب الأليم وسعير النار. فأمعن النظر إليها تجد التصريح بذلك في كلّ من طرفيها، كما لا يخفى على الخوّاضين لعباب الذكر الحكيم، الغوّاصين على كلّ سرّ من أسراره عظيم، المتدبّرين لمواقع كلمه، والمستقصين في البحث والتنقيب عن حكمه، الذين إذا قرأوا القرآن أو استمعوا له أصغوا إليه بمجامع قلوبهم، وخشعت لهيبته جميع جوارحهم، فبخعوا لمعانيه ومراميه، وخضعوا لأوامره ونواهيه، جعلنا الله في جملة مَن منَّ عليهم بذلك، إنّه أرحم الراحمين.

---

(١) يجب أن يعلم أنّ آيات الثناء والبشائر في سورة الدهر كلّها لعليّ وفاطمة والحسن والحسين، وآيات الوعيد والذمّ والتهديد فيها لأعدائهم؛ بقرينة أنّ السبب في نزول تلك السورة بتمامها إنّما هم عليهم السلام، لكنّ الألفاظ في كلّ من المقامين عامّة شاملة لكلّ من اتّصف بتلك الأوصاف.

وعلى هذا فالبشائر والمدائح في تلك السورة تتناول عليّاً وفاطمة والحسن والحسين أوّلاً وبالذات، ثمّ تتناول من اتّصف بصفاتهم ثانياً وبواسطة دخولهم في تلك العمومات.

وكذلك القول في آيات الذمّ والوعيد، فإنّها تتناول أوّلاً وبالذات أعداء أُولئك الأبرار الذين كانوا سبباً في نزول السورة بأجمعها، ثمّ تتناول غيرهم؛ لدخوله في العموم، حيث إنّ المورد لا يخصّص الوارد. فاحفظ هذا فإنّه ينفعك في كثير من الآيات إن شاءالله تعالى.

المطلب الثاني

في دلالة السنّة المقدّسة

وفيها من الأحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة ما تضيق عنه هذه الرسالة، ولا تحتمله هذه العجالة، وإنّما نذكر منها اثني عشر حديثاً؛ تبرّكاً بهذا العدد الميمون:

١ ـ قول رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنّة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران».

أخرجه جماعة من المحدّثين كثيرون، كالإمام أحمد من حديث رواه عن ابن عبّاس في صفحة ٢٩٣ من الجزء الأوّل من مسنده[1]، وأبي داود ـ كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب[2] ـ وقاسم بن محمّد ـ كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب[3] ـ وجماعة من حملة الآثار وحفظة الأخبار[4] لا يسع المقام استيفاءهم.

---

١. مسند أحمد ١: ٦٢٧ ـ ٦٢٨، ح ٢٦٦٨، ٢٩٠٣، ٢٩٦٠.

٢. الاستيعاب ٤: ١٨٢١، الرقم ٣٣١١.

٣. المصدر: ١٨٩٥، الرقم ٤٠٥٧.

٤. كالطبراني في المعجم الكبير ١١: ٢٦٦، ح ١١٩٢٨، وابن حبّان في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩: ٧٣، ح ٦٩٧١، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤: ١٨٥، ح ٤٩٠٤، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٣٥٧، ح ١٥٢٦٨.

٢ـقول رسول الله ﷺ: «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد».

أخرجه أبوداود ـ كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب[١] ـ بالإسناد إلى أنس. ورواه عبد الوارث بن سفيان ـ كما في ترجمتي الزهراء وخديجة من الاستيعاب[٢] ـ بالإسناد إلى أبي هريرة.

ونقله غير واحد من ثقات المحدّثين بطرقهم إلى أنس وأبي هريرة[٣].

٣ـ قول رسول الله ﷺ: «حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية امرأة فرعون».

أخرجه الترمذي[٤] ـ كما في الأربعين للنبهاني[(١)] ـ عن أنس. ورواه عنه أيضاً السرّاج، كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب[٥]. وأخرجه أبوداود، كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب[٦]. ونقله الشعبي ـ كما في ترجمة الزهراء من الإصابة[٧] ـ

(١) راجع صفحة ٢٢٠ من كتاب الأربعين أربعين من أحاديث سيّد المرسلين[٨].

١. الاستيعاب ٤: ١٨٢٢، الرقم ٣٣١١.
٢. المصدر: ١٨٢١، الرقم ٤٠٥٧ و٣٣١١.
٣. كابن حبّان في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩: ٥٢، ح ٦٩١٢، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤: ١٤٣، ح ٤٧٩٩، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٣٣١، الباب ٥٦، ح ٩٦٧.
٤. الجامع الصحيح ٥: ٧٠٣، ح ٣٨٧٨.
٥. الاستيعاب ٤: ١٨٩٦، الرقم ٤٠٥٧.
٦. المصدر: ١٨٢٢، الرقم ٣٣١١.
٧. الإصابة ٨: ٢٦٤، الرقم ١١٥٧٨.
٨. مجموع الأربعين أربعين: ٢٢٠. للمزيد راجع أيضاً: المصنّف لعبدالرزّاق ١١: ٤٣٠، ح ٢٠٩١٩؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٧٥٨، ح ١٣٣٢، و٧٦٠، ح ١٣٣٨؛ المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٢، ح ١٠٠٣؛ و٢٣: ٧، ح ٣؛ مسند أبي يعلى ٥: ٣٨٠، ح ٣٠٣٩؛ كنز العمّال ١٢: ١٤٣، ح ٣٤٤٠٣.

عن جابر. ولا يسعنا استقصاء من أخرج هذا الحديث بطرقهم المختلفة إلى أنس وجابر.

وأنت تعلم أنّ هذه الأحاديث الثلاثة ونحوها نصوص جليّة في تفضيل الأربع على سائر نساء البريّة، ولا تعرّض فيها لبيان الأفضل من تلك الأربع، لكن صحاحنا المتواترة عن أئمّة العترة الطاهرة نصوص في تفضيل الزهراء صريحة لا تقبل التأويل[١]، كما يشهد به كلّ من أنعم الله عليه بالاستسلام لحكمها. وحسبك في تفضيل الزهراء أنّها بضعة من سيّد الأنبياء[٢]، ولا نعدل به ولا ببضعته أحداً من العالمين.

وقد وافقنا في تفضيلها جمهور من المسلمين، وصرّح به كثير من المحقّقين، نقل ذلك عنهم غير واحد من العلماء الباحثين المتتبّعين، كالمعاصر النبهاني، حيث قال في أحوال الزهراء من كتابه الشرف المؤبّد[٣] ما هذا لفظه:

> وصرّح بأفضليّتها على سائر النساء ـ حتّى على السيّدة مريم ـ كثير من العلماء المحقّقين، منهم التقيّ السبكي، والجلال السيوطي، والبدر الزركشي، والتقيّ المقريزي.
>
> ـ قال: ـ وعبارة السبكي حين سئل عن ذلك: الذي نختاره وندين به أنّ فاطمة بنت محمّد أفضل.
>
> ـ قال: ـ وسئل عن مثل ذلك ابن أبي داود فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة منّي، ولا أعدل ببضعة رسول الله أحداً. ونقل المناوي هذا عن جمع من الخلف والسلف، فراجع.

٤ ـ ما استخرجه أبو داود ـ كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب[٤] ـ بسنده إلى ابن عبّاس قال: قال رسول الله: «سيّدة نساء أهل الجنّة بعد مريم بنت عمران

---

١. للمزيد راجع: الأمالي للطوسي: ٨٤ ـ ٨٥، المجلس ٣، ح ٣٦؛ بحار الأنوار ٤٣: ٣٦، تاريخ سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، الباب ٣، ح ٣٩.

٢. كما في الجامع الصحيح ٥: ٦٩٨ ـ ٦٩٩، ح ٣٨٦٩.

٣. الشرف المؤبّد: ١٢٦، الخاتمة.

٤. الاستيعاب ٤: ١٨٢٣، الرقم ٣٣١١.

فاطمة بنت محمّد، وخديجة، وآسية». انتهى.

وهذا كالأحاديث السابقة في الدلالة على تفضيل الأربع على من سواهنّ من نساء العالمين، إلّا أنّه ربما يستشعر منه تفضيل العذراء على الزهراء، لكنّ الأدلّة الأُخر ـ التي هي أكثر عدداً، وأصحّ سنداً، وأصرح دلالةً من هذا الحديث ونحوه ـ توجب الإعراض عمّا يستشعر منه، على أنّه لا يروى من طريق أصحابنا، كما لا يخفى.

٥ ـ ماأخرجه البخاري(١)، ومسلم(٢)، والترمذي[1] في صحاحهم، وصاحب الجمع بين الصحيحين[2]، وصاحب الجمع بين الصحاح الستّة، والإمام أحمد من حديث الزهراء من مسنده(٣)، وابن عبد البرّ في ترجمتها من استيعابه[3]، ومحمّد بن سعد في ترجمتها من الجزء الثامن من طبقاته[4]، وفي باب «ما قاله النبيّ في مرضه» من المجلّد الثاني من الطبقات[5] أيضاً.

---

(١) راجع آخر صفحة ٦٤ من الجزء الرابع من صحيحه المطبوع بالمطبعة المليحيّة سنة ١٣٣٢[6].

(٢) راجع باب فضائل فاطمة من الجزء الثاني من صحيحه، تجد طرقه في هذا الحديث إلى عائشة متعدّدة[7].

(٣) راجع صفحة ٣٨٢ من الجزء السادس من المسند[8].

---

١. الجامع الصحيح ٥: ٧٠٠، ح ٣٨٧٢.

٢. الجمع بين الصحيحين للإشبيلي ٣: ٥٨٧، ح ٤٣٢٥.

٣. الاستيعاب ٤: ١٨٩٤، الرقم ٤٠٥٧.

٤. الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

٥. المصدر ٨: ٢٦ ـ ٢٧.

٦. صحيح البخاري ٥: ٢٣١٧، ح ٥٩٢٨، رواه أيضاً في ٣: ١٣٢٧، ح ٣٤٢٦.

٧. صحيح مسلم ٤: ١٩٠٤، كتاب فضائل الصحابة، ح ٩٧ ـ ٩٩.

٨. مسند أحمد ١٠: ١٥٧ ـ ١٥٨، ح ٢٦٤٧٥.

واللفظ الذي تسمعه للبخاري ـ آخر ورقة من كتاب الاستئذان من الجزء الرابع من صحيحه[١] ـ قال: حدّثنا موسى عن أبي عوانة، عن فراس، عن عامر، عن مسروق، حدّثتني عائشة أُمّ المؤمنين قالت: إنّا كنّا أزواج النبيّ عنده جميعاً لم تغادر منّا واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي لا والله ما تخفي مشيتها من مشية رسول الله ﷺ، فلمّا رآها رحّب وقال: «مرحباً بابنتي» ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمّ سارّها فبكت بكاء شديداً، فلمّا رأى حزنها سارّها الثانية إذا هي تضحك، فقلت لها أنا من بين نسائه: خصّك رسول الله بالسرّ من بيننا ثمّ أنت تبكين؟ فلمّا قام رسول الله سألتها عمّ سارّك؟ قالت: «ما كنت لأُفشي على رسول الله سرّه» فلمّا توفّي قلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من الحقّ لمّا أخبرتني، قالت: «أمّا الآن فنعم» فأخبرتني قالت: «أمّا حين سارّني في الأمر الأوّل فإنّه أخبرني جبرائيل كان يعارضه كلّ سنة مرّة، وأنّه قد عارضني به العام مرّتين، ولا أرى الأجل إلّا قد اقترب، فاتّقي الله واصبري فإنّي نعم السلف أنا لك ـ قالت: ـ فبكيت بكائي الذي رأيت، فلمّا رأى جزعي سارّني الثانية، قال: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين، أو سيّدة نساء هذه الأُمّة؟»، انتهى.

ولفظه فيما ذكره ابن حجر في ترجمتها من الإصابة[٢]، وغير واحد من المحدّثين[٣]: «ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين؟»، وكيف كان فالحديث صحيح والنصّ في تفضيلها صريح.

وأخرج ابن سعد في باب «ما قاله النبيّ لها في مرضه» من المجلّد الثاني من

---

١. صحيح البخاري ٥: ٢٣١٧، ح ٥٩٢٨. رواه أيضاً في ٣: ١٣٢٦، ح ٣٤٢٧.

٢. الإصابة ٨: ٢٦٦، الرقم ١١٥٨٧.

٣. كابن ماجة في سننه ١: ٥١٨، ح ١٦٢١. والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤: ١٤١، ح ٤٧٩٤؛ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ١٣٤، الرقم ٤٩٣٣.

طبقاته[1] بالإسناد إلى أُمّ سلمة قالت: لمّا حُضِر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا فاطمة، فناجاها فبكت، ثمّ ناجاها فضحكت، فلم أسألها حتّى توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألتها عن بكائها وضحكها؟ فقالت: «أخبرني أنّه يموت، ثمّ أخبرني أنّي سيّدة نساء أهل الجنّة». الحديث.

وأخرجه أيضاً أبويَعْلى ـ كما في ترجمة الزهراء من الإصابة[2] ـ بالإسناد إلى أُمّ سلمة. ورواه عنها غير واحد من أهل الحديث[3].

٦ـ ما أخرجه جماعة من الحفظة وأهل الضبط ممّن حملوا العلم بأسانيده وطرقه، كابن عبد البرّ في ترجمتها عليها السلام من الاستيعاب[4]: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عادها وهي مريضة، فقال: «كيف تجدينك يا بنيّة؟» قالت: «إنّي لوجعة وإنّه ليزيدني أنّي ما لي طعام آكله» قال: «يا بنيّة أما ترضين أنّك سيّدة نساء العالمين؟» قالت: «يا أبة فأين مريم بنت عمران؟» قال: «تلك سيّدة نساء عالمها وأنت سيّدة نساء عالمك، وما والله لقد زوّجتُك سيّداً في الدنيا والآخرة». انتهى.

٧ـ ما أخرجه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن حبّان[5] ـ كما في الفصل الثالث من الباب ١١ من الصواعق المحرقة[6] لابن حجر ـ عن حذيفة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال له: «أما رأيت العارض الذي عرض لي قبل ذلك؟ هو مَلك لم يهبط إلى الأرض قطّ قبل هذه الليلة، استأذن ربّه ـ عزّوجلّ ـ أن يسلّم عليّ ويبشّرني أنّ الحسن

---

١. الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٨.

٢. الإصابة ٨: ٢٦٦، الرقم ١١٥٨٧. ولم نجده في مسند أبي يعلى.

٣. كالترمذي في الجامع الصحيح ٥: ٧٠٠، ح ٣٨٧٣، وابن حبّان في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩: ٥٢، ح ٦٩١٣.

٤. الاستيعاب ٤: ١٨٩٤، الرقم ٤٠٥٧. رواه أيضاً ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ١٣٤، الرقم ٤٩٣٣.

٥. مسند أحمد ٩: ٩١، ح ٢٣٣٨٩؛ الجامع الصحيح ٥: ٦٦٠ ـ ٦٦١، ح ٣٧٨١؛ خصائص أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب: ١٧٧، ح ١٣٠؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٩: ٥٥، ح ٦٩٢١، لم يذكر فيه كلامه صلى الله عليه وآله وسلم: «وأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة».

٦. الصواعق المحرقة: ١٩١، الباب ١١، الفصل ٣.

والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة». انتهى.

وأخرج ابن حبّان وغيره ـ كما في أحوال الزهراء من الشرف المؤبّد وغيره[١] ـ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ مَلَكاً من السماء لم يكن زارني فاستأذن ربّي في زيارتي فبشّرني أنّ فاطمة سيّدة نساء أُمّتي». انتهى.

٨ـ ما أخرجه حفظة الأخبار وحملة الآثار، كعبد الرحمن بن أبي نُعَيْم ـ كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب والإصابة وغيرهما[٢] ـ عن أبي سعيد الخُدري قال: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة». الحديث.

٩ـ ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[٣] ـ كما في ترجمة الزهراء من الإصابة وغيرها[٤] ـ عن المِسْوَر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «فاطمة بضعةٌ منّي، يؤذيني ما آذاها، ويَرِيبُني ما رَابَها».

ونقل النبهاني ـ في أحوال الزهراء من الشرف المؤبّد[٥] ـ عن البخاري بسنده إلى رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة منّي، يغضبني ما يغضبها». قال: وفي رواية: «فمن أغضبها أغضبني».

قال: وفي الجامع الصغير: «فاطمة بضعة منّي يقبضُني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها».

---

١. الشرف المؤبّد: ٥٩، المقصد ٢. راجع أيضاً: المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٣، ح ١٠٠٦؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٩٢ ـ ٢٩٣، ح ١٥٠٨٥؛ كنز العمّال ١٢: ١١٧، ح ٣٤٢٧٤. رواه الحاكم عن حذيفة في المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٣، ح ٤٧٧٥.

٢. الاستيعاب ٤: ١٨٩٥، الرقم ٤٠٥٧؛ الإصابة ٨: ٢٦٥، الرقم ١١٥٨٧. رواه الحاكم أيضاً في المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٨، ح ٤٧٨٦.

٣. صحيح البخاري ٣: ١٣٦١، ح ٣٥١٠؛ صحيح مسلم ٤: ١٩٠٢، كتاب فضائل الصحابة، ح ٩٣ و٩٤.

٤. الإصابة ٨: ٢٦٥، الرقم ١١٥٨٧.

٥. الشرف المؤبّد: ٥٩، المقصد ٢. راجع أيضاً: صحيح البخاري ٥: ٢٠٠٤، ح ٤٥٣٢ بتفاوت في بعض الألفاظ؛ الجامع الصغير: ٣٦٠، ح ٥٨٣٤.

وقالت ـ بأبي هي وأُمّي ـ لأبي بكر وعمر ـ كما صرّح به الإمام ابن قتيبة في أوائل كتاب الإمامة والسياسة[1] ـ: «نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: رضى فاطمة من رضاي، وسخطُ فاطمة من سخطي، فمن أحبّ ابنتي فاطمة فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟» قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا من الأحاديث المتواترة عن أئمّة العترة الطاهرة[2]، وكفى به حجّة لتفضيلها على من سواها من نساء العالمين. وهل يعدل مسلم ببضعة النبيّ صلى الله عليه وآله وبقيّته في أُمّته أحداً من الناس؟

وقد تدبّر هذا الحديث من تدبّره من أُولي الألباب، فرآه يرمي إلى عصمتها؛ لدلالته على امتناع وقوع كلّ من أذيّتها وريبتها وغضبها وسخطها ورضاها وانقباضها وانبساطها في غير محلّه، كما هو الشأن في أذيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وريبته ورضاه وسخطه وانقباضه وانبساطه. وهذا كنه العصمة وحقيقتها، كما لا يخفى.

١٠ ـ ما أخرجه ابن أبي عاصم ـ كما في ترجمتها من الإصابة[3] ـ بسنده إلى عليّ عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: إنّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك».

وأخرجه الطبراني وغيره[4] بإسناد حسن ـ كما في أحوالها من الشرف المؤبّد وغيره[5] ـ وهو في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كالحديث السابق.

١١ ـ ما أخرجه جماعة من أثبات المحدّثين وأعلامهم، كالإمام أحمد بن حنبل

---

١. الإمامة والسياسة: ١٤.

٢. للمزيد راجع: الدرّ النظيم: ٤٥٨، ٤٦٢ و٤٨٤؛ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة ٢: ٩٢ ـ ٩٣؛ بحار الأنوار ٤٣: ٣٩، و٥٣ ـ ٥٤، تاريخ سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، الباب ٣، ح ٤١ و٤٨.

٣. الإصابة ٨: ٢٦٦، الرقم ١١٥٨٧.

٤. المعجم الكبير ١: ١٠٨، ح ١٨٢. راجع أيضاً المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٧، الرقم ٤٧٨٣.

٥. الشرف المؤبّد: ٥٩، المقصد ٢. راجع أيضاً بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٣٢٨، ح ١٥٢٠٤.

ـ من حديث أبي هريرة في صفحة ٤٤٢ من الجزء الثاني من مسنده[١] ـ قال: نظر النبيّ ﷺ إلى عليّ والحسن والحسين وفاطمة فقال: «أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم».

وأخرج الترمذي[٢] من حديث زيد بن أرقم ـ كما في ترجمة الزهراء من الإصابة[٣] ـ أنّ رسول الله قال: «عليّ وفاطمة والحسن والحسين، أنا حربٌ لمن حاربهم، وسلمٌ لمن سالمهم». انتهى.

وهذا الحديث في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كسابقه، وفيه دلالة على كفر محاربيهم، كما ترى.

١٢ ـ ما أخرجه المحدّثون[٤] بالإسناد إلى عليّ ـ واللفظ لأحمد في صفحة ١٠١ من الجزء الأوّل من مسنده[٥] عن عبد الرحمن الأزرق عن عليّ ـ قال: «دخل عليَّ رسول الله وأنا نائم على المنامة، فاستسقى الحسن أو الحسين ـ قال: ـ فقام النبيّ ﷺ إلى شاة لنا بَكيءٍ(١) فحلبها فدَرَّت، فجاءَه الحسنُ فنحّاه النبيّ ﷺ،

---

(١) أي قلّ لبنها، وقيل انقطع. وهذا الحديث أشار إليه صاحب لسان العرب في مادّة «بكأ»[٦].

---

١. مسند أحمد ٣: ٤٤٦، ح ٩٧٠٤. راجع أيضاً: المعجم الكبير ٣: ٤٠، ح ٢٦٢١؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٠، ح ٤٧٦٧؛ الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبّان ٩: ٦١، ح ٦٩٣٩.

٢. الجامع الصحيح ٥: ٦٩٩، ح ٣٨٧٠، بتفاوت يسير في بعض الألفاظ. رواه الطبراني أيضاً في المعجم الكبير ٣: ٤٠، ح ٢٦١٩ ـ ٢٦٢١.

٣. الإصابة ٨: ٢٦٦، الرقم ١١٥٨٧.

٤. راجع: المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٥ ـ ٤٠٦، ح ١٠١٦؛ تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٦٣، الرقم ١٥٦٦؛ تهذيب الكمال ٦: ٤٠٣ ـ ٤٠٤، الرقم ١٣٢٣؛ سير أعلام النبلاء ٣: ٢٥٨، الرقم ٤٧؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٧١، ح ١٥٠٠٤.

٥. مسند أحمد ١: ٢١٧، ح ٧٩٢. رواه أيضاً ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٦٣، الرقم ١٥٦٦.

٦. لسان العرب ١: ٣٤، «ب. ك. أ».

فقالت فاطمة: يا رسول الله كأنّ أخاه أحبّهما إليك؟ قال: لا، ولكنّه استسقى قبله، ثمّ قال: إنّي وإيّاك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة». انتهى.

بخّ بخّ هذا هو الفضل الذي بخع له الأوّلون والآخرون، فلا يلحقهم بعده لاحق، ولا يطمع في إدراكهم طامع، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

هذا آخر ما وسعته العجالة واحتملته هذه الرسالة، وقد استقصينا في سبيل المؤمنين[1] كلّ ما يدلّ على تفضيلهم عليهم السلام.

---

(١) نُكِبنا في سبيل المؤمنين سنة ١٩٢٠ غربيّة، وهي سنة ١٣٣٨ هجريّة، يوم رُزِئنا بجلّ ما ألّفنا قبل تلك النازلة التي عمّت أبناء عاملة واختصّت بهذا الضعيف، حيث أوغل الغاشمون في طغيانهم، ولجّوا في عدوانهم، ومضوا في التنكيل والتقتيل والتشريد على غلوائهم، وأطلقوا في البنادق والمشانق والنهب والضرب والتحريق والتمزيق أعنّة أهوائهم، ركبوا في ذلك رؤوسهم متهافتين في أعمالهم لا يلوون على أحد، وكنت في طليعة من تبدّد وتشرّد. وليتهم كفّوا عن تلك الكتب القيّمة واكتفوا بما سواها.

عند الله أحتسب تلك المؤلّفات التي أفنيت فيها عمري، ورهقني بفقدها ما نقض مرّة صبري، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

أنشد الله امرأً وقع في يده شيء منها إلّا أثلج به كبدي الحرّى، فإنّ لكلّ كبد حرّى أجراً.

وإليك ضالّتي المنشودة ونفائسي المفقودة:

١ ـ شرح التبصرة على سبيل الاستدلال، خرج منه كتاب الطهارة، وكتاب القضاء والشهادات، وكتاب المواريث في ثلاثة مجلّدات.

٢ ـ تعليقة على استصحاب رسائل الشيخ، في مجلّد واحد.

٣ ـ رسالة في منجّزات المريض، استدلاليّة.

٤ ـ سبيل المؤمنين، ثلاثة مجلّدات في إمامة أئمّتنا الاثني عشر وأحوالهم ومناقبهم وهديهم عليهم السلام، لا نظير له في موضوعه. ←

وحسبك في تفضيلها بالخصوص ما أخرجه الطبراني في ترجمة إبراهيم بن هاشم من معجمه الأوسط عن عائشة قالت: ما رأيت أحداً قطّ أفضل من فاطمة غير أبيها[١].

→ ٥ ـ النصوص الجليّة في إمامة العترة الزكيّة، يشتمل على ثمانين نصّاً: أربعين ممّا أجمع على صحّته المسلمون، وأربعين ممّا انفردت به الإماميّة، وفيه وفي سبيل المؤمنين ما شئت من أدلّة عقليّة وحكمة فلسفيّة.

٦ ـ تنزيل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة، مجلّد واحد يشتمل على مائة آية نزلت فيهم بحكم الصحاح المجمع على تصحيحها، وقد تكلّمنا فيه وفي سبيل المؤمنين بما يوجبه التحقيق في العلوم، مجانبين فيها الإطناب المملّ والإيجاز المخلّ.

٧ ـ تحفة المحدّثين فيمن أخرج عنه الستّة من المضعّفين، وهذا هو المعجم الأوّل الذي لم يكتب قبله في هذا الموضوع.

٨ ـ تحفة الأصحاب في حكم أهل الكتاب.

٩ ـ الذريعة في نقض البديعة، أعني بديعة النبهاني.

١٠ ـ المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، أربعة مجلّدات. المجلّد الأوّل: في السيرة النبويّة، الدالّة بمجرّدها على نبوّته صلى الله عليه وآله. الثاني: في سيرة أمير المؤمنين والزهراء والحسن المجتبى، ذكرنا منها ما يدلّ بحكم الفلسفة العقليّة على عصمتهم. الثالث: خاصّ بسيّدالشهداء على وتيرة الأوّل والثاني. الرابع: في سيرة التسعة اقتصرنا منها على ما يدلّ بمجرّده على إمامتهم وعصمتهم، وفي هذه المجالس من الفلسفة ما يحكم العقل والنقل بصحّته. وقد طبعت مقدّمتها فكانت رسالة لها السبق في موضوعها.

١١ ـ المناظرات الأزهريّة والمباحثات المصريّة، كتاب يشتمل على مهمّات المسائل الخلافيّة متكفّلاً بإثبات الحقّ من طريق مخالفيه.

١٢ ـ مختصر الكلام في مؤلّفي الشيعة من صدر الإسلام، خرج منه مجلّد واحد، نشر عنه العرفان في مجلّداته الأوّل والثاني والثالث، تراجم كثير من الأعاظم. ←

١. المعجم الأوسط ٣: ٣٤٩، ح ٢٧٤٢.

وسند هذا القول إلى عائشة صحيح على شرط البخاري ومسلم، صرّح بذلك ابن حجر في ترجمة الزهراء من إصابته[١]، والنبهاني في آخر صفحة ٥٨ من الشرف المؤبّد[٢].

وأخرج ابن عبد البرّ في ترجمة الزهراء من استيعابه بالإسناد إلى ابن عمير قال: دخلت على عائشة فسألتها: أيّ الناس كان أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: فاطمة. قلت: فمِن الرجال؟ قالت: زوجها[٣].

وأخرج في ترجمتها من الاستيعاب أيضاً عن بريدة قال: كان أحبّ الناس إلى رسول الله من النساء فاطمة، ومن الرجال عليّ[٤].

← ١٣ ـ بغية الفائز في نقل الجنائز، نشرت العرفان جلّها.

١٤ ـ بغية السائل عن لثم الأيدي والأنامل، رسالة فيها أربعون حديثاً من طريقنا وأربعون من طريق غيرنا أدلّة على الموضوع، وَتكلّمنا فيها بهذه المناسبة في مطلق التقبيل، فكانت رسالة علميّة أدبيّة فكاهيّة.

١٥ ـ زكاة الأخلاق، رسالة شريفة نشرت مجلّة العرفان الغرّاء لُمَعاً منها.

١٦ ـ الفوائد والفرائد، يعرف موضوعها من اسمها.

١٧ ـ تعليقة على صحيح البخاري.

١٨ ـ تعليقة على صحيح مسلم.

١٩ ـ الأساليب البديعة في رجحان مآتم الشيعة، كتاب لم يسبق له ـ في أدلّته العقليّة والنقليّة ـ نظير، ودع عنك نهباً صيح في حجراته.

---

١. الإصابة ٨: ٢٦٤، الرقم ١١٥٨٧.

٢. الشرف المؤبّد: ٥٨ ـ ٥٩، المقصد ٢.

٣. الاستيعاب ٤: ١٨٩٧، الرقم ٤٠٥٧.

٤. المصدر: ١٨٩٧، الرقم ٤٠٥٧، فيه: «عن بريدة، عن أبيه».

وقالت عائشة: ما رأيت أحداً أصدق لهجةً من فاطمة إلّا أن يكون الذي وَلَدَها. أخرجه ابن عبد البرّ في ترجمة الزهراء من استيعابه[١].

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيراً.

وكان الفراغ من تأليفها في مدينة صور، مستهلّ رجب سنة ألف وثلاثمائة وستّ وأربعين هجريّة، بقلم مؤلّفها الأقلّ عبد الحسين بن الشريف يوسف بن الجواد بن إسماعيل بن محمّد بن محمّد[(١)] بن إبراهيم، ويلقّب شرف الدين بن زين العابدين بن عليّ نور الدين بن نور الدين عليّ بن الحسين بن محمّد بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسين بن محمّد بن عبدالله بن أحمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن محمّد بن محمّد بن عبدالله بن محمّد بن عليّ بن عبدالله بن محمّد بن طاهر بن الحسين بن موسى بن إبراهيم المرتضى ابن الإمام أبي الحسن موسى[(٢)] الكاظم ابن الإمام أبي عبدالله الصادق ابن الإمام أبي جعفر الباقر ابن الإمام زين العابدين عليّ ابن الإمام أبي عبدالله الحسين سيّد الشهداء، وسبط سيّد الأنبياء، وخاتم المرسلين صلّى الله عليه وآله وعليهم أجمعين.

---

(١) إلى محمّد هذا ينتهي نسب والدة المؤلّف أيضاً، فإنّها كريمة الهادي بن محمّد عليّ بن صالح بن محمّد المذكور.

(٢) يقال للمؤلّف: «موسوي» نسبة إلى هذا الإمام، كما يقال ذلك لكلّ حسيني تفرّع عن شجرة موسى الكاظم عليه السلام.

تمّت التعليقة بقلم مؤلّفها الأقلّ عبد الحسين شرف الدين الموسوي سنة ١٣٤٦، والحمد لله.

---

١. الاستيعاب ٤: ١٨٩٦ـ١٨٩٧، الرقم ٤٠٥٧.

(١١)

المجالس الفاخرة

في مآتم العترة الطاهرة

تحقيق

غلامرضا النقي

منصور الإبراهيمي

المقدّمة الزاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جميل بلائه، وجليل عزائه، والصلاة والسلام على أُسوة أنبيائه، وعلى الأئمّة المظلومين من أوصيائه ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد، فهذا كتاب المجالس الفاخرة في مأتم العترة الطاهرة وضعته تقرّباً إليهم في الدنيا، وتوسّلاً بهم في الآخرة، سائلاً من الله سبحانه أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، إنّه [هو] الرؤوف الرحيم.

مقدّمة

الأصل العملي يقتضي إباحة البكاء على مطلق الموتى ورثائهم بالقريض، وتلاوة مناقبهم و مصائبهم، والجلوس حزناً عليهم، والإنفاق عنهم في وجوه البرّ.

ولا دليل على خلاف هذا الأصل؛ بل السيرة القطعيّة و الأدلّة اللفظيّة حاكمتان بمقتضاه، بل يستفاد من بعضها استحباب هذه الأُمور إذا كان الميّت من أهل المزايا الفاضلة والآثار النافعة، وفقاً لقواعد المدنيّة، وعملاً بأُصول العمران؛ لأنّ تمييز المصلحين يكون سبباً في تنشيط أمثالهم، وأداء حقوقهم يكون داعياً إلى كثرة الناسجين على منوالهم، و تلاوة أخبارهم ترشد العاملين إلى اقتفاء آثارهم.

وهنا مطالب:

المطلب الأوّل: في البكاء

ولنا على ما اخترناه فيه ـ مضافاً إلى السيرة القطعيّة ـ فعل النبيّ ﷺ وقوله وتقريره.

أمّا الأوّل: فإنّه متواتر عنه في موارد عديدة:

منها: يوم أُحد؛ إذ علم الناس كافّةً بكاءه يومئذٍ على عمّه أسدالله وأسد رسوله، حتّى قال ابن عبدالبرّ في ترجمة حمزة من استيعابه: لمّا رأى النبيّ ﷺ حمزة قتيلاً بكى، فلمّا رأى ما مثّل به شهق[1].

وذكر الواقدي ـ كما في أوائل الجزء الخامس عشر من [شرح] نهج البلاغة(١) للعلّامة المعتزلي ـ: أنّ النبيّ ﷺ كان يومئذٍ إذا بكت صفيّة يبكي، وإذا نشجت ينشج(٢). قال: وجعلت فاطمة تبكي، فلمّا بكت بكى رسول الله ﷺ[2].

ومنها: يوم نعى زيداً وذا الجناحين وابن رواحة، فيما أخرجه البخاري في الصفحة الثالثة من أبواب الجنائز من صحيحه[3].

---

(١) في أواخر صفحة ٣٨٧ من المجلّد الثالث طبع مصر.

(٢) قد اشتمل هذا الحديث على فعل النبيّ ﷺ وتقريره، فهو حجّة من جهتين، على أنّ بكاء سيّدة النساء ؛ كافٍ، كما لا يخفى.

---

١. الاستيعاب ١: ٣٧٣ ـ ٣٧٤، الرقم ٥٤١. حكاه الحاكم أيضاً في المستدرك على الصحيحين ٤: ٢٠٢، ح ٤٩٤٥.

٢. المغازي للواقدي ١: ٢٩١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ١٧.

٣. صحيح البخاري ١: ٤٣٧، ح ١٢٣٧. حكاه أيضاً النسائي في السنن الكبرى ١: ٦١٥، ح ٢٠٠٥، والطبراني في المعجم الكبير ١٩: ١٦٨، ح ٣٧٨.

وذكر ابن عبد البرّ في ترجمة زيد من استيعابه: أنّ النبيّ ﷺ بكى على جعفر وزيد، وقال: «أخواي ومؤنساي ومحدّثاي»[١].

ومنها: يوم مات ولده إبراهيم، إذ بكى عليه، فقال له عبد الرحمن بن عوف ـ كما في صفحة ١٤٨ من الجزء الأوّل من صحيح البخاري[٢] ـ: وأنت يا رسول الله؟! قال: «يابن عوف إنّها رحمة»(١) ثمّ أتبعها ـ يعني عبرته ـ بأخرى، فقال: «إنّ العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول(٢) إلّا ما يُرضي ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون». انتهى.

ومنها: يوم ماتت إحدى بناته ﷺ[٣]، إذ جلس على قبرها ـ كما في صفحة ١٤٦ من الجزء الأوّل من صحيح البخاري[٤] ـ وعيناه تدمعان.

ومنها: يوم مات صبيّ لإحدى بناته، إذ فاضت عيناه يومئذٍ ـ كما في الصحيحين(٣)

---

(١) لا يخفى ما في تسميتها «رحمة» من الدلالة على حسن البكاء في مثل [هذا] المقام.

(٢) أراد بهذا أنّ الملامة والإثم في المقام إنّما يكونان بالقول الذي يسخط الربّ ـ عزّ وعلا ـ كالاعتراض عليه والسخط لقضائه، لا بمجرّد دمع العين وحزن القلب.

(٣) راجع صفحة ١٤٦ من الجزء الأوّل من صحيح البخاري، وباب البكاء على الميّت من صحيح مسلم[٥].

---

١. الاستيعاب ١: ٢٤٣، الرقم ٣٧٧؛ ٢: ٥٤٦، الرقم ٨٤٣. راجع أيضاً: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ٧٣؛ الجامع لأحكام القرآن ١٤: ١١٩، ذيل الآية ٥ من سورة الأحزاب (٣٣).

٢. صحيح البخاري ١: ٤٣٨ ـ ٤٣٩، ح ١٢٤١. رواه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان ٧: ٢٤١، ح ١٠١٦٢.

٣. قيل: إنّها أُمّ كلثوم، وقيل: إنّها رقيّة. للمزيد راجع: الاستيعاب ٤: ١٨٤١ ـ ١٨٤٢، الرقم ٣٣٣٤؛ الإصابة ٨: ٤٦٠، الرقم ١٢٢٢٦.

٤. صحيح البخاري ١: ٤٣٢، ح ١٢٢٥. رواه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده ٤: ٢٥٤، ح ١٢٢٧٧، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٥: ٦٢، ح ٦٩٣٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٤: ٨٨، ح ٧٠٤٦ بتفاوت في بعض الألفاظ.

٥. صحيح البخاري ١: ٤٣١ ـ ٤٣٢، ح ١٢٢٤؛ ٥: ٢١٤١، ح ٥٣٣١؛ ٦: ٢٤٥. ح ٦٢٧٩، ٢٦٨٦، ٢٦٨٧ ـ ٢٦٨٧، و ٢٧١١، ح ٧٠١٠؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٥ ـ ٦٣٦، كتاب الجنائز، ح ١١.

وغيرهما[١] ـ فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء»[(١)].

ومنها: ما أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين عن ابن عمر، قال: اشتكى سعد بن عبادة، فعاده رسول الله ﷺ مع جماعة من أصحابه، فوجده في غشية، فبكى ـ قال: ـ فلمّا رأى القوم بكاءه بكوا[(٢)]. الحديث.

والأخبار في ذلك لا تحصى ولا تستقصى.

وأمّا قوله و تقريره، فمستفيضان و مواردهما كثيرة.

فمنها: ما ذكره ابن عبدالبرّ في ترجمة جعفر من استيعابه[٢]، قال: لمّا جاء النبيَّ ﷺ نعيُ جعفر[(٣)]، أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزّاها. ـ قال: ـ ودخلت فاطمة وهي

---

(١) دلالة قوله: «وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء» على استحباب البكاء في غاية الوضوح، كما لا يخفى.

(٢) فراجعه في باب البكاء عند المريض من صحيح البخاري، وفي باب البكاء على الميّت من صحيح مسلم[٣]، ولا يخفى اشتماله على كلٍّ من فعل النبيّ ﷺ وتقريره، فهو حجّة من جهتين.

(٣) هذا الحديث مشتمل على تقريره ﷺ على البكاء، وأمره به، على أنّ مجرّد صدوره من سيّدة النساء عليها السلام حجّة، كما لا يخفى.

---

١. كما في المصنّف لعبدالرزّاق ٣: ٥٥٢، ح ٦٦٧٠ بتفاوت في بعض الألفاظ، وسنن أبي داود ٣: ١٩٣، ح ٣١٢٥، والإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٥: ٦٣، ح٣١٤٨.

٢. الاستيعاب ١: ٢٤٣، الرقم ٣٢٧. للمزيد راجع أيضاً: المصنّف لعبدالرزّاق ٣: ٥٥٢، ح ٦٦٧٠ بتفاوت في بعض الألفاظ؛ الطبقات الكبرى ٨: ٢٨٢؛ أُسد الغابة ١: ٤٢٣، الرقم ٧٥٩.

٣. صحيح البخاري ١: ٤٣٩، ح ١٢٤٢؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٢، كتاب الجنائز، ح ١٢. راجع أيضاً: السنن الكبرى للبيهقي ٤: ١١٥، ح ٧١٥٢؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٥: ٦٣ ـ ٦٤، ح ٣١٤٩.

تبكي وتقول: واعمّاه، فقال رسول الله ﷺ: «على مثل جعفر فلتبك البواكي»(١). انتهى.

ومنها: ما ذكر ابن جرير، وابن الأثير وصاحب العقد الفريد، وجميع أهل السير[١]، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حديث ابن عمر في صفحة ٤٠ من الجزء الثاني من مسنده، قال: رجع رسول الله ﷺ من أُحد فجعلت نساء الأنصار يبكين على من قُتل من أزواجهنّ، فقال رسول الله ﷺ: «ولكن حمزة لا بواكي له». قال: ثمّ نام فانتبه وهنّ يبكين. قال: فهنّ اليوم إذا بكين يندبن بحمزة[٢].

وفي ترجمة حمزة من الاستيعاب[٣] ـ نقلاً عن الواقدي ـ قال: لم تبك امرأة من الأنصار على ميّت بعد قول رسول الله ﷺ: «لكن حمزة لا بواكي له» إلى اليوم إلّا بدأت بالبكاء على حمزة. انتهى.

وحسبك تلك السيرة في رجحان البكاء على من هو كحمزة وإن بَعُد العهد بموته.

ولا تنس ما في قوله ﷺ: «لكن حمزة لا بواكي له» من البعث على البكاء والملامة لهنّ على تركه، وحسبك به وبقوله: «على مثل جعفر فلتبك البواكي» دليلاً على الاستحباب[٤].

---

(١) هذا أمر منه ﷺ بالبكاء ندباً على أمثال جعفر من رجال الأُمّة، وحسبك به حجّة على الاستحباب.

---

١. تاريخ الطبري ٢: ٥٣٢، حوادث سنة ٣؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٦٣، حوادث سنة ٣؛ العقد الفريد ٣: ١٩١. راجع أيضاً: المغازي للواقدي ١: ٣١٥؛ مسند أبي يعلى ٦: ٢٧١ ـ ٢٧٢، ح ٣٥٧٦؛ السيرة النبويّة لابن كثير ٣: ٩٥؛ السيرة الحلبيّة ٢: ٥٤٦.

٢. مسند أحمد ٢: ٢٨٧، ح ٤٩٨٤.

٣. الاستيعاب ١: ٣٧٤، الرقم ٥٤١؛ المغازي للواقدي ١: ٣١٥. رواه أيضاً ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣: ١١ بتفاوت في بعض الألفاظ.

٤. للمزيد راجع معاني الآثار ٤: ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عبّاس في صفحة ٣٣٥ من الجزء الأوّل من مسنده[1] من جملة حديث ذكر فيه موت رقيّة بنت رسول الله ﷺ، وبكاء النساء عليها، قال: فجعل عمر يضربهنّ بسوطه، فقال النبيّ ﷺ: «دعهنّ يبكين»، ثمّ قال: «مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة» وقعد على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي ـ قال: ـ فجعل النبيّ ﷺ يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها. انتهى.

وأخرج أحمد أيضاً من حديث أبي هريرة(١) حديثاً جاء فيه: أنّه مرّ على رسول الله ﷺ جنازة معها بَواكٍ، فنهرهنّ عمر، فقال له رسول الله ﷺ: «دعهنّ فإنّ النفس مصابة والعين دامعة».

إلى غير ذلك ممّا لا يسعنا استيفاؤه.

وقد بكى يعقوب إذ غيّب الله ولده ﴿وقالَ يا أسَفا عَلَى يُوسُفَ وَابيَضَّتْ عَيناهُ مِنَ الحزُنِ فَهُوَ كَظِيم﴾[2] حتّى قيل ـ كما في تفسير هذه الآية من الكشّاف[3] ـ:

ما جفّت عيناه من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم على الله منه.

وعن رسول الله ﷺ ـ كما في تفسير هذه الآية من الكشّاف[4] أيضاً ـ أنّه سأل

---

(١) ص ٣٣٣، ج ٢ من مسنده[5].

---

١. مسند أحمد ١: ٧١٧، ح ٣١٠٣.

٢. يوسف (١٢): ٨٤.

٣. الكشّاف ٢: ٤٩٧، ذيل الآية.

٤. الكشّاف ٢: ٤٩٧، ذيل الآية. رواه أيضاً الطبري في تفسيره ٧: ٢٨١، والثعالبي في جواهر الحسان ٢: ٢٣١، والسيوطي في الدرّ المنثور ٤: ٥٧٠، ذيل الآية.

٥. مسند أحمد ٣: ٢٣٠، ح ٨٤٠٩. رواه أيضاً ابن أبي شيبة في مصنّفه ٣: ٦٨، ح ١٢١٣٥، وأبي يعلى في مسنده ١١: ٢٩٠، ح ٦٤٠٥.

جبرائيل عليه السلام: ما بلغ وجدُ يعقوب على يوسف؟ قال: وجد سبعين ثكلى، قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مائة شهيد، وما ساء ظنّه بالله قطّ(١). انتهى.

قلت: أيّ عاقل يرغب عن مذهبنا في البكاء بعد ثبوته عن الأنبياء ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّة إِبْراهِيم إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَه﴾[1].

وأمّا ما جاء في الصحيحين من: «أنّ الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه»[2]. وفي رواية: «ببعض بكاء أهله عليه»[3]. وفي رواية: «ببكاء الحيّ»[4]. وفي رواية: «يعذّب في قبره بما نِيح عليه»[5]. وفي رواية: «من يبك عليه يعذّب»[6] فإنّه خطأ من الراوي بحكم العقل والنقل.

---

(١) هذا كالصريح في استحباب البكاء؛ إذ ليس المستحبّ إلّا ما يترتّب الثواب على فعله كما هو واضح.

---

١. البقرة (٢): ١٣٠.

٢. صحيح البخاري ١: ٤٣٣، ح ١٢٢٦؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٨ ـ ٦٤١، كتاب الجنائز، ح ١٦، ٢٢، ٢٣. راجع أيضاً: الجامع الصحيح ٣: ٣٢٦، ح ١٠٠٢؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٥: ٥٤، ح ٣١٢٥ ـ ٣١٢٦.

٣. صحيح البخاري ١: ٤٣٣، ح١٢٢٦؛ صحيح مسلم ٢: ٦٤١ ـ ٦٤٢، كتاب الجنائز، ح ٢٣. راجع أيضاً: مسند أحمد ١: ٩٥ ـ ٩٦، ح ٢٨٨؛ السنن الكبرى للنسائي ١: ٦١٠، ح ١٩٨٥؛ السنن الكبرى للبيهقي ٤: ١٢٢، ح٧١٧٦.

٤. صحيح البخاري ١: ٤٣٣ ـ ٤٣٤، ح ١٢٢٨؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٩، كتاب الجنائز، ح ١٨ و١٩. راجع أيضاً: الجامع الصحيح ٣: ٣٢٨ ـ ٣٢٩، ح ١٠٠٦؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٣: ٦٥، ح ١٢١١٣، ١٢١١٥ ـ ١٢١١٦؛ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ٥: ٥٤، ح ٣١٢٤، و٥٠، ح٣١١٣.

٥. صحيح البخاري ١: ٤٣٤، ح ١٢٣٠؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٩، كتاب الجنائز، ح ١٧. راجع أيضاً: مسند أحمد ١: ١١٢ و١١٥، ح ٣٥٤ و٣٥٦؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٣: ٦٣، ح ١٢٠٩٧؛ الترغيب والترهيب ٤: ٣٤٨، الترهيب من النياحة على الميّت، ح ١.

٦. صحيح مسلم ٢: ٦٤٠، كتاب الجنائز، ح ٢٠.

قال الفاضل النووي(١):

هذه الروايات كلّها من رواية عمر بن الخطّاب وابنه عبدالله ـ قال: ـ وأنكرت عائشة عليهما ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه، واحتجّت بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى﴾ إلى آخره....

قلت: وأنكر هذه الروايات أيضاً عبدالله بن عبّاس، واحتجّ على خطأ راويها، والتفصيل في الصحيحين وشروحهما[١].

وما زالت عائشة وعمر في هذه المسألة على طرفي نقيض حتّى أخرج الطبري(٢) في حوادث سنة ١٣ من تاريخه بالإسناد إلى سعيد بن المسيّب قال: لَمّا توفّي أبوبكر، أقامت عليه عائشة النوح، فأقبل عمر بن الخطّاب حتّى قام ببابها، فنهاهنّ عن البكاء على أبي بكر، فأبين أن ينتهين، فقال عمر لهشام بن الوليد: ادخل فأخرج إليّ ابنة أبي قحافة، فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر: إنّي أُحرج عليك بيتي، فقال عمر لهشام: ادخل فقد أذنت لك، فدخل هشام وأخرج أُمّ فروة أُخت أبي بكر إلى عمر، فعلاها بالدرّة فضربها ضربات، فتفرّق النوح حين سمعوا ذلك. انتهى.

---

(١) عند ذكر هذه الروايات في باب الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه من شرح صحيح مسلم[٢].

(٢) عند ذكر وفاة أبي بكر في الجزء الرابع من تأريخه[٣].

---

١. راجع: صحيح البخاري ١: ٤٣٢ ـ ٤٣٤، ح ١٢٢٦ ـ ١٢٢٨ و ١٢٣٠؛ صحيح مسلم ٢: ٦٣٥ ـ ٦٤٤، كتاب الجنائز، ح ١٠ ـ ٢٨.

٢. شرح صحيح مسلم للنووي ٦: ٤٨٢، والآية في الأنعام (٦): ١٦٤، والإسراء (١٧): ١٥، والزمر (٣٩): ٧.

٣. تاريخ الطبري ٣: ٤٢٣، حوادث سنة ١٣.

قلت: كأنّه لم يعلم تقرير النبيّ نساء الأنصار على البكاء على موتاهنّ، ولم يبلغه قوله ﷺ: «لكن حمزة لا بواكي له»[1] وقوله: «على مثل جعفر فلتبك البواكي»[2]. وقوله: «وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء»[3].

ولعلّه نسي نهي النبيّ ﷺ إيّاه عن ضرب البواكي يوم ماتت رقيّة بنت رسول الله ﷺ، ونسي نهيه إيّاه عن انتهارهنّ في مقام آخر مرّ عليك آنفاً[4].

ثمّ إذا كان البكاء على الميّت حراماً، فلماذا أباح لنساء بني مخزوم أن يبكين على خالد بن الوليد(١) حتّى ذكر محمّد بن سلام ـ كما في ترجمة خالد من الاستيعاب[5]:

> أنّه لم تبق امرأة من بني المغيرة إلّا وضعت لِمَّتها ـ أي حلقت رأسها ـ على قبر خالد. وهذا حرام بلا ارتياب، والله أعلم.

---

(١) وبكى هو على النعمان بن مقرن واضعاً يده على رأسه، كما نصّ عليه ابن عبدالبرّ في ترجمة النعمان من استيعابه[6].

وفي أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد[7] قال:

> ولمّا نعي النعمان بن مقرن إلى عمر بن الخطّاب وضع يده على رأسه وصاح: يا أسفا على النعمان. وبكاؤه على أخيه زيد معلوم بالتواتر.

---

١ ـ ٣. راجع ص ٨ ـ ٩.

٤. راجع ص ١٠.

٥. الاستيعاب ٢: ٤٣١، الرقم ٦٠٣. للمزيد راجع: أُسد الغابة ٢: ١٣٨، الرقم ١٢.

٦. الاستيعاب ٤: ١٥٠٦، الرقم ٢٦٢٦.

٧. العقد الفريد ٣: ٢٣٥.

المطلب الثاني: في رثاء الميّت بالقريض

ويظهر من القسطلاني في شرح البخاري(١) أنّ جماعة يفصّلون القول فيه، فيحرّمون ما اشتمل منه على مدح الميّت و ذكر محاسنه الباعث على تحريك الحزن وتهييج اللوعة، ويبيحون ما عدا ذلك.

والحقّ إباحته مطلقاً؛ إذ لا دليل هنا يعدل بنا عن مقتضى الأصل؛ والنواهي التي يزعمونها إنّما يستفاد منها الكراهة في موارد مخصوصة، على أنّها غير صحيحة بلا ارتياب.

وقد رثى آدم عليه السلام ولده هابيل(٢)، واستمرّت على ذلك ذرّيّته إلى يومنا هذا بلا نكير.

وأقرّ رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه عليه مع إكثارهم من تهييج الحزن به، وتفنّنهم بمدائح الموتى فيه، وتلك مراثيهم منتشرة في كتب الأخبار، فراجع من الاستيعاب - إن أردت بعضها -: أحوال سيّد الشهداء حمزة[1]، وعثمان بن مظعون[2]،

(١) راجع باب رثى النبيّ صلى الله عليه وآله سعد بن خولي، ص ٢٩٨ ج ٣ من إرشاد الساري للقسطلاني[3].

(٢) فيما روي، وقد ضعّف[4].

١. الاستيعاب ١: ٣٧٤، الرقم ٥٤١.

٢. المصدر ٣: ١٠٥٥، الرقم ١٧٧٩.

٣. إرشاد الساري ٢: ٤٠٦.

٤. راجع: تاريخ الطبري ١: ١٤٥، حوادث قبل الهجرة؛ التبيان في تفسير القرآن ٣: ٤٩٥؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢: ٤٨، ذيل الآية ٣١ من سورة المائدة (٥).

وسعد بن معاذ[١]، وشمّاس بن عثمان بن الشريد[٢]، والوليد بن الوليد بن المغيرة[٣]، وأبي خراش الهذلي[٤]، وأياس بن البكير الليثي[٥]، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل[٦]، وغيرهم.

ولاحظ من الإصابة: أحوال ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب[٧]، وأبي زيد الطائي[٨]، وأبي سنان بن حريث المخزومي[٩]، والأشهب بن رميلة الدارمي[١٠]، وزينب بنت العوّام[١١]، وعبدالله بن عبدالمدان الحارثي[١٢]، وجماعة آخرين لا تحضرني أسماؤهم.

ودونك كتاب الدرّة في التعازي والمراثي ـ وهو في أوّل الجزء الثاني ـ من العقد الفريد[١٣]، تجد فيه من مراثي الصحابة ومن بعدهم شيئاً كثيراً، وليس شيء ممّا أشرنا إليه إلّا وقد اشتمل على ما يهيّج الحزن ويجدّد اللوعة بمدح الميّت وذكر محاسنه.

ولمّا توفّي رسول الله ﷺ تنافست فضلاء الصحابة في رثائه، فرثته سيّدة نساء

---

١. الاستيعاب ٢: ٦٠٢، الرقم ٩٥٨.

٢. المصدر: ٧١٠، الرقم ١٢٠٣.

٣. المصدر ٤: ١٥٥٨، الرقم ٢٧٢٤.

٤. المصدر: ١٦٣٦، الرقم ٢٩٢٨.

٥. المصدر ١: ١٢٤، الرقم ١١٢٢.

٦. المصدر ٤: ١٨٧٦، الرقم ٤٠٢٤.

٧. الإصابة ١: ٥٩٢، الرقم ١١٦٩.

٨. المصدر ٧: ١٣٦، الرقم ٩٩٧١.

٩. المصدر: ١٦٤، الرقم ١٠٠٦٧.

١٠. المصدر ١: ٣٤٤، الرقم ٤٦٧.

١١. الإصابة ٨: ١٦١، الرقم ١١٢٤٩.

١٢. المصدر ٤: ١٣٧، الرقم ٤٨١٨.

١٣. العقد الفريد ٣: ٢٣٧ ـ ٣١١.

العالمين عليها السلام بأبيات تهيج الأحزان، ذكر القسطلاني[(١)] في إرشاد الساري بيتين منها، وهما قولها عليها السلام:

«ماذا على من شمّ تربةَ أحمد أن لا يشمَّ مدى الزمانِ غواليا
صُبّت عليَّ مصائبُ لو أنّها صُبَّت على الأيّامِ صِرْنَ لياليا»

ورثته أيضاً بأبيات تثير لواعج الأشجان، ذكر ابن عبدربّه المالكي بيتين منها في أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد[١]، وهما:

«إنّا فقدناك فقدَ الأرضِ وابلَها وغاب مُذغِبت عنّا الوحيُ والكتبُ
فليت قبلَك كان الموتُ صادَفَنا لَمّا نُعِيتَ و حالَتْ دونَك الكُثُبُ»

ورثته عمّته صفيّة بقصيدة يائيّة، ذكر ابن عبدالبرّ في أحوال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من استيعابه[٢] جملة منها.

ورثاه أبوسفيان بن الحارث بن عبد المطّلب بقصيدة لاميّة ذكر بعضها صاحبا الاستيعاب والإصابة في ترجمة أبي سفيان المذكور[٣].

ورثاه أبوذؤيب الهذلي ـ كما يعلم من ترجمته في الاستيعاب، والإصابة[٤] ـ بقصيدة حائيّة.

---

(١) ص ٣١٨ ج ٣ في باب رثى النبيّ سعد بن خولي[٥].

---

١. المصدر ٣: ٢٣٨.
٢. الاستيعاب ١: ٤٩، المقدّمة. للمزيد راجع أيضاً: الطبقات الكبرى ٢: ٣٢٧ ـ ٣٣٠؛ الإصابة ٨: ٢١٥، الرقم ١١٤١١.
٣. المصدر ٤: ١٦٧٣، الرقم ٣٠٠٢؛ الإصابة ٧: ١٥١، الرقم ١٠٠٢٨. راجع أيضاً: الروض الأنف ٤: ٢٧٥؛ البداية والنهاية ٥: ٣٠٣، حوادث سنة ١١.
٤. الاستيعاب ٤: ١٦٤٨، الرقم ٢٩٤٢؛ الإصابة ٧: ١١٠، الرقم ٩٨٨١. راجع أيضاً الروض الأنف ٤: ٢٧٥.
٥. إرشاد الساري ٢: ٤٠٧. حكاه الذهبي أيضاً في سير أعلام النبلاء ٢: ١٣٤، الرقم ١٨.

ورثاه أبوالهيثم بن التيهان بقصيدة داليّة، أشار إليها ابن حجر في ترجمة أبي الهيثم من إصابته[١].

ورثته أُمّ رعلة القشيريّة بقصيدة رائيّة، أشار إليها العسقلاني في ترجمة أُمّ رعلة من إصابته[٢].

ورثاه عامر بن الطفيل بن الحارث الأزدي بقصيدة جيميّة، أشار إليها ابن حجر في ترجمة عامر من الإصابة[٣].

ومن استوعب الاستيعاب، وتصفّح [طبقات ابن سعد] والإصابة وأُسد الغابة، ومارس كتب الأخبار يجد من مراثيهم المشتملة على تهييج الحزن بذكر محاسن الموتى شيئاً يتجاوز حدّ الإحصاء.

وقد أكثرت الخَنْساء ـ وهي صحابيّة ـ من رثاء أخويها: صخر ومعاوية[٤] ـ وهما كافران ـ وأبدعت في مدائح صخر وأهاجت عليه لواعج الحزن، فما أنكر عليها منكر.

وأكثر أيضاً متمّم بن نويرة من تهييج الحزن على أخيه مالك في مراثيه السائرة حتّى وقف مرّة في المسجد وهو غاصّ بالصحابة أمام أبي بكر بعد صلاة الصبح واتّكأ على سِيَةِ قوسه فأنشد:

نعم القتيلُ إذا الرياحُ تناوَحَتْ   خلفَ البيوتِ قتلتَ يا ابنَ الأزورِ

ثمّ أومأ إلى أبي بكر ـ كما في ترجمة وثيمة بن موسى بن الفرات

---

١. الإصابة ٧: ٣٦٥، الرقم ١٠٦٨٩.

٢. المصدر ٨: ٣٩٠، الرقم ١٢٠٢٥.

٣. المصدر ٣: ٤٧٣، الرقم ٤٤١٤.

٤. راجع: الأغاني ١٥: ٧٧ ـ ٩٢، نسب الخنساء وخبرها و...؛ الاستيعاب ٤: ١٨٢٧ ـ ١٨٢٩، الرقم ٣٣١٧؛ الإصابة ٨: ١١٠ ـ ١١٢، الرقم ١١١١٢.

من وفيات ابن خلّكان[١] ـ فقال مخاطباً له:

أدعوتَه بـالله ثـمّ غـدرتَه لو هو دعاك بذمّةٍ لم يغدرِ

فقال أبوبكر: والله ما دعوتُه، ولا غدرته.

ثمّ قال [متمّم]:

ولنعم حشـوُ الدرعِ كـان وحـاسراً ولنـعم مأوى الطـارقِ المـتنوّرِ

لا يـمسِكُ الفـحشاءَ تـحت ثـيابِه حـلوٌ شـمائِلُه عـفيفُ المـئزرِ

وبكى حتّى انحطّ عن سية قوسه.

قالوا: فما زال يبكي حتّى دمعت عينه العوراء، فما أنكر عليه في بكائه ولا في رثائه منكر، بل قال له عمر ـ كما في ترجمة وثيمة من الوفيات[٢] ـ: لوددت أنّك رثيت زيداً أخي بمثل ما رثيت به مالكاً أخاك، فرثى متمّم بعدها زيد بن الخطّاب فما أجاد، فقال له عمر: لِمَ لم ترث [أخي] زيداً كما رثيت مالكاً؟ فقال: إنّـه والله ليحرّكني لمالك مالا يحرّكني لزيد.

واستحسن الصحابة ومن تأخّر عنهم مراثيه في مالك، وكانوا يتمثّلون بها، كما اتّفق ذلك من عائشة إذ وقفت على قبر أخيها عبدالرحمن ـ كما في ترجمته من الاستيعاب[٣] ـ فبكت عليه و تمثّلت:

وكُـنّا كـندماني جَـذيمةَ حـقبةً من الدهرِ حتّى قيل لن يتصدّعا

فـلمّا تـفرّقنا كأنّـي ومـالكاً لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليـلةً مـعا

وما زال الرثاء فاشياً بين المسلمين وغيرهم في كلّ عصر ومصر لا يتناكرونه مطلقاً.

---

١ و ٢. وفيات الأعيان ٦: ١٥ ـ ١٦، الرقم ٧٦٩. راجع أيضاً العقد الفريد ٣: ٢٦٢.

٣. الاستيعاب ٢: ٨٢٦، الرقم ١٣٩٤. راجع أيضاً: الجامع الصحيح ٣: ٣٧١، ح ١٠٥٥؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ٦٠٠، ح ٦٠٦٧؛ البيان والتبيين ٢: ٣٠٢؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٣: ١٨٩، ح ٤٣١٤.

المطلب الثالث
في تلاوة الأحاديث المشتملة على مناقب الميّت ومصائبه

كما كانت عليه سيرة السلف، وفعلته عائشة إذ وقفت على قبر أبيها باكية، فقالت: كنت للدنيا مذلّاً بإدبارك عنها، وكنت للآخرة معزّاً بإقبالك عليها، وكان أجلّ الحوادث بعد رسول الله ﷺ رزؤك، وأعظم المصائب بعده فقدك[١].

وفعله محمّد بن الحنفيّة إذ وقف على قبر أخيه المجتبى عليه السلام فخنقته العبرة ـ كما في أوائل الجزء الثاني من العقد الفريد[٢] ـ ثمّ نطق فقال:

يرحمك الله أبا محمّد، فلئن عزّت حياتك فقد هدّت وفاتك، ولنعم الروح روح ضمّه بدنك، ولنعم البدن بدن ضمّه كفنك، وكيف لا تكون كذلك وأنت بقيّة ولد الأنبياء، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، غذّتك أكفّ الحقّ، وربّيت في حجر الإسلام، فطبت حيّاً وطبت ميّتاً، وإن كانت أنفسنا غَير طيّبة بفراقك، ولا شاكّة في الخيار لك. انتهى.

ثمّ بكى بكاءً شديداً وبكى الحاضرون حتّى علا نشيجهم.

ووقف أمير المؤمنين عليه السلام على قبر خبّاب بن الأرتّ[٣] في ظهر الكوفة ـ وهو أوّل من دفن هناك، كما نصّ عليه ابن الأثير في آخر تتمّة صفّين[٤] ـ فقال: «رحم الله

١. راجع نفس المصادر المذكورة بعيد هذا.

٢. العقد الفريد: ٢٣٩ ـ ٢٤٠. للمزيد راجع أيضاً: مروج الذهب ٣: ٦ ـ ٧؛ تهذيب الكمال ٦: ٢٥٥ ـ ٢٥٦، الرقم ١٢٤٨.

٣. هو ابن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب... كان من السابقين الأوّلين. راجع الإصابة ٢: ٢٢١، الرقم ٢٢١٥.

٤. الكامل في التاريخ ٣: ٣٢٤، حوادث سنة ٤٠. راجع أيضاً: المعجم الكبير ٤: ٥٦، الرقم ٣٦١٨؛ حلية الأولياء ١: ١٤٧، الرقم ٢٣؛ المستطرف (الجزء الثاني): ٥١٥.

خبّاباً، لقد أسلم راغباً، وجاهد طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلي في جسمه أحوالاً، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً». انتهى.

ولمّا توفّي أمير المؤمنين عليه السلام، قام الخلف من بعده أبومحمّد الحسن الزكيّ عليه السلام خطيباً، فقال ـ كما في حوادث سنة ٤٠ من تاريخ ابن جرير، وابن الأثير، وغيرهما[١] ـ: «لقد قتلتم الليلة رجلاً والله ما سبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد يكون بعده، إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليبعثه في السريّة، وجبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ما ترك صفراء ولا بيضاء». إلى آخره.

ووقف الإمام زين العابدين على قبر جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: «أشهد أنّك جاهدت في الله حقّ جهاده، و عملت بكتابه، واتّبعت سنن نبيّه صلى الله عليه وآله حتّى دعاك الله إلى جواره، فقبضك إليه باختياره لك كريم ثوابه، وألزم أعداءك الحجّة مع مالك من الحجج البالغة على جميع خلقه»[٢].

وعن أنس بن مالك ـ كما في العقد الفريد وغيره[٣] ـ قال: لمّا فرغنا من دفن رسول الله صلى الله عليه وآله بكت فاطمة ونادت: «يا أبتاه، أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه، مِن ربّه ما أدناه، [يا أبتاه، مَن ربّه ناداه،] يا أبتاه، إلى جبرائيل ننعاه، يا أبتاه، جنّة الفردوس مأواه».

ولو أردنا أن نستوفي ما كان من هذا القبيل، لخرجنا عن الغرض المقصود.

وحاصله: أنّ تأبين[٤] الموتى من أهل الآثار النافعة بنشر مناقبهم وذكر مصائبهم

---

١. تاريخ الطبري ٥: ١٥٧، حوادث سنة ٤٠؛ الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٠ ـ ٤٠١، حوادث سنة ٤٠. راجع أيضاً: العقد الفريد ٣: ٢٣٨؛ مسند أبي يعلى ١٢: ١٢٦، ح ٦٧٥٧ و٦٧٥٨.

٢. كامل الزيارات: ٩٢، الباب ١١، ح ١؛ بحار الأنوار ٩٧: ٢٦٧، كتاب المزار، الباب ١٤، ح ٩.

٣. العقد الفريد ٣: ٢٣٨. راجع أيضاً: صحيح البخاري ٤: ١٦١٩، ح ٤١٩٣؛ سنن ابن ماجة ١: ٥٢٢، ح ١٦٣٠؛ المستدرك على الصحيحين ٣: ٦٠٦ ـ ٦٠٧، ح ٤٤٥٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٤٣.

٤. «أبّن الميّت: رثاه وأثنى عليه ...». المعجم الوسيط: ٣، «أ. ب. ي».

ممّا حكم بحسنه العقل والنقل، واستمرّت عليه سيرة السلف والخلف، وأوجبته قواعد المدنيّة، واقتضته أُصول الترقّي في المعارف، إذ به تحفظ الآثار النافعة، وبالتنافس فيه تعرج الخطباء إلى أوج البلاغة، والقول بتحريمه يستلزم تحريم قراءة التاريخ وعلم الرجال؛ بل يستوجب المنع من تلاوة الكتاب والسنّة؛ لاشتمالهما على جملة من مناقب الأنبياء ومصائبهم، ومن يرضى لنفسه هذا الحمق أو يختار لها هذا العمى؟ نعوذ بالله من سفه الجاهلين.

المطلب الرابع
في الجلوس حزناً على الموتى من أهل الحفائظ والأيادي المشكورة

وحسبك في رجحان ذلك ما تواتر عن رسول الله ﷺ من الحزن الشديد على عمّه أبي طالب، وزوجته الصدّيقة الكبرى أُمّ المؤمنين عليها السلام، وقد ماتا في عام واحد فسمّي «عام الحزن»[1]، وهذا معلوم بالضرورة من أخبار الماضين.

وأخرج البخاري(١) في باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن ـ من الجزء الأوّل من صحيحه[2] ـ بالإسناد إلى عائشة، قالت: لمّا جاء النبيّ ﷺ قتل ابن حارثة

(١) وأخرجه مسلم أيضاً في باب التشديد في النياحة من صحيحه[3].

١. راجع: السيرة الحلبيّة ٢: ٤٠؛ مناقب آل أبي طالب ١: ٢٢٤؛ إعلام الورى ١: ٥٣؛ قصص الأنبياء للراوندي: ٣١٧، ح ٣٩٤؛ كشف الغمّة ١: ١٦.

٢. صحيح البخاري ١: ٤٣٧، ح ١٢٣٨. راجع أيضاً: سنن أبي داود ٣: ١٩٢، ح ٣١٢٢؛ السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٩٧، ح ٧٠٨٥.

٣. صحيح مسلم ٢: ٦٤٤، كتاب الجنائز، ح ٣٠.

وجعفر وابن رواحة جلس ـ أي في المسجد، كما في رواية أبي داود ـ يُعرف فيه الحُزن.

وأخرج البخاري في الباب المذكور أيضاً عن أنس قال: قنت رسول الله ﷺ شهراً حين قتل القرّاء فما رأيته حزن حزناً قطّ أشدّ منه[١]. الحديث.

والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى أو تستقصى.

والقول بأنّه إنّما يحسن ترتيب آثار الحزن إذا لم يتقادم العهد بالمصيبة، مدفوع بأنّ من الفجائع مالا تخبو زفرتها ولا تخمد لوعتها، فقرب العهد بها وبعده عنها سواء.

نعم، يتمّ قول هؤلاء اللائمين إذا تلاشى الحزن بمرور الأزمنة ولم يكن دليل ولا مصلحة يوجبان التعبّد بترتيب آثاره، وما أحسن قول القائل في هذا المقام:

خلّي أُميمةُ عن ملامِك ... ما المُعزّي كالثكولِ
ما الراقدُ الوسنانُ مثلُ ... معذّبِ القلبِ العليلِ
سهرانَ من ألمٍ وهذا ... نائمُ الليلِ الطويلِ
ذوقي أُميمةُ ما أذوقُ ... وبعدَه ما شئتِ قولي

على أنّ في ترتيب آثار الحزن بما أصاب رسول الله ﷺ من تلك الفجائع، وحلّ بساحته من هاتيك القوارع حِكَماً توجب التعبّد بترتيب آثار الحزن بسببها على كلّ حال. والأدلّة على ترتيب تلك الآثار في جميع الأعصار متوفّرة، وستسمع اليسير منها إن شاء الله تعالى.

وقد علمت سيرة أهل المدينة الطيّبة واستمرارها على ندب حمزة وبكائه مع بُعد العهد بمصيبته، فلم ينكر عليهم في ذلك أحد حتّى بلغني أنّهم لا يزالون إلى الآن إذا

---

١. صحيح البخاري ١: ٤٣٧، ح ١٢٣٨.

ناحوا على ميّت بدأوا بالنياحة عليه، وما ذاك إلّا مواساة لرسول الله ﷺ بمصيبته في عمّه، وأداءً لحقّ تلك الكلمة التي قالها في البعث على البكاء عليه، وهي قوله: «لكن حمزة لا بواكي له»[١].

وكان الأولى لهم ولسائر المسلمين مواساته في الحزن على أهل بيته، والاقتداء به في البكاء عليهم. وقد لام بعض أهل البيت من لم يواسهم في ذلك فقال:

يالله لقلب لا ينصدع لتذكار تلك الأمور، ويا عجباً من غفلة أهل الدهور، وما عذر أهل الإسلام و الايمان في إضاعة أقسام الأحزان، ألم يعلموا أنّ محمّداً ﷺ موتور وجيع؟ وحبيبه مقهور صريع؟

ـ قال: ـ وقد أصبح لحمه ﷺ مجرّداً على الرمال، ودمه الشريف مسفوكاً بسيوف أهل الضلال، فيا ليت لفاطمة وأبيها، عيناً تنظر إلى بناتها وبنيها، وهم ما بين مسلوب وجريح، ومسحوب وذبيح[٢]، إلى آخر كلامه.

ومن وقف على كلام أئمّة أهل البيت في هذا الشأن، لا يتوقّف في ترتيب آثار الحزن عليهم مدى الدوران، لكنّا منينا بقوم لا ينصفون. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

المطلب الخامس
في الإنفاق عن الميّت في وجوه البرّ والإحسان

ويكفي في استحبابه عموم ما دلّ على استحباب مطلق المبرّات والخيرات، على أنّ فعل النبيّ ﷺ وقوله دالّان على الاستحباب في خصوص المقام.

وحسبك من فعله ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما بطرق متعدّدة عن

---

١. تقدّم في المطلب الأوّل.

٢. راجع الملهوف على قتلى الطفوف: ٨٤ و ٨٥، ولم نعثر عليها في أحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

عائشة،(١) قالت: ما غِرْتُ على أحد من نساء النبيّ ﷺ ما غِرْتُ على خـديجة، وما رأيتها ولكن كان النبيّ ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثمّ يقطعها أعضاءً ثمّ يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا إلّا خديجة، فيقول: «إنّها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد».

قلت: وهذا يدلّ على استحباب صلة أصدقاء الميّت وأوليائه في الله ـ عزّ وجلّ ـ بالخصوص.

ويكفيك من قوله ﷺ ما أخرجه مسلم ـ في باب وصول ثواب الصـدقة عـن الميّت إليه، من كتاب الزكاة في الجزء الأوّل من صـحيحه[١] ـ بـطرق مـتعدّدة عـن عائشة: إنّ رجلاً أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ أُمّي افْتُلِتَت نفسها ولم توص، أفلها أجر إن تصدّقت عنها؟ قال ﷺ: «نعم».

ومثله: ما أخرجه أحمد من حديث عبدالله بن عبّاس ـ في ص ٣٣٣ من الجزء الأوّل من مسنده ـ من أنّ سعد بن عبادة قال: إنّ ابن بكر أخا بني ساعدة توفّيت أُمّه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله، إنّ أُمّي توفّيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدّقت بشيء عنها؟ قال: «نعم»، قال: فإنّي أُشهدك أنّ حائط المخرف صدقة عليها[٢]. انتهى.

---

(١) فراجع من صحيح البخاري باب تزويج النبيّ خديجة وفضلها، [و] من صحيح مسلم باب فضائل خديجة أُمّ المؤمنين عليها السلام[٣].

---

١. صحيح مسلم ٢: ٦٩٦، كتاب الزكاة، ح ٥١. للمزيد راجع أيضاً: صحيح البخاري ١: ٤٦٧، ح ١٣٢٢؛ ٣: ١٠١٥، ح ٢٦٠٩؛ سنن أبي داود ٣: ١١٨، ح ٢٨٨١؛ سنن ابن ماجة ٢: ٩٠٦ ـ ٩٠٧، ح ٢٧١٧.

٢. مسند أحمد ١: ٧١٣، ح ٣٠٨٠. للمزيد راجع أيضاً: صحيح البخاري ٣: ١٠١٣، ح ٢٦٠٥، و١٠١٥، ح ٢٦١١، و١٠١٩، ح ٢٦١٨؛ سنن أبي داود ٣: ١١٨، ح ٢٨٨٢.

٣. صحيح البخاري ٣: ١٣٨٩، ح ٣٦٠٧؛ صحيح مسلم ٤: ١٨٨٩، كتاب فضائل الصحابة، ح ٧٤ ـ ٧٨.

والأخبار في ذلك متضافرة[1]، ولا سيّما من طريق العترة الطاهرة(١).

(١) وربما كان المنكر علينا فيما نفعله من المبرّات عن الحسين عليه السلام لا يقنع بأقوال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولا بأفعاله، وإنّما تقنعه أقوال سلفه وأفعالهم، وحينئذٍ نحتجّ عليه بما فعله الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأُموي، إذ مات لبيد بن ربيعة العامري الشاعر، فبعث الوليد إلى منزله عشرين جزوراً فنحرت عنه، كما نصّ عليه ابن عبدالبرّ في ترجمة لبيد من الاستيعاب[2].

١. للمزيد راجع المجلس الخامس من رسالة المجالس الفاخرة.

٢. الاستيعاب ٣: ١٣٣٧ ـ ١٣٨٨، الرقم ٢٢٣٣.

فصل [١]

[إقامة المآتم في سنّة النبيّ وأهل البيت عليهم السلام]

كلّ من وقف على ما سلف من هذه المقدّمة، يعلم أنّه لا وجه للإنكار علينا في مآتمنا المختصّة بسيّد الشهداء عليه السلام، ضرورة أنّها لا تشتمل إلّا على تلك المطالب الخمسة، وقد عرفت إباحتها بالنسبة إلى مطلق الموتى من كافّة المؤمنين. وما أدري كيف يستنكرون مآتم انعقدت لمواساة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأُسّست على الحزن لحزنه؟ أيبكي ـ بأبي هو واُمّي ـ قبل الفاجعة، ونحن لا نبكي بعدها؟ ما هذا شأن المتأسّي بنبيّه، والمقتصّ لأثره، إن هذا إلّا خروج عن قواعد المتأسّين، بل عدول عن سنن النبيّين.

ألم يرو الإمام أحمد بن حنبل من حديث عليّ عليه السلام ـ في ص ٨٥ من الجزء الأوّل من مسنده[١] ـ بالإسناد إلى عبدالله بن نجا، عن أبيه، أنّه سار مع عليّ عليه السلام فلمّا حاذى نينوى ـ وهو منطلق إلى صفّين ـ نادى: «صبراً أباعبدالله، صبراً أباعبدالله بشطّ الفرات» قال: قلت: وما ذاك؟ قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبيّ الله ، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: قام من عندي جبرائيل قبل،

١. مسند أحمد ١: ١٨٤ ـ ١٨٥، ح٦٤٨. رواه أيضاً ابن أبي شيبة في مصنّفه ٧: ٤٧٨، ح ٣٧٣٥٦، وأبويعلى في مسنده ١: ٢٩٨، ح ٣٦١، ومحبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى ١: ١٤٨.

فحدّثني أنّ ولدي الحسين يقتل بشطّ الفرات ـ قال: ـ فقال: هل لك إلى أن أشمّك من تربته؟ قال: قلت: نعم، فمدّ يده، فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عينيّ أن فاضتا». انتهى.

وأخرج ابن سعد ـ كما في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر من الصواعق المحرقة لابن حجر(١) ـ عن الشعبي قال: مرّ عليّ عليه السلام بكربلاء عند مسيره إلى صفّين وحاذى نينوى، فوقف وسأل عن اسم الأرض، فقيل: كربلاء، فبكى حتّى بلّ الأرض من دموعه، ثمّ قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك ـ بأبي أنت وأمّي ـ؟ قال: كان عندي جبرائيل آنفاً، وأخبرني أنّ ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات، بموضع يقال له: كربلاء»[1]. الحديث.

وأخرج الملّاء ـ كما في الصواعق أيضاً ـ أنّ عليّاً مرّ بموضع قبر الحسين عليه السلام فقال: «هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمّد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض»(٢). انتهى.

---

(١) كلّ ماننقله في هذا المقام عن الصواعق من هذا الحديث وغيره، موجود في أثناء كلامه في الحديث الثلاثين من الأحاديث التي أوردها في ذلك الفصل، فراجع.

(٢) وهذا الحديث رواه أصحابنا بكيفيّة مشجيّة عن الباقر عليه الصلاة والسلام، ورووه عن هرثمة، وعن ابن عبّاس. وإن أردت الوقوف عليه، فدونك ص ١٠٨ وما بعدها إلى ص ١١٢ من الخصائص الحسينيّة[2].

---

١. الصواعق المحرقة: ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣.

٢. الخصائص الحسينيّة: ١١٥ ـ ١١٦. للمزيد راجع أيضاً: الأمالي للصدوق: ١١٧ ـ ١١٨، المجلس ٢٨، ح ٦، و٤٧٨ ـ ٤٨٠، المجلس ٨٧، ح ٥؛ مقتل الحسين للخوارزمي: ٢٤٦، الفصل ٨، ح ٢٠؛ كشف الغمّة ٢: ٢٦٦؛ ينابيع المودّة ٣: ١٣، الباب ٦٠، ح ١٥.

ومن حديث أُمّ سلمة ـ كما نصّ عليه ابن عبد ربّه المالكي(١) حيث ذكر مقتل الحسين في الجزء الثاني من العقد الفريد[1] ـ قالت: كان عندي النبيّ ﷺ ومعي الحسين، فدنا من النبيّ ﷺ فأخذته فبكى فتركته، فدنا منه، فأخذته فبكى فتركته، فقال له جبرئيل: «أتحبّه يا محمّد؟» قال: «نعم». [قال:] «أما إنّ أُمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك الأرض التي يقتل بها» فبكى النبيّ ﷺ.(٢)

وروى الماوردي الشافعي ـ في باب إنذار النبيّ ﷺ بما سيحدث بعده(٣) من كتابه أعلام النبوّة[2] ـ عن عروة، عن عائشة قالت:

دخل الحسين بن عليّ على رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه، فقال جبرائيل: «إنّ أُمّتك ستفتتن بعدك وتقتل ابنك هذا من بعدك» ومدّ يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال: «في هذه يقتل ابنك اسمها الطفّ».

ـ قال: ـ فلمّا ذهب جبرائيل خرج رسول الله إلى أصحابه والتربة بيده، وفيهم أبوبكر وعمر وعليّ وحذيفة وعثمان وأبوذرّ، وهو يبكي فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: «أخبرني جبرائيل: أنّ ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطفّ، وجاءني بهذه التربة، فأخبرني أنّ فيها مضجعه». انتهى.

---

(١) في سطر ١٥ من ص ٢٤٣ من جزئه الثاني المطبوع سنة ١٣٠٥، وفي هامشه زهر الآداب.
(٢) وأخرج البغوي في معجمه، وأبو حاتم في صحيحه من حديث أنس، كما في الصواعق نحوه[3].
(٣) وهو الباب الثاني عشر في ص ٢٣ من ذلك الكتاب.

---

١. العقد الفريد ٤: ٣٨٣.
٢. أعلام النبوّة للماوردي: ١٨٢. رواه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير ٣: ١٠٧، ح ٢٨١٤، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٣٠١ ـ ٣٠٢، ح ١٥١١٤.
٣. الصواعق المحرقة: ١٩٢، الباب ١١، الفصل ٣.

وأخرج الترمذي[١] ـ كما في الصواعق وغيرها[٢] ـ أنّ أُمّ سلمة رأت النبيّ صلى الله عليه وآله فيما يراه النائم باكياً، وبرأسه ولحيته التراب، فسألته، فقال: «قتل الحسين آنفاً».

قال في الصواعق[٣]: وكذلك رآه ابن عبّاس نصف النهار أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم يلتقطه، فسأله، فقال: دم الحسين وأصحابه، لم أزل أتتبّعه منذ اليوم(١). قال: فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم. انتهى.

وأمّا صحاحنا فإنّها متواترة في بكائه صلى الله عليه وآله على الحسين عليه السلام في مقامات عديدة: يوم ولادته وقبلها[٤]، ويوم السابع من مولده[٥]، وبعده في بيت فاطمة[٦]، وفي حجرته[٧]،

(١) وأخرجه من حديث ابن عبّاس أحمد بن حنبل في ص ٢٨٣ من الجزء الأوّل من مسنده، وابن عبدالبرّ والعسقلاني في ترجمة الحسين عليه السلام من الاستيعاب، والإصابة[٨]، وخلق كثير[٩].

١. الجامع الصحيح ٥: ٣٢٢، ح ٣٨٦٠. للمزيد راجع أيضاً: التاريخ الكبير للبخاري ٣: ٣٢٤، الرقم ١٠٩٨؛ المعجم الكبير ٢٣: ٣٧٣، ح ٨٨٢.
٢. الصواعق المحرقة: ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣. للمزيد راجع أيضاً ينابيع المودّة ٣: ١٣، الباب ٦٠، ح ١٦.
٣. الصواعق المحرقة: ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣.
٤. الأمالي للصدوق: ١١٧، المجلس ٢٨، ح ٥.
٥. الأمالي للطوسي: ٣٦٧ ـ ٣٦٨، المجلس ١٣، ح ٣٢؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٥٠ ـ ٢٥١، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣١، ح ١.
٦. كامل الزيارات: ١٢٥ ـ ١٢٧، الباب ١٦، ح ٨ ـ ١٠، و١٤٢، الباب ٢١، ح ١، و١٤٧، الباب ٢٢، ح ٦.
٧. الملهوف على قتلى الطفوف: ٩١ ـ ٩٢؛ الدرّ النظيم: ٥٣٧؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٥ ـ ٢٤٦، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٠، ح ٤٥.
٨. مسند أحمد ١: ٦٠٦، ح ٢٥٥٣؛ الاستيعاب ١: ٣٩٥ ـ ٣٩٦، الرقم ٥٥٦؛ الإصابة ٢: ٧١، الرقم ١٧٢٩.
٩. كالطبري في المعجم الكبير ٣: ١١٠، ح ٢٨٢٢، وابن الأثير في أُسد الغابة ٢: ٣٠، الرقم ١١٧٣، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٣١٠ ـ ٣١١، ح ١٥١٤١.

وعلى منبره[١]، وفي بعض أسفاره[٢]، تارةً يبكيه وحده[٣]، ومرّةً هو والملائكة[٤]، وأحياناً هو وعليّ وفاطمة[٥]، وربما بكاه هو وأصحابه[٦]. وكان يقبّله في نحره ويبكي[٧]، ويقبّله في شفتيه ويبكي[٨]، وإذا رآه فرحاً يبكي، وإذا رآه حزناً يبكي[٩]؛ بل صحّ أنّه قد بكاه آدم و نوح وإبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى و زكريّا ويحيى والخضر وسليمان عليهم السلام، وتفصيل ذلك كلّه موكول إلى مظانّه من كتب الحديث.(١)

وأمّا أئمّة العترة الطاهرة ـ الذين هم كسفينة نوح، وباب حطّة، وأمان أهل الأرض، وأحد الثقلين اللذين لا يضلّ من تمسّك بهما، ولا يهتدي إلى الله من صدّ عنهما[١٠] ـ فقد استمرّت سيرتهم على الندب والعويل، وأمروا أولياءهم بإقامة مآتم الحزن، جيلاً بعد جيل.

---

(١) فراجع ص ١٠٥ وما بعدها إلى ص ٢٣٢ من الخصائص الحسينيّة، وإن شئت، فراجع جلاء العيون، أو البحار، أو غيرهما[١١].

---

١ و ٢. الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٣ ـ ٩٤؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٨ ـ ٢٤٩، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٠، ح ٤٦.

٣. الأمالي للصدوق: ١٢٠، المجلس ٢٩، ح ٣؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٢٥، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٠، ح ٥.

٤. الأمالي للصدوق: ١١٧، المجلس ٢٧، ح ٥؛ عوالم العلوم والمعارف والأحوال ١٧: ١١٦.

٥. كامل الزيارات: ١٢١ و ١٢٥ ـ ١٢٦، الباب ١٦، ح ١ و ٨ ـ ١٠؛ مثير الأحزان: ٢٢.

٦. أعلام النبوّة للماوردي: ١٨٢؛ مثير الأحزان: ٢١ ـ ٢٢.

٧. كامل الزيارات: ١٤٦، الباب ٢٢، ح ٤.

٨. المصدر: ١١٦ ـ ١١٧، الباب ١٤، ح ١٢.

٩. بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٥ ـ ٢٤٦، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٠، ح ٤٥.

١٠. للمزيد راجع الصواعق المحرقة: ١٥٢، الباب ١١، الفصل ١.

١١. راجع الخصائص الحسينيّة: ١٠٣ ـ ١١٣؛ جلاء العيون ١: ٢٣٠؛ بحار الأنوار ٤٤: ٢٢٣ ـ ٢٩٦، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٠ ـ ٣٥.

فعن الصادق عليه السلام ـ فيما رواه ابن قولويه في الكامل وابن شهر آشوب في المناقب، وغيرهما ـ: أنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام بكى على أبيه مدّة حياته، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى، ولا أُتي بشراب إلّا بكى، حتّى قال له أحد مواليه: جعلت فداك يا بن رسول الله؛ إنّي أخاف أن تكون من الهالكين، قال عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وَحُزْنِى إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وروى ابن قولويه، وابن شهر آشوب أيضاً، وغيرهما أنّه لمّا كثر بكاؤه قال له مولاه: أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فقال: «ويحك، إنّ يعقوب عليه السلام كان له اثنا عشر ولداً فغيّب الله واحداً منهم، فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغمّ، وابنه حيّ في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمومتي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟»[2].

وعن الباقر عليه السلام(١) قال: «كان أبي عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن عليّ عليه السلام دمعة حتّى تسيل على خدّه، بوّأه الله تعالى في الجنّة غرفاً يسكنها أحقاباً.

---

(١) فيما أخرجه جماعة، منهم ابن قولويه في كامله[3].

---

١. كامل الزيارات: ٢١٣، الباب ٣٥، ح ١؛ الخصال: ٢٧٢ ـ ٢٧٣، باب الخمسة، ح ١٥. راجع أيضاً: مكارم الأخلاق للطبرسي ١: ٩٤، ح ٢٢٦٤، في البكاء؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١٧٩؛ بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨، تاريخ عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام، الباب ٦، ح ١، والآية في سورة يوسف (١٢): ٨٦.

٢. كامل الزيارات: ٤٤٥، الباب ٨٨، ح ١؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١٧٩ ـ ١٨٠. راجع أيضاً: الخصال للصدوق: ٥١٨ ـ ٥١٩، أبواب العشرين وما فوقه، ح ٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٣٤؛ مسكن الفؤاد ضمن المصنّفات الأربعة: ١٨١؛ بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨، تاريخ عليّ بن الحسين عليه السلام، الباب ٦، ح ١.

٣. كامل الزيارات: ٢٠١، الباب ٣٢، ح ١. راجع أيضاً: تفسير القمّي ٢: ٢٦٥، ذيل الآية ٢٩ من سورة الدخان (٤٤)؛ مثير الأحزان: ١٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٨٦؛ وسائل الشيعة ١٤: ٥٠١، الباب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه.

وأيّما مؤمن دمعت عيناه حتّى تسيل على خدّه فينا ؛ لأذىً مسّنا من عدوّنا في الدنيا ، بوّأه الله في الجنّة مبوّأ صدق.

وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتّى تسيل على خدّه، صرف الله عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار». انتهى.

وقال الرضا(١) ـ وهو الثامن من أئمّة الهدى صلوات الله عليهم ـ: «إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال، فاستحلّت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبيت فيه ذرارينا ونساؤنا، وأُضرمت فيه النار في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثَقَلنا(٢)، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا، إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام».

ثمّ قال عليه السلام: «كان أبي إذا دخل شهر المحرّم لايرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه [حتّى يمضي منه عشرة أيّام] فإذا كان يوم العاشر، كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه». انتهى.

وقال عليه السلام(٣): «من تذكّر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر مصابنا فبكى وأبكى، لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن

---

(١) فيما أخرجه الصدوق في أماليه، وغير واحد من أصحابنا[١].

(٢) الثقل ـ وزان سبب ـ: متاع المسافر، وكلّ شيء نفيس مصون[٢].

(٣) فيما أخرجه الصدوق في أماليه[٣].

---

١. الأمالي للصدوق: ١١١، المجلس ٢٧، ح ٢. راجع أيضاً: مناقب آل أبي طالب ٤: ٩٤؛ روضة الواعظين ١: ٣٨٦، ح ٤٠٧؛ الإقبال بالأعمال الحسنة ٣: ٢٨، الباب ١، الفصل ٢.

٢. لسان العرب ١١: ٨٧، «ث. ق. ل».

٣. الأمالي للصدوق: ٦٨، المجلس ١٧، ح ٤.

جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب». انتهى.

وعن الريّان بن شبيب ـ فيما أخرجه الشيخ الصدوق في العيون[1] ـ قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أوّل يوم من المحرّم، فقال لي: «يابن شبيب، إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأُمّة حرمة شهرها ولا حرمة نبيّها صلى الله عليه وآله؛ إذ قتلوا في هذا الشهر ذرّيّته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله.

يابن شبيب، إن كنت باكياً لشيء، فابك للحسين عليه السلام، فإنّه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً مالهم في الأرض من شبيه، ولقد بكت السماوات السبع لقتله.

ـ إلى أن قال: ـ يابن شبيب إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا». الحديث.

وقال عليه السلام ـ فيما أخرجه الصدوق في أماليه[2] ـ: «من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء، قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه، جعل الله ـ عزّ وجلّ ـ يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرّت بنا في الجنان عينه». الحديث.

وبكى ـ صلوات الله عليه ـ إذ أنشده دعبل بن عليّ الخزاعي قصيدته التائيّة السائرة حتّى أُغمي عليه في أثنائها مرّتين، كما نصّ عليه الفاضل العبّاسي في ترجمة دعبل من معاهد التنصيص[3]، وغيره من أهل الأخبار.

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٦٨، الباب ٢٦، ح ٥٨. راجع أيضاً: الأمالي للصدوق: ١١٢ ـ ١١٣، المجلس ٢٧، ح ٥؛ الإقبال بالأعمال الحسنة ٣: ٢٩ ـ ٣٠، الباب ١، الفصل ٢.

٢. الأمالي للصدوق: ١١٢، المجلس ٢٧، ح ٤. راجع أيضاً: عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٦٧، الباب ٢٦، ح ٥٨؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ٩٤؛ روضة الواعظين ١: ٣٨٧، ح ٤٠٨؛ الإقبال بالأعمال الحسنة ٣: ٨١، الباب ١، الفصل ١٦.

٣. معاهد التنصيص ٢: ١٩٠.

وفي البحار وغيره[١]: أنّه عليه السلام أمر قبل إنشادها بستر، فضرب دون عقائله، فجلسن خلفه يسمعن الرثاء، ويبكين على جدّهنّ سيّد الشهداء، وأنّه قال يومئذٍ: «يا دعبل، من بكى أو أبكى على مصابنا ولو واحداً، كان أجره على الله. يا دعبل، من ذرفت عيناه على مصابنا، حشره الله معنا». انتهى.

وحدّث محمّد بن سهل ـ كما في ترجمة الكميت من معاهد التنصيص ـ قال: دخلت مع الكميت على أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في أيّام التشريق، فقال له: جعلت فداك ألا أنشدك؟ قال: «إنّها أيّام عظام» قال: إنّها فيكم. قال: «هات» وبعث أبوعبدالله إلى بعض أهله، فقرب فأنشده في رثاء الحسين عليه السلام فكثر البكاء حتّى أتى على هذا البيت:

يُصيبُ به الرامون عن قوسِ غَيرهم فيا آخراً أسدى له الغَيَّ أوّلُ

قال: فرفع أبوعبدالله عليه السلام[٢] يديه فقال: «اللهمّ اغفر للكميت ما قدّم وماأخّر، وما أسرّ وما أعلن، وأعطِه حتّى يرضى»[٣].(١)

---

(١) بخٍ بخٍّ، هنيئاً لمن نال من أئمّة الهدى بعض ذلك، وأنت تعلم أنّه عليه السلام لم يبتهل بالدعاء لكميت هذا الابتهال إلّا لما دلّ عليه بيته هذا من معرفته بحقيقة الحال. وقد أكثر الشعراء من نظم هذا المعنى، فنظمه المهيار في قصيدته اللاميّة[٤]، وقبل ذلك نظمه الشريف الرضيّ فقال:

بنى لهم الماضون أساس هذه فعلوا على أساس تلك القواعد[٥]

إلى آخر ما قال. ←

---

١. بحار الأنوار ٤٥: ٢٥٧، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٤٤، ح ١٥؛ مستدرك الوسائل ١٠: ٣٨٥، الباب ٨٣ من أبواب المزار وما يناسبه، ح ١ و٢.

٢. في الأصل: «رحمه الله تعالى».

٣. الأغاني ١٧: ٢٤، ذكر الكميت ونسبه وخبره.

٤. ديوان مهيار الديلمي ٣ ـ ٤: ٨٧.

٥. ديوان الشريف الرضيّ ١: ٣٦٥.

وفي كامل الزيارات بالإسناد إلى عبدالله بن غالب قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فأنشدته مرثية الحسين عليه السلام فلمّا انتهيت إلى قولي فيها: لبليّة... البيت، صاحت باكية من وراء الستر: يا أبتاه.[1]

وروى الصدوق في الأمالي، و ثواب الأعمال، وابن قولويه[2] بأسانيد معتبرة، عن أبي عمارة قال: قال لي أبوعبدالله عليه السلام: «يا أباعمارة، أنشدني في الحسين» فأنشدته

← وكأنّ سيّدة نساء عصرها زينب عليها السلام أشارت إلى هذا المعنى بقولها مخاطبة ليزيد: وسيعلم من سوّل لك، ومكّنك من رقاب المسلمين[3].

بل أشار إليه معاوية إذ كتب إليه محمّد بن أبي بكر يلومه في تمرّده على أمير المؤمنين عليه السلام ويذكر له فضله وسابقته، فكتب له معاوية في الجواب ما يتضمّن الإشارة إلى المعنى الذي نظمه الكميت، فراجع ذلك الجواب في كتاب صفّين لنصر بن مزاحم، أو شرح النهج الحديدي، أو مروج الذهب للمسعودي[4].

وقد اعترف بذلك المعنى يزيد بن معاوية؛ إذ كتب إليه ابن عمر يلومه على قتل الحسين، فأجابه: أمّا بعد، فإنّا أقبلنا على فرش ممهّدة، ونمارق منضّدة. إلى آخر الكتاب. وقد نقله البلاذري وغيره من أهل السير والأخبار[5].

وفي كتابنا سبيل المؤمنين من هذا شيء كثير، فحقيق بالباحثين أن يقفوا عليه.

---

١. كامل الزيارات: ٢٠٩ ـ ٢١٠، الباب ٣٣، ح ٣. راجع أيضاً: بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٧، تاريخ الحسين بن عليّ سيّدالشهداء عليه السلام، الباب ٣٤، ح ٢٤؛ مستدرك الوسائل ١٠: ٣٨٥، الباب ٨٣ من أبواب المزار وما يناسبه.

٢. الأمالي للصدوق: ١٢١، المجلس ٢٩، ح ٦؛ ثواب الأعمال: ١١٠، ح ٣؛ كامل الزيارات: ٢٠٨ ـ ٢٠٩، الباب ٣٣، ح ٢.

٣. الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٧.

٤. راجع: وقعة صفّين: ١١٨ ـ ١٢١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ١٨٩ ـ ١٩٠؛ مروج الذهب ٣: ٢٠ ـ ٢١.

٥. لم نعثر عليه.

فبكى، ثمّ أنشدته فبكى، قال: فوالله ما زلت أنشده وهو يبكي حتّى سمعت البكاء من الدار، فقال: «يا أباعمارة، من أنشد في الحسين بن عليّ عليهما السلام فأبكى خمسين، فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى ثلاثين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرين، فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فبكى، فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فتباكى، فله الجنّة».

وروى الصدوق في ثواب الأعمال[1] بالإسناد إلى [أبي] هارون المكفوف قال: دخلت على أبي عبدالله الصادق عليه السلام فقال لي: «يا أباهارون، أنشدني في الحسين عليه السلام» فأنشدته، فقال لي: «أنشدني كما تنشدون» ـ يعني بالرقّة ـ قال: فأنشدته:

أُمرُرْ على جَدَثِ[2] الحسينِ فــقل لأعــظُمِهِ الزكــيّة

قال: فبكى، ثمّ قال: «زدني» فأنشدته القصيدة الأُخرى، قال: فبكى وسمعت البكاء من خلف الستر، فلمّا فرغت، قال: «يا أباهارون، من أنشد في الحسين فبكى وأبكى عشرة، كتبت لهم الجنّة ـ إلى أن قال: ـ ومن ذُكر الحسين عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذبابة، كان ثوابه على الله عزّوجلّ، ولم يرض له بدون الجنّة».

وروى الكشّي بسند معتبر عن زيد الشحّام قال: كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل عليه جعفر بن عفّان فقرّبه وأدناه، ثمّ قال: «يا جعفر» قال: لبّيك، جعلني الله فداك. قال: «بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد» فقال له: نعم، جعلني الله فداك. قال: «قل» فأنشدته، فبكى ومن حوله حتّى صارت الدموع على وجهه ولحيته، ثمّ

---

١. ثواب الأعمال: ١٠٨ ـ ١٠٩، ح ١.

٢. الجدث: القبر. لسان العرب ٢: ١٢٨، «ج. د. ث».

قال: «يا جعفر، والله لقد شهدت الملائكة المقرّبون قولك في الحسين عليه السلام، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر ـ إلى أن قال: ـ ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى إلّا أوجب الله له الجنّة وغفر له»[١].

وروى ابن قولويه في الكامل[٢] بسند معتبر حديثاً عن الصادق عليه السلام جاء فيه: «وكان جدّي عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا ذكره ـ يعني الحسين عليه السلام ـ بكى حتّى تملأ عيناه لحيتَه وحتّى يبكي لبكائه ـ رحمة له ـ من رآه. وإنّ الملائكة الذين عند قبره ليبكون، فيبكي لبكائهم كلّ من في الهواء والسماء، وما من باك يبكيه إلّا وقد وصل فاطمة وأسعدها، ووصل رسول الله صلّى الله عليه وآله وأدّى حقّنا». الحديث.

وفي قرب الإسناد[٣] عن بكر بن محمّد الأزدي: قال أبوعبدالله الصادق عليه السلام لفضيل بن يسار: «أتجلسون وتحدّثون؟» قال: نعم، جعلت فداك. قال عليه السلام: «إنّ تلك المجالس أُحبّها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيا أمرنا. يا فضيل، من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب، غفرالله له ذنوبه».

وفي خصال الصدوق[٤]: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ اطّلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أُولئك منّا وإلينا».

وفي كامل الزيارات[٥] بالإسناد إلى أبي عمارة المنشد قال: ما ذكر الحسين عليه السلام عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام في يوم قطّ فرئي متبسّماً في ذلك اليوم إلى الليل. قال: وكان

---

١. اختيار معرفة الرجال: ٢٨٩، الرقم ٥٠٨.

٢. كامل الزيارات: ١٦٨، الباب ٢٦، ح ٨.

٣. قرب الإسناد: ٣٦، ح ١١٧. رواه ابن إدريس الحلّي أيضاً في المستطرفات ضمن السرائر ٣: ٦٢٦.

٤. الخصال للصدوق ٢: ٦٣٥، أبواب أربعمائة، ح ١٠.

٥. كامل الزيارات: ٢١٤ ـ ٢١٥، الباب ٣٦، ح ٢.

أبو عبدالله عليه السلام يقول: «الحسين عبرة كلّ مؤمن».

وفيه بالإسناد إلى الصادق عليه السلام قال: «قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلّا استعبر»[١].

إلى غير ذلك من صحاح الأخبار المتواترة عن الأئمّة الأبرار، وناهيك بها حجّة على رجحان هذه المآتم، واستحبابها شرعاً، فإنّ أقوال أئمّة الهدى من أهل البيت عليهم السلام وأفعالهم وتقريرهم حجّة بالغة؛ لوجوب عصمتهم بحكم العقل والنقل، كما هو مقرّر في مظانّه من كتب المتكلّمين من أصحابنا، والتفصيل في كتابنا سبيل المؤمنين[٢].

على أنّ الاقتداء بهم في هذه المآتم وغيرها لا يتوقّف عند الخصم على عصمتهم؛ بل يكفينا فيه ما اتّفقت عليه الكلمة من إمامتهم في الفتوى، وأنّهم في أنفسهم لا يقصرون عن الفقهاء الأربعة والثوري والأوزاعي وأضرابهم علماً ولا عملاً.

وأنت تعلم أنّ هذه المآتم لو ثبتت عن أبي حنيفة، أو صاحبيه: أبي يوسف والشيباني مثلاً، لاستبق الخصم إليها، وعكف أيّام حياته عليها، فلماذا ينكرها علينا، ويندّد بها بعد ثبوتها عن أئمّة أهل البيت يا منصفون؟!

أتراه يرى في أئمّة الثقلين أمراً يقتضي الإعراض عنهم، أو يجد فيهم شيئاً يستوجب الإنكار على الأخذ بمذهبهم، أو أنّ هناك أدلّة خاصّة تقصر الإمامة في الفتوى على أئمّة خصومنا ولا تبيح الرجوع إلى غيرهم؟

كلّا إنّ واقع الأمر وحقيقة الحال بالعكس. هذا حديث الثقلين ـ المجمع على صحّته واستفاضته ـ قد أنزل العترة منزلة الكتاب، وجعلها قدوة لأُولي الألباب، فراجعه في باب «فضائل عليّ» من صحيح مسلم، أو في الجمع بين الصحيحين،

---

١. المصدر، ح ٣. رواه الصدوق أيضاً في الأمالي: ١١٨، المجلس ٢٧، ح ٧.

٢. من كتبه المفقودة. للمزيد راجع: الموسوعة ج ٧، بغية الراغبين، مؤلّفاتي، الرقم ٦، وهذا المجلّد، الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام، المطلب الثاني، الرقم ٤ من نفائسه المفقودة.

أو الجمع بين الصحاح الستّة[1].

أو في حديث أبي سعيد الخدري من مسند أحمد بن حنبل، أو خصائص عليّ للإمام النسائي، أو في تفسيري الثعلبي والبيهقي، أو في حلية الحافظ الإصفهاني، أو كتب الحاكم، والطبراني[2]، وغيرها من كتب الحديث.[3]

وأنا أُورده لك بلفظ الترمذي(١) بحذف الإسناد، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي ـ أحدهما أعظم من الآخر ـ:

(١) قال ابن حجر ـ بعد نقله عن الترمذي ـ في أثناء تفسيره للآية من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه[4] ما هذا لفظه:

ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسّك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيّف وعشرين صحابيّاً. ـ قال: ـ ومرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبهُ، وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك في حجّة الوداع بعرفة. وفي أُخرى: أنّه قاله بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه. وفي أُخرى: أنّه قال ذلك في غدير خمّ. وفي أُخرى: أنّه قاله لمّا قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف. ـ قال: ـ ولا تنافي، إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن اهتماماً بشأن الكتاب العزيز، والعترة الطاهرة. انتهى.

١. صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٦؛ الجمع بين الصحيحين للإشبيلي ٣: ٥٥٠ ـ ٥٥١، ح ٢٤٤٧.

٢. مسند أحمد ٤: ٣٠، ح ١١١٠٤؛ خصائص أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب: ١١٢، ح ٧٨؛ المعجم الكبير ٥: ١٦٦، ح ٤٩٦٩؛ المعجم الأوسط ٥: ٣٨٠، ح ٤٧٥٤؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٢٩، ح ٤٧٦٥. وانظر حلية الأولياء ١: ٦٣، الرقم ٤.

٣. راجع: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٥٨٥، ح ٩٩٠، و٦٠٣، ح ١٠٣٢؛ الطبقات الكبرى ٢: ١٩٤؛ السنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٥، ح ٨١٤٨، و١٣٠، ح ٨٤٦٤؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٥٦ ـ ٢٦٠، ح ١٤٩٥٧ ـ ١٤٩٦٥؛ كنز العمّال ١: ١٨٦، ح ٩٤٤.

٤. الصواعق المحرقة: ١٥٠، الباب ١١، الفصل ١.

كتاب الله ـ عزّوجلّ ـ حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».[1]

وقد زاد الطبراني: «فلا تَقَدَّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»[2].

قلت: لا يخفى أنّ تعليق عدم الضلال على التمسّك بهما، يقتضي بحكم المفهوم ثبوت الضلال لمن تخلّى عن أحدهما، وناهيك به في وجوب اتّباع العترة والانقطاع في الدين إليها، وإلى القرآن العزيز.

على أنّ اقترانهم بالكتاب وهو معصوم، وجعلهم في وجوب التمسّك بهم مثله دليل قاطع على حجّيّة أقوالهم وأفعالهم، وأنّ الرجوع في الدين إلى خلافهم ليس إلّا كترك القرآن والرجوع إلى كتاب يخالف أحكامه، ولا تنس دلالة قوله ﷺ: «ولن يفترقا» على عدم خلوّ الزمان ممّن يفرغ منهم عن القرآن، والقرآن يفرغ عنه.(١)

---

(١) ومثله: قوله ﷺ: «في كلّ خلف من أُمّتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالّين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين ألا وإنّ أئمّتكم وفدكم إلى الله ـ عزّوجلّ ـ فانظروا من توفدون».

أخرجه الملّاء كما في تفسير الآية الرابعة من الآيات التي أوردها ابن حجر في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه[3].

وفي هذا المعنى صحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة؛ بل هو من ضروريّات مذهبهم عليهم السلام[4].

---

١. الجامع الصحيح ٥: ٦٦٣، ح ٣٧٨٨.

٢. المعجم الكبير ٥: ١٦٦ ـ ١٦٧، ح ٤٩٧١.

٣. الصواعق المحرقة: ١٥٠، الباب ١١، الفصل ١.

٤. راجع: كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢١، الباب ٢٢، ح ٦ و٧؛ الكافي ١: ٣٢، باب صفة العلم وفضله و...، ح ٢؛ بحار الأنوار ٣٦: ٣٧٢ ـ ٣٧٣، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، الباب ٤٢، ذيل الحديث ٢٣٤.

ثمّ إنّ قوله: «فلا تَقَدَّموهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم» نصّ صريح فيما قلناه كما لا يخفى.

وكم لهذا الحديث من نظير في الدلالة على وجوب الاقتداء بالعترة الطاهرة أو المنع من مخالفتها، نستلفت الباحثين إلى ما أخرجناه من ذلك في مبحث العصمة من سبيل المؤمنين.

وحسبك منه ما أخرجه الحاكم بسند صحّحه على شرط البخاري ومسلم(١) عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: ـ من جملة حديث ـ «وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب ـ في بعض أحكام الدين ـ اختلفوا في فتاويهم، فصاروا حزب إبليس»[1]. انتهى.

أليس هذا نصّاً في وجوب اتّباعهم، وحرمة مخالفتهم؟ وهل في لغة العرب أو غيرها عبارة أبلغ منه في إنذار مخالفيهم؟

وأخرج أحمد بن حنبل وغيره(٢) بالإسناد إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت ذهبوا، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[2].

---

(١) كما في تفسير الآية السابعة من الآيات التي أوردها ابن حجر في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه[3]، ونقله حاكماً بصحّته أيضاً في باب الأمان ببقائهم من أواخر الصواعق[4].

(٢) كما نصّ عليه ابن حجر في باب الأمان ببقائهم من صواعقه[5].

---

١. المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٠ ـ ١٣١، ح ٤٧٦٩.

٢. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٧١، ح ١١٤٥. راجع أيضاً الفردوس بمأثور الخطاب ٤: ٣١١، ح ٦٩١٣.

٣. الصواعق المحرقة: ١٥٢، الباب ١١، الفصل ١.

٤ و ٥. المصدر: ٢٣٥ ـ ٢٣٦، باب الأمان ببقائهم.

وفي رواية: «فإذا هلك أهل بيتي، جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون»[١].

وفي هذا المعنى صحاح متضافرة من طريق العترة الطاهرة[٢]، ومتى كانوا أماناً لأهل الأرض، فكيف يستبدل بهم، وأنّى يعدل عنهم؟

وجاء من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً ـ كذا قال ابن حجر(١) ـ أنّه ﷺ قال: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا».

قال ابن حجر:

وفي رواية مسلم: «ومن تخلّف عنها غرق». ـ قال: ـ وفي رواية: «هلك»، و«إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل، من دخله غفر له» ـ قال: ـ وفي رواية: «غفر له الذنوب»[٣]. انتهى.

ولا يخفى أنّ المراد من تمثيلهم بـ«سفينة نوح» إنّما هو إلزام الأُمّة باتّباع طريقتهم، والتمسّك بالعروة الوثقى من ولايتهم، وليس المراد من النجاة بذلك إلّا رضوان الله ـ عزّوجلّ ـ والجنّة، كما أنّ المراد بغرق المتخلّفين عنهم أو هلاكهم إنّما هو سخط الله سبحانه والنار.

---

(١) في تفسير الآية السابعة من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من صواعقه، وفي باب الأمان ببقائهم من أواخر الصواعق أيضاً[٤].

---

١. راجع: اختيار معرفة الرجال: ١٣٧ ـ ١٣٨، ح ٢٢٠؛ الصواعق المحرقة: ١٥٢، الباب ١١، الفصل ١؛ وسائل الشيعة ٢٧: ١٣٦ ـ ١٥٣، الباب ١١ من أبواب صفات القاضي و... .

٢. للمزيد راجع بحار الأنوار ٢٣: ١ ـ ٥٩، كتاب الإمامة، الباب ١.

٣. الصواعق المحرقة: ١٥٢، الباب ١١، الفصل ١؛ ٢٣٦، باب الأمان ببقائهم. للمزيد راجع أيضاً فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٧٨٥ ـ ٧٨٦، ح ١٤٠٣.

٤. الصواعق المحرقة: ١٥٢، الباب ١١، الفصل ١، و ٢٣٥ ـ ٢٣٦، باب الأمان ببقائهم.

والمراد من تمثيلهم بـ«باب حطّة» إنّما هو بعث الأُمة على التواضع لله ـ عزّوجلّ ـ بالاقتداء بهم، والاستسلام لأوامرهم ونواهيهم، وهذا كلّه ظاهر كما ترى.

قال ابن حجر ـ بعد إيراد هذه الأحاديث في تفسير الآية السابعة من الآيات التي أوردها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر من الصواعق[1] ما هذا لفظه ـ:

ووجه تشبيههم بالسفينة ـ فيما مرّ ـ أنّ من أحبّهم وعظّمهم شكراً لنعمة شرفهم ﷺ، وأخذ بهدي علمائهم، نجا من ظلمة المخالفات. ومن تخلّف عن ذلك، غرق في بحر كفر النعم، وهلك في مفاوز الطغيان ـ إلى أن قال ـ: و بباب حطّة ـ يعني ووجه تشبيههم بباب حطّة ـ أنّ الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحاء، أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة، وجعل لهذه الأُمّة مودّة أهل البيت سبباً لها. إلى آخر كلامه.

ولو أردنا استيفاء ما جاء من صحاح السنّة في وجوب اتّباع أئمّة أهل البيت، والانقطاع في الدين إليهم عن العالمين، لطال المقام، وخرجنا عن موضوع هذه المقدّمة.

وحاصله: أنّ مآتمنا بما فيها من الجلوس بعنوان الحزن على مصائب أهل البيت، والإنفاق عنهم في وجوه البرّ، وتلاوة رثائهم ومناقبهم، والبكاء رحمة لهم، سيرةٌ قطعيّة قد استمرّت عليها أئمّة الهدى من أهل البيت، وأمروا بها أولياءهم على مرّ الليالي والأيّام فورثناها منهم، وثابرنا عليها عملاً بما هو المأثور عنهم، فكيف ـ والحال هذه ـ تنكرونها علينا، وتقولون فيها ما تقولون؟ والله يعلم أنّها ليست كما تظنّون.

دع بكاء الأنبياء والأوصياء، ودع عنك ما كان من ملائكة السماء، وقل لي: هل

---

١. الصواعق المحرقة: ١٥٢، الباب ١١، الفصل ١.

جهلت نوح الجنّ في طبقاتها، ورثاء الطير في وكناتها، وبكاء الوحش في فلواتها، ورسيس حيتان البحر في غمراتـها؟ وهـل نسـيت الشـمس وكسـوفها، والنـجوم وخسوفها، والأرض وزلزالها، وتلك الفجائع وأهوالها؟ أم هل ذهلت عن الأحجار ودمائها، والأشجار وبكائها، والآفاق وغبرتها، والسماء وحمرتها، وقارورة أُمّ سلمة وحصياتها(١)، وتلك الساعة وآياتها؟

ألم يَرْوِ الملّاء عن أُمّ سلمة ـ كما في الصواعق(٢) وغيرها ـ أنّها قالت: سمعت نوح الجنّ على الحسين عليه السلام.

---

(١) أشرنا بهذا إلى ما رواه الملّاء في سيرته، وابن أحمد في زيادة المسند ـ كما في الصواعق ـ عن أُمّ سلمة، قالت ـ من حديث ـ: ثمّ ناولني كفّاً من تراب أحمر وقال: «إنّ هـذا مـن تـربة الأرض التي يقتل بها ولدي، فمتى صار دماً فاعلمي أنّه قـد قـتل» قـالت: فـوضعته في قارورة، وكنت أقول: إنّ يوماً يتحوّل فيه دماً ليوم عظيم[1].

وفي رواية أُخرى ـ كما في الصواعق أيضاً ـ أنّ جبرائيل جاء بحصيات فـجعلهنّ النـبيّ في قارورة، قالت أُمّ سلمة: فلمّا كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول:

أيّها القاتلون جـهلاً حسـيناً   أبشروا بـالعذاب والتـنكيلِ
قد لعنتم على لسان ابن داود   وموسى وصـاحب الإنجـيلِ

قالت: فبكيت، وفتحت القارورة فإذا الحصيات قد جرت دماً[2]. انتهى.

(٢) كلّ ما ننقله هنا عن الصواعق موجود في أثناء كلامه في الحديث الثلاثين من الأحاديث التي أوردها في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر[3].

---

١. المصدر: ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣.

٢. المصدر.

٣. المصدر: ١٩٢، الباب ١١، الفصل ٣.

وروى ابن سعد ـ كما في الصواعق[١] أيضاً ـ أنّها بكت حينئذٍ حتّى غشي عليها.

وأخرج أبونعيم الحافظ في الدلائل عنها ـ كما نقله السيوطي (١) ـ قالت: سمعت الجنّ تبكي على الحسين وتنوح عليه.

وأخرج ثعلب في أماليه ـ كما في تاريخ الخلفاء[٢] أيضاً ـ عن أبي خبّاب الكلبي قال: أتيت كربلاء، فقلت لرجل من أشراف العرب: أخبرني بما بلغني أنّكم تسمعونه من نوح الجنّ، فقال: ما تلقى أحداً إلّا أخبرك أنّه سمع ذلك، قال: فأخبرني بما سمعت أنت، قال سمعتهم يقولون:

مسح الرسولُ جبينَه ... فله بريقٌ في الخدود

أبواه من عليا قريش ... وجدُّه خيرُ الجدود

وأخرج أبونعيم الحافظ في كتابه دلائل النبوّة عن نضرة الأزديّة قالت: لمّا قتل الحسين بن عليّ أمطرت السماء دماً، فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دماً[٣].

قال ابن حجر بعد إيراده في الصواعق[٤]: وكذا روي في أحاديث غير هذه. ـ قال: ـ وممّا ظهر يوم قتله من الآيات أيضاً: أنّ السماء اسودّت اسوداداً عظيماً حتّى رئيت النجوم نهاراً ـ قال: ـ ولم يرفع حجر إلّا وجد تحته دم عبيط.

(١) في أحوال يزيد، من كتابه تاريخ الخلفاء[٥].

١. الصواعق المحرقة: ١٩٦، الباب ١١، الفصل ٣؛ حكاه عنه القندوزي أيضاً في ينابيع المودّة ٣: ٢٥، الباب ٦٠، ح ٤٧.

٢. تاريخ الخلفاء: ٢٠٨.

٣. حكاه عنه السيوطي في الخصائص الكبرى ٢: ٢١٤. للمزيد راجع أيضاً: الثقات لابن حبّان ٥: ٤٨٧؛ وتهذيب الكمال ٦: ٤٣٣، الرقم ١٣٢٣ بتفاوت يسير.

٤. راجع الصواعق المحرقة: ١٩٣، الباب ١١، الفصل ٣.

٥. تاريخ الخلفاء: ٢٠٨.

وأخرج أبوالشيخ ـ كما في الصواعق[1] أيضاً ـ: أنّ السماء احمرّت لقتله عليه السلام، وانكسفت الشمس حتّى بدت الكواكب نصف النهار، وظنّ الناس أنّ القيامة قد قامت ـ قال: ـ ولم يرفع حجر في الشام إلّا رئي تحته دم عبيط. انتهى.

وأخرج عثمان بن أبي شيبة ـ كما في الصواعق[2] وغيرها ـ: أنّ الشمس مكثت بعد قتله عليه السلام سبعة أيّام ترى على الحيطان كأنّها ملاحف معصفرة من شدّة حمرتها، وضربت الكواكب بعضها بعضاً.

قال في الصواعق[3]: ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين: أنّ الدنيا أظلمت ثلاثة أيّام، ثمّ ظهرت الحمرة في السماء. ـ قال: ـ وقال أبوسعيد: ما رفع حجر من الدنيا إلّا وتحته دم [عبيط، ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في] الثياب [مدّة] حتّى تقطّعت. ـ قال: ـ وأخرج الثعلبي: أنّ السماء بكت، وبكاؤها حمرتها.

وقال غيره: احمرّت آفاق السماء ستّة أشهر بعد قتله، ثمّ لا زالت الحمرة تُرى بعد ذلك، وأنّ ابن سيرين قال: أُخبرنا أنّ الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين عليه السلام.

ـ قال: ـ وذكر ابن سعد: أنّ هذه الحمرة لم تر في السماء قبل قتله.

إلى آخر ما هو مذكور في كتب السنّة، ممّا يدلّك على انقلاب الكون بمقتله عليه السلام، وأنّه قد بكته السماء وصخور الأرض دماً.

ولو فرضنا الخصم جاهلاً بما في تلك الكتب ممّا سمعت بعضه، فهل يجهل ما قام به ابن نباتة خطيباً على أعواده، وتركه سنّة لخطباء المسلمين في الجمعة الثانية من المحرّم في كلّ سنة ؟ وإليك ما اشتملت عليه تلك الخطبة بعين لفظه، قال:

بكت لموته الأرض والسماوات، وأمطرت دماً، وأظلمت الأفلاك من الكسوف، واشتدّ سواد السماء، ودام ذلك ثلاثة أيّام، والكواكب في أفلاكها تتهافت،

---

١ ـ ٣. الصواعق المحرقة: ١٩٤، الباب ١١، الفصل ٣.

وعظمت الأهوال حتّى ظنّ أنّ القيامة قد قامت.

ـ قال: ـ كيف لا وهو ابن السيّدة فاطمة الزهراء، وسبط سيّد الخلائق دنياً وآخرة، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ من حبّه في الحسين يقبّل شفتيه، ويحمله كثيراً على كتفيه، فكيف لو رآه ملقى على جنبيه، شديد العطش والماء بين يديه، وأطفاله يصيحون بالبكاء عليه، لصاح ـ عليه الصلاة والسلام ـ وخرّ مغشيّاً عليه؟

ـ قال: ـ فتأسّفوا ـ رحمكم الله ـ على هذا السبط السعيد الشهيد، وتسلّوا بما أصابه عمّا سلف لكم من موت الأحرار والعبيد، واتّقوا الله حقّ تقواه.

ـ قال: ـ وفي الحديث: «إذا حشر الناس في عرصات القيامة، نادى منادٍ من وراء حجب العرش: يا أهل الموقف غضّوا أبصاركم حتّى تجوز فاطمة بنت محمّد، فتجوز وعليها ثوب مخضوب بدم الحسين، وتتعلّق بساق العرش، وتقول: أنت الجبّار العدل، اقض بيني وبين من قتل ابني، فيقضي الله بينها وبينه، ثمّ تقول: اللهمّ شفّعني فيمن بكى على مصيبتي، فيشفّعها الله تعالى فيهم»[1].

إلى آخر كلامه.

فهل ـ بعد هذا كلّه ـ تقول: إنّ البكاء على مصائب أهل البيت بدعة؟! وهب أنّك لاترجو شفاعة الزهراء، ولا تبكي لبكاء الأنبياء والأوصياء، فابك لبكاء الشمس والقمر، ولا يكن قلبك أقسى من الحجر. ابك لبكاء عمر بن سعد، أو عمر بن الحجّاج، والأخنس بن زيد، ويزيد بن معاوية، أو خولي، والسالب لحُليّ فاطمة بنت الحسين عليه السلام. ابك لبكاء العسكر بأجمعه، فقد شهدت كتب السير ببكائهم، مع خبث أُمّهاتهم وآبائهم.

---

١. ديوان خطب لابن نباتة: ٥، الخطبة الثانية. والحديث رواه المفيد في الأمالي: ١٣٠، المجلس ١٥، ح ٦ بتفاوت في بعض الألفاظ.

أيحسن منك ـ وأنت مسلم ـ أن يصاب رسول الله ﷺ بهذه الفجائع، وتحلّ بساحته تلك القوارع، ثمّ تتّخذها ظهريّاً، وتكون عندك نسياً منسيّاً؟ ما هذا شأن أهل الوفاء، ولا بهذا تكون المواساة لسيّد الأنبياء ﷺ.

ثمّ إنّ ذلك الانقلاب الهائل، وتلك الأحوال المدهشة ـ من الخسوف والكسوف ورجفة الأرض، وظلمة الأُفق، وتهافت النجوم، وحمرة السماء، وبكاء الصخر الأصمّ دماً ـ لم تكن إلّا إظهاراً لغضب الله عزّوجلّ، وتنبيهاً على فظاعة الخطب، وتسجيلاً لتلك النازلة في صفحات الأُفق، لئلّا تنسى على مرّ الليالي والأيّام، وفيها من بعث الناس على استشعار الحزن وادّثار الكآبة مالا يخفى على أُولي الألباب.

فصل [٢]

[أسرار مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم السلام]

علم الباحثون من مدقّقي الفلاسفة أنّ في مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم السلام أسراراً شريفة[1]، تعود على الأُمّة بصلاح آخرتها ودنياها، أُنبّهك إليها بذكر بعضها وأُوكلُ الباقي إلى فطنتك:

---

(١) نبّهك إلى بعضها حكيما الغربيّين، وفيلسوفا المستشرقين: الدكتور «جوزف» الفرنساوي في كتابه الإسلام والمسلمون، والمسيو«ماربين» الألماني في كتابه السياسية الإسلاميّة.

وقد ترجمت جريدة حبل المتين الفارسيّة ـ في [العدد] ٨٢ من أعداد سنة ١٧ ـ فصلين من ذينك الكتابين النفيسين، يحتويان على أسرار شهادة الحسين، وفلسفة مآتمه عليه السلام، فكان لهما دويّ في العالم الإسلامي، وأخذا في الشرق دوراً مهمّاً. وتُرجما بالتركيّة والهنديّة.

وعرّبهما سيّدنا الشريف العلاّمة الباحث السيّد صدر الدين الموسوي نجل الإمام الكبير حجّة الإسلام، وآية الله في الأنام، قدوتنا المولى السيّد إسماعيل الصدر أبقاه الله، فنشرت مجلّة العلم أحد الفصلين، ومجلّةُ العرفان نشرت الآخر.

وإليك ما ذكره الدكتور «جوزف» تحت عنوان: «الشيعة وترقّياتها المحيّرة للعقول»، قال ـ من جملة كلام له طويل ـ:

لم تكن هذه الفرقة ـ يعني الشيعة ـ ظاهرة في القرون الأُولى الإسلاميّة كـأُختها، ←

فمنها[١]: أنّها جامعة إسلاميّة ورابطة إماميّة باسم النبيّ وآله ﷺ، ينبعث عنها الاعتصام بحبل الله ـ عزوجلّ ـ والتمسّك بثقلي رسول الله ﷺ، وفيها من اجتماع القلوب على أداء أجر الرسالة بمودّة القربى، وترادف العزائم على إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام ما ليس في غيرها.

← ويمكن أن تنسب قلّتهم إلى سببين:

أحدهما: أنّ الرئاسة والحكومة ـ التي هي سبب ازدياد تابعي المذهب ـ كانت من بدء الإسلام بيد الفرقة الأُخرى.

والسبب الآخر هو القتل والغارات التي كانت تتوالى عليهم.

ونظراً لحفظ نفوس الشيعة حكم أحد أئمّتهم في أوائل القرن الثاني عليهم بالتقيّة، فزادت في قوّتهم؛ لعدم تمكّن العدوّ القويّ الشكيمة من قتلهم، والإغارة عليهم بعد أن لم يكونوا ظاهرين، وصاروا يعقدون المجالس سرّاً، ويبكون على مصائب الحسين، واستحكمت هذه العاطفة في قلوبهم على وجه لم يمض زمان قليل إلّا وارتقوا، حتّى صار منهم الخلفاء والسلاطين والوزراء، وهؤلاء بين من أخفى مذهبه وتشيّعه، وبين من أظهره، وبعد أمير تيمور حيث رجعت السلطنة في إيران إلى الصفويّة، صارت إيران مركز فرقة الشيعة. وبمقتضى تخمين بعض سُوّاح فرنسا: أنّ الشيعة فعلاً سُدْس المسلمين، أو سُبعهم.

ونظراً إلى هذا الترقّي الذي حازته فرقة الشيعة في زمان قليل من دون جبر وإكراه يمكن أن يقال: إنّهم سيفوقون سائر فرق الإسلام بعد قرن أو قرنين، والسبب في ذلك هو إقامة عزاء الحسين الذي قد جعله كلّ واحد منهم داعياً إلى مذهبه. ولا يوجد اليوم مكان فيه الواحد أو الاثنان من الشيعة إلّا ويقيمان فيه عزاء الحسين، ويبذلان في هذا السبيل الأموال الكثيرة. فقد رأيت في نزل «مارسل» شيعياً عربياً من أهالي البحرين يقيم ←

---

١. أي من جملة أسرار مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم السلام.

وحسبك في رجحانها ما يتسنّى بها للحكيم من إلقاء المواعظ والنصائح، وإيـقاف المجتمعين على الشؤون الإسلاميّة والأُمور الإماميّة ولو إجمالاً، وبذلك يكون أمل العاملي نفس أمل إخوانه في العراق وفارس والبحرين والهند وغيرها من بلاد الإسلام.

← مأتم الحسين وهو منفرد، ويرقى المنبر ويقرأ في كتاب ويبكي، ثمّ يقسم ما أحضره من الطعام على الفقراء.

هذه الطائفة تبذل الأموال في هذا السبيل على وجهين: فبعضهم يبذلها من خالص أمواله في كلّ سنة بقدر استطاعته، وصرفيّات هذا القسم تزيد على ملايين فـرنك. وبـعضهم يعيّن أوقافاً لهذا المشروع لخصوص هذه الطائفة، وهذا القسم أضعاف الأوّل.

ويمكن أن يقال: إنّ جميع فرق الإسلام من حيث المجموع لا يبذلون في سبيل تـأييد مذهبهم بمقدار ما تبذله هذه الفرقة في سبيل ترقّيات مذهبها، وموقوفات هذه الفرقة ضِعفا أوقاف سائر المسلمين، أو ثلاثة أضعافها، كلّ واحد من هذه الفرقة هو في الحقيقة داعٍ إلى مذهبه من حيث يخفى على سائر المسلمين؛ بل إنّ الشيعة أنفسهم لا يدركون هذه الفائدة المترتّبة على عملهم، وليس في نظرهم إلّا الثواب الأُخروي، ولكن حيث إنّ كلّ عمل في هذا العالم لابدّ وأن يكون له أثر طبيعي في العالم الاجتماعي قصده الفاعل أو لم يقصده، لم تُحْرَم هذه الفرقة فوائد هذا العمل الطبيعيّة في هذا العالم.

ومن المعلوم أنّ مذهباً دعاته خمسون، أو ستّون مليوناً لابدّ وأن يرتقي أربابه على وجه التدريج إلى ما يليق بشأنهم، حتّى أنّ الرؤساء الروحانيّين من هذه الفرقة وسـلاطينها ووزراءها لم يخرجوا عن صفة كونهم دعاة، وسعي الفقراء والضعفاء في محافظة إقامة عزاء الحسين من حيث انتفاعهم من هذا الباب أكثر من الأعيان والأكابر؛ لأنّهم يرون في ذلك خير الدنيا والآخرة، لهذا ترى جماعة كثيرين من عقلاء هذه الفرقة قد تـركوا سائر أشغالهم المعاشيّة، وتفرغوا لهذا العمل وهم يكابدون المشاقّ في تحرّي العبارات الرائقة، والجمل الواضحة، عند إلقاء فضائل رؤساء دينهم ومصائب أهل البـيت عـلى المنابر في المجالس العموميّة. ←

ولا تنس مايتهيّأ للمجتمعين فيها من الاطّلاع على شؤونهم، والبحث عن شؤون إخوانهم النائين عنهم، وما يتيسّر لهم حينئذٍ من تبادل الآراء فيما يعود عليهم بالنفع، ويجعلهم كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً، أو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو أنّت له سائر الأعضاء، وبذلك يكونون مستقيمين في السير على خطّة واحدة يسعون فيها وراء كلّ ما يرمون إليه.

← ولأجل هذه المشقّات التي اختارتها هذه الجماعة فاق خطباء هذه الفرقة على خطباء جميع فرق المسلمين، وحيث إنّ تكرار الأمر الواحد يوجب اشمئزاز القلوب ومللها، وعدم التأثير، تسعى هذه الجماعة في ذكر تمام المسائل الإسلاميّة الراجعة إلى مذهبهم بهذا العنوان على المنابر، حتّى آل الأمر إلى عوامّ الشيعة بفضل هؤلاء الخطباء أن أصبحوا أعرف بمسائل مذهبهم من معرفة كلّ فرقة من فرق المسلمين بمذهبها، كما أنّ اكتساب الشيعة واحترافهم بهذه الوسيلة وسائر الوسائل الراجعة إليها أيضاً أكثر من سائر المسلمين، ولو نظرنا اليوم في أقطار العالم، نرى أنّ الأفراد التي هي أولى بالمعرفة والعلم والصنعة والثروة إنّما توجد بين الشيعة، والدعوة التي قام بها الشيعة إلى مذهبهم أو سائر الفرق الإسلاميّة غير محدودة، بل إنّ آحاد وأفراد الطائفة دعاة، وما دخلوا بين أُمّة إلّا وسرى هذا الأثر في قلوبها، وليس العدد الذي نراه اليوم في ا لهند من الشيعة إلّا هو أثر إقامة هذه المآتم. الشيعة لم تؤيّد دينها بقوّة، ولا سيف، حتّى في زمن الصفويّة، بل إنّهم بلغوا هذه الدرجة من الترقّي المحيّر للعقول بقوّة الكلام والدعوة التي أثرها أمضى من السيف.

ولقد بلغ اهتمام هذه الفرقة في أداء مراسم مذهبها مبلغاً عظيماً حتّى جعلت ثلثي المسلمين من أتباع سيرتها، بل اشترك معها كثير من الهنود والمجوس وسائر المذاهب، ومن المعلوم أنّ بعد مضيّ قرن ووصول هذه الأعمال بالإرث إلى أبناء أُولئك الطوائف يذعنون بها ويصدّقون هذا المذهب. ←

ومنها: أنّ هذه المآتم دعوة إلى الدين بأحسن صورة وألطف أُسلوب، بل هي أعلى صرخة للإسلام توقظ الغافل من سباته، وتنبّه الجاهل من سكراته، بما تُشرِبه في قلوب المجتمعين، و تَنفُثه في آذان المستمعين، وتبثّه في العالم، وتصوّره قالباً لجميع بني آدم، من أعلام الرسالة، وآيات الإسلام، وأدلّة الدين، وحجج المسلمين، والسيرة النبويّة، والخصائص العلويّة، ومصائب أهل البيت في سبيل الله، وصبرهم على الأذى في إعلاء كلمة الله.

← وبما أنّ فرقة الشيعة تعتقد بأنّ جميع المطالب والمقاصد موكول نجاحها إلى أكابر مذهبهم، وهم يفزعون إليهم في قضاء الحوائج، ويستمدّون منهم عندالشدائد، سرت هذه الروح أيضاً إلى سائر الفرق التي اشتركت معهم في تلك الأعمال والأفعال، ومن المعلوم أنّ بمجرّد قضاء حاجتهم وبلوغ آمالهم، تزداد عقيدتهم بهذا المذهب رسوخاً. من هذه القرائن والأسباب يمكن أن نقول: لا يمضي على هذه الفرقة زمان قليل إلّا وتفوق سائر المسلمين من حيث العدد، وكانت هذه الفرقة قبل قرن أو قرنين تلازم التقيّة ـ فيما عدا إيران ـ نظراً لقلّتهم وعدم قدرتهم على إظهار شعائر مذهبهم، ولكن من يوم استولت الدول الغربيّة على الممالك الشرقيّة، ومنحت جميع المذاهب الحرّيّة قامت هذه الفرقة تقيم شعائر مذهبها علناً في كلّ مكان، واستفادوا من هذه الحرّيّة فائدة تامّة حتّى أنّهم تركوا التقيّة.

لهذه الأسباب المذكورة كانت هذه الفرقة أعرف من غيرها بمقتضيات العصر الحاضر، وأكثر سعياً باكتساب المعاش وتحصيل المعارف؛ لذلك ترى العمّال في هذه الفرقة أكثر ممّا تراه في سائر فرق المسلمين ؛ لاشتغال الغالب منهم المستلزم لمتابعة غير الغالب، مضافاً إلى أنّ مثابرتهم على العمل ممّا توجب احتياج الغير إليهم، كما أنّ اختلاطهم مع سائر الفرق وصلاتهم الوداديّة مع غيرهم تلازم غالباً اشتراك الغير في مجالسهم ومحافلهم، فيسمعون أُصول مذهبهم، ويصغون إلى كلماتهم وعباراتهم، وبتكرار ذلك يأنسون بطريقتهم ومذهبهم، وهذا هو عمل الدعاة. ←

فأُولوا النظر والتحقيق يعلمون أنّ خطباء هذه المآتم كلّهم دعاة إلى الدين من حيث لم يقصدوا ذلك، بل لا مبشّر بالإسلام على التحقيق سواهم، وأنت تعلم أنّ الموظّفين لهذا العمل الشريف لا يقصرون في أنحاء البسيطة عن الأُلوف المؤلّفة، فلو بذل المسلمون شطر أموالهم ليوظّفوا دعاة إلى دينهم بعدد أُولئك الخطباء ما تيسّر ذلك لهم، ولو تيسّر فلا يتيسّر من يستمع الدعوة على ممرّ الدهور استماع الناس لما يُتلى في هذه المآتم بكلّ رغبة وإقبال.

← والأثر الذي يترتّب على هذه السيرة هو الأثر الذي يتطلّبه جميع ساسة الغرب في ترقّي دين المسيح مع تلك المصارف الباهضة.

ومن جملة الأُمور السياسيّة التي أظهرها أكابر فرقة الشيعة بصبغة مذهبيّة منذ قرون، وأوجبت جلب قلب البعيد والقريب هو: قاعدة التمثيل باسم «الشبيه» في مآتم الحسين.

وقد قرّر حكماء الهند التمثيل لأغراض ليس هذا موضع ذكرها وجعلوه من أجزاء عباداتهم، فأخذته أُوربّا وأخرجته بمقتضى السياسة بصورة التفرّج، وصارت تمثّل الأُمور المهمّة السياسيّة في دور التمثيل الخاصّة والعامّة، وجلبت القلوب بسببه. وأصابت بسهم غرضين: تفريج النفوس، وجلب القلوب في الأُمور السياسيّة، والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة، وأظهرته بصبغة دينيّة، ويمكن القول بأنّ الشيعة قد أخذت ذلك من الهنود.

وكيف كان فالأثر الذي ينبغي أن يعود من التمثيل إلى قلوب الخواصّ والعوامّ قد عاد، ومن المعلوم أنّ تواتر إقامة المآتم وذكر المصائب الواردة على أكابر دينهم، والمظالم التي وردت على الحسين عليه السلام مع تلك الأخبار الواردة في فضل البكاء على مصائب آل محمّد صلى الله عليه وآله إذا انضمّت إلى تمثيل تلك المصائب تكون شديدة الأثر، وتوجب رسوخ عقائد خواصّ هذه الفرقة وعوامّها فوق ما يتصوّر. وهذا هو السبب الذي لم يسمع من ابتداء ترقّي مذهب الشيعة إلى الآن أن ترك بعضهم دين الإسلام، أو دخل في سائر الفرق الإسلاميّة. ←

ومنها: ما قد أثبته العيان، وشهد به الحسّ والوجدان من بثّ روح المعارف بسبب هذه المآتم، ونشر أطراف من العلوم ببركتها؛ إذهي ـ بشرط كونها على أُصولها ـ أرقى مدرسة للعوامّ، يستضيئون فيها بأنوار الحكم من جوامع الكلم، ويلتقطون منها

← هذه الفرقة تقيم التمثيل على أقسام مختلفة، فتارةً في مجالس خصوصيّة وأمكنة معيّنة، وحيث إنّ الفرق الأُخرى قلّما تشترك معهم في المجالس، اخترعوا تمثيلاً خاصّاً وصاروا يدورون به في الأزقّة والطرقات وبين جميع الفرق، فتتأثّر قلوب جميع الفِرق من القريب والبعيد عين الأثر الذي يحصل من التمثيل، ولم يزل هذا العمل يزداد إليه توجّه الأنظار من الخاصّ والعامّ حتّى قلّد الشيعة فيه بعض الفرق الإسلاميّة والهنود، واشتركوا معهم في ذلك، وهو في الهند أكثر رواجاً من جميع الممالك الإسلاميّة، كما أنّ سائر فرق الإسلام هناك أكثر اشتراكاً مع الشيعة في هذا العمل من سائر البلاد.

ويغلب على الظنّ أنّ أُصول التمثيل بين الشيعة قد تداول في زمن الصفويّة الذين هم أوّل من نال السلطنة بقوّة المذهب، وأجاز العلماء والرؤساء الروحانيّون هذه الأُصول

المجلس السادس والعشرون*

قال الإمام الشافعي ـ كما في مادّة «حيدرة» من حياة الحيوان[1] ـ:

لمّا أذن النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام بمبارزة عمرو، مشى إليه حتّى أتاه، فقال له عمرو: مَن أنت؟ قال: «أنا عليّ بن أبي طالب».

قال: يابن أخي أُريد من أعمامك من هو أسنّ منك، فإنّي أكره أن أُهرق دمك.

فقال له عليّ ـ رضي الله عنه وسلام الله عليه ـ: «لكنّي والله لا أكره أن أُهرق دمك».

فغضب ونزل عن فرسه، وسلّ سيفه كأنّه شعلة نارٍ، ثمّ أقبل على عليّ عليه السلام مُغضَباً، فاستقبله عليّ بدَرَقته، فضربه عمرو في الدرقة فقدّها وأثبت فيها السيف، وأصاب رأس عليّ عليه السلام فشجّه.

قال: وضربه عليّ على حبل عاتقه، فسقط قتيلاً وثار العجاج، وسمع رسول الله ﷺ التكبير من تحت العجاج فعرف أنّ عليّاً قتله.

وجاء في بعض الروايات[2] ـ كما في مادّة «حيدرة» من حياة الحيوان[3] ـ أنّ عليّاً

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة للإمام الحجّة المعتمد السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي دام ظلّه. قال نفعنا الله به:».

١. حياة الحيوان الكبرى ١: ٣٩٠.

٢. راجع: كنز الفوائد ١: ٢٩٧؛ شواهد التنزيل ٢: ٥ ـ ٦، ح ٦٣٤؛ ينابيع المودّة ١: ٢٨٣ ـ ٢٨٤، الباب ٢٣، ح ٧؛ بحار الأنوار ٢٠: ٢١٥ و ٢٥٠، تاريخ نبيّنا ﷺ، الباب ١٧.

٣. حياة الحيوان الكبرى ١: ٣٩٠.

لمّا بارز عمراً، قال رسول الله ﷺ: «برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه».

ولمّا قتل عمراً انكشف أصحابه حتّى ضفزوا الخندق، وتبادر المسلمون حتّى سمعوا التكبير، فوجدوا نوفل بن عبدالله في جوف الخندق لم ينهض به فرسه، فجعلوا يرمونه بالحجارة، فقال: قِتلةً أجمل من هذه [ينزل إليّ بعضكم أُقاتله]، فنزل إليه أميرالمؤمنين عليه السلام فقتلهُ وأراد قتل هبيرة وعكرمة وضرار فلم يدركهم.

وأرسل الله بريح الصبا على قريش فأكفأت قدورهم، ورمت خيامهم، فولّوا منصرفين، وقد انخلعت قلوبهم بقتل عمرو، فبلغ اليهود وغطفان وقيس غيلان ذلك فهربوا يجبِّن بعضهم بعضاً، وردّ الله الذين كفروا بغيضهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ، وكان الله قويّاً عزيزاً.

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري: ما شبّهتُ قتل عمرو إلّا بما قصّ الله تعالى من قصّة داود وجالوت، يقول ـ جلّ شأنه ـ: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ * وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾[١].

وأقبل عليّ عليه السلام بعد قتله عمراً نحو رسول الله ﷺ ـ ووجهه يتهلّل ـ فقبّل رسول الله ﷺ وجهه، وقام أكابر الصحابة فقبّلوا أقدامه، كما في غزوة الأحزاب من المجلّد الثاني من إرشاد القلوب[٢].

وقال له عمر بن الخطّاب ـ فيما رواه محمّد بن إسحاق وغيره ـ: هلّا سلبته يا عليّ درعه؛ فإنّه ليس في العرب درع مثلها؟ فقال عليه السلام: «استحييت أن أكشف عن سوأة ابن عمّي»[٣].

لعن الله ابن سعد، بأيّ عين سلب درع الحسين، وأذن لأصحابه بسلب، فأخذ إسحاق بن حويّة قميصه، وأخذ ابن كعب سراويله، وأخذ قيس بن الأشعث ثوبه،

---

١. كشف الغمّة ١: ٢٠٤ ـ ٢٠٥؛ إعلام الورى ١: ٣٨٢، والآية في سورة البقرة (٢): ٢٥١.

٢. إرشاد القلوب ٢: ٦٤.

٣. الإرشاد للمفيد ١: ١٠٤؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٣: ٤٣٩؛ البداية والنهاية ٤: ١٢٢، حوادث سنة ٥.

وأخذ أبجُر بن كعب سراويله، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته، وأخذ الأخنس عمامته، وأخذ الأسود بن خالد نعليه، وأخذ جُمَيع بن الخلق سيفه، وأخذ بجدل الكلبي خاتمه، وقطع إصبعه مع الخاتم[١].

وتركوه عارياً بالعراء لوحوش الأرض وطير السماء، ومالوا على الفرش والحلل والإبل والخيل فانتهبوها، وانتهبوا رحله وثقله[٢].

وسلبوا النساء وهنّ ينادين: وا محمّداه، وا عليّاه. فما انتصر لهنّ إلّا امرأة من بني بكر كانت مع زوجها في عسكر ابن سعد، فلمّا رأت القوم قد اقتحموا عليهنّ يسلبونهنّ، أخذت سيفاً وأقبلت تنادي: يا آل بكر بن وائل، أتسلب بنات رسول الله؟! لا حكم إلّا لله يا لثارات رسول الله[٣].

وانتهوا إلى الإمام عليّ بن الحسين وهو مسجّى على نطع من الأديم، وهو شديد المرض، فأراد الشمر قتله، فقال له حُمَيد بن مسلم: إنّه لِما به، ولم يزل حتّى دفعه عنه، فأخلوا النطع من تحته، وتركوه على الرمضاء يعالج حرّ المصيبة، وحرّ العطش، وحرّ الشمس، وحرارة الرمضاء، وآلام السقم[٤].

قلبوه عن نضع مسجّاً فوقه   فبكت له أملاك سبع شداد

---

١. راجع: الإرشاد للمفيد ٢: ١١٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٨ ـ ١٧٩؛ بحار الأنوار ٤٥: ٥٧ ـ ٥٨، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧؛ إعلام الورى ١: ٤٦٩.

٢. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٨ ـ ١٧٩؛ بحار الأنوار ٤٥: ٦٠ ـ ٦١، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

٣. مثير الأحزان: ٧٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠؛ بحار الأنوار ٤٥: ٥٨، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

٤. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٢ ـ ١١٣.

المجلس السابع والعشرون

سار رسول الله ﷺ إلى خيبر في المحرّم الحرام سنة سبع للهجرة في ألف وأربعمائة مقاتل، ومعهم مائتا فرس[1]، وكانت الوقعة في صفر، والفتح فيها لأميرالمؤمنين عليه السلام بلا ارتياب، وظهر من فضله في هذه الغزوة ما أجمع على نقله المسلمون، واختصّ فيها من المناقب بما لم يشاركه فيه أحد من العالمين.

وذلك أنّه قد اتّفقت كلمة أهل الأخبار على أنّ رسول الله ﷺ أعطى الراية فيها أبابكر أوّلاً فرجع، ثمّ أعطاها عمر ثانياً فرجع ولم يكن فتح. فقال رسول الله ﷺ ـ كما في غزوة خيبر من صحيح البخاري[2] ـ: «لأُعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله».

قال: فبات الناس يَدُوكون ليلتهم أيّهم يُعطاها، فلمّا أصبح الناس غَدوا على رسول الله ﷺ كلّهم يرجو أن يُعطاها. فقال: «أين عليّ بن أبي طالب؟» فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه.

---

١. راجع الكامل في التاريخ ٢: ٢١٦، حوادث سنة ٧.

٢. صحيح البخاري ٣: ١٣٥٧، ح ٣٤٩٨. راجع أيضاً: مسند أحمد ١: ٢١٤، ح ٧٧٨؛ ٥: ٥٥٧ ـ ٥٥٨، ح ١٦٥٣٨؛ ٨: ٤٣٠، ح ٢٢٨٨٤؛ ٩: ٢٨، ح ٢٣٠٩٣؛ المعجم الكبير ٧: ٣٥، ح ٦٣٠٣، و٦: ١٥٢، ح ٥٨١٨؛ حلية الأولياء ١: ٦٢، الرقم ٤.

قال: فأرسلوا إليه، فأُتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرئ حتّى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. إلى آخر الحديث(١).

في تاريخ ابن الأثير:

أنّ عليّاً نهض بالراية وعليه حلّة حمراء فأتى خيبر، فأشرف عليه رجل من اليهود فقال: من أنت؟ قال: «أنا عليّ بن أبي طالب» فقال اليهودي: غُلبتم يا معشر اليهود.

ـ قال: ـ وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يماني قد نقبه مثل البيضة وهو يقول:

قد علمت خيبر أنّي مرحب   شاكي السلاح بطل مجرّب

فقال عليّ عليه السلام:

«أنا الذي سمّتني أُمّي حيدرة   كليث غابات كريه المنظرة

أكيلهم بالسيف كيل السندرة»

فاختلفا بضربتين، فبدره عليّ عليه السلام فقدّ الجحفة والمغفر ورأسه حتّى وقع في الأرض، وأخذ المدينة.

ونقل ابن الأثير عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال:

خرجت مع عليّ عليه السلام حين بعثه رسول الله ﷺ إلى خيبر، فلمّا دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه يهودي فوقع ترسه من يده، فتناول عليّ باباً كان عند الحصن فتترّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتّى فتح الله على يديه، ثمّ ألقاه من يده، فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجتهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه.

---

(١) وقد أخرجه مسلم بهذه الألفاظ أيضاً في باب فضائل عليّ عليه السلام من صحيحه [1].

---

١. صحيح مسلم ٤: ١٨٧٢، كتاب فضائل الصحابة، ح ٢٤. وراجع: المناقب للخوارزمي: ١٧٠، ح ٢٠٣؛ كنز العمّال ١٣: ١٢٣، ح ٣٦٣٩٣.

ـ قال ابن الأثير: ـ فلمّا فتحت خيبر، جاء بلال بصفيّة وأُخرى معها على قتلى اليهود، فلمّا رأتهم التي مع صفيّة صرخت وصكّت وجهها، وحثت التراب على رأسها، فقال النبيّ ﷺ لبلال: «أنُزعت منك الرحمة، جئت بهما على قتلاهما؟!»[١].

بأبي أنت وأُمّي يا نبيّ الرحمة، لم ترضَ من بلال حين مرّ بيهوديّتين على قتلاهما الكفرة الفجرة، المحاربين لله ولرسوله، فكيف بك لو ترى العقائل من خفراتك والكريمات من بناتك، وهنّ على أقتاب الجمال بغير وطاء ولا غطاء، مكشّفات الوجوه بين الأعداء، يساقوهنّ كما تساق الزنوج والديلم، فمرّوا بهنّ على مصارع قتلاهنّ، وفيهم حجّة الله، ونجوم الأرض من آلك الطاهرين، فوجدنهم على الرمضاء، وقد أُسري برؤوسهم إلى الكوفة، فنادت حينئذٍ عزيزتك بضعة الزهراء عقيلتكم زينب: وا محمّداه، بناتك سبايا، وذرّيّتك مقتّلة، تسفى عليهم ريح الصبا، وهذا حسينك بالعراء، محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء[٢].

وفي بعض المجموعات:

أرادت أن ترمي بنفسها عليه، فناداها الإمام زين العابدين بصوت أضعفته العلّة: «عمّتاه، ارحمي ضعف بدني، ارحمي الجامعة في عنقي، ودّعي أخاكِ وأنتِ على ظهر الناقة».

فجعلت تقول: ودّعتك السميع العليم يابن أُمّي، والله لو خيّرت المقام عندك والرحيل، لاخترت المقام عندك، ولو أنّ السباع أكلت لحمي.

واعتنقت سكينة جسد أبيها فاجتمعت عليها عدّة من الأعراب حتّى جرّوها عنه[٣].

---

١. الكامل في التاريخ ٢: ٢٢٠ ـ ٢٢١، حوادث سنة ٧.

٢ و٣. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠ ـ ١٨١ بتفاوت في بعض الألفاظ.

فوا حرّ قلباه، كيف عانقته ونحره منحور، وصدره مكسور، ورأسه على القنا مشهور، ويا لهف نفسي، كيف رأته عاري الثياب، معفّراً بالتراب، أم كيف فارقته مطروحاً بالعراء، لوحوش الأرض وطير السماء، لا مغسّلاً ولا مكفّناً ولا مدفوناً، بلى يا رسول الله كان دمه غسله، والتراب كافوره، والقنا الخطي نعشه، وفي قلب من والاه قبره.

لهفي له وحريمه ... من حول مصرعه نوادبْ
يندبنه بمدامع ... من حرّ أجفان سواكبْ
أحسين بعدك لا هنا ... عيشٌ ولا لذّت مشاربْ
والجسم منك مجدّلٌ ... في الترب منعفر الترائبْ
ها نحن بعدك يا غريب ... الدار أمسينا غرائبْ

المجلس الثامن والعشرون*

ذكر أهل السِيَر والأخبار أنّ رسول الله ﷺ أرسل في ربيع الثاني سنة تسع للهجرة أميرالمؤمنين عليه السلام إلى بلاد طيّء[1]، ففتحها عنوةً ورجع ظافراً عليه السلام بالغنائم، وأسر من وجوه طيّء جماعة، وفرّ يومئذٍ عديّ بن حاتم ـ وهو أميرهم ـ إلى الشام، وكان حينئذٍ على دين النصارى، وجيء بأُخته من جملة من جيء بهم إلى المدينة من طيّء، فجعلت في حضيرة بباب المسجد، فمرّ بها رسول الله ﷺ فقامت إليه ـ وكانت امرأة جزلة ـ فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليَّ منَّ الله عليك.

قال: «ومن وافدك؟». قالت: عديّ بن حاتم.

قال: «الفارّ من الله ورسوله».

قالت: ثمّ مضى رسول الله ﷺ حتّى إذا كان الغد مرّ بي وقد آيست، فأشار إليَّ

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «من المجالس الفاخرة سماحة سيّدنا ومولانا الحجّة السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي دام ظلّه. قال نفعنا الله به: ...».

١. راجع: الطبقات الكبرى ١: ٣٢١ ـ ٣٢٢؛ تاريخ الطبري ٣: ١١١ ـ ١١٥، حوادث سنة ٩؛ الكامل في التاريخ ٢: ٢٨٥ ـ ٢٨٦، حوادث سنة ٩؛ السيرة الحلبيّة ٣: ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

رجل من ورائه أن قومي إليه فكلّميه. قالت: فقمت إليه وقلت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليَّ منَّ الله عليك.

فقال: «قد فعلت، فلا تعجلي حتّى تجدي من قومكِ مَن يكون لك ثقة حتّى يبلغك إلى بلادك».

قالت: فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن كلّميه، فقيل: هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قالت: وأقمت حتّى قدم ركب من قضاعة، وإنّما أُريد أن آتي أخي بالشام، جئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ـ صلّى الله عليك وآلك ـ قدم رهط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ ـ قالت: ـ فكساني رسول الله ﷺ وحمّلني وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتّى قدمت الشام[1].

لعن الله ابن مرجانة وابن آكلة الأكباد، هلّا فعلا بسبايا آل محمّد بعض ما فعله ﷺ بأُخت عديّ بن حاتم؛ إذ أرسلها إلى أخيها بتمام العزّ والإكرام، وأدخل نساء الحسين وصبيانه على ابن مرجانة، وكانت زينب عليها السلام قد لبست أرثّ[2] ثيابها وتنكّرت، فمضت حتّى جلست ناحية من القصر وحفّ بها إماؤها.

فقال ابن زياد: من هذه؟ فلم تجبه، فقال له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

فأقبل عليهم ابن زياد فقال لها: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أُحدوثتكم.

فقالت زينب: الحمد الله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد ﷺ، وطهّرنا من الرجس

---

١. الطبقات الكبرى ١: ٣٢٢؛ السيرة الحلبيّة ٣: ٢٢٣ ـ ٢٢٤؛ تاريخ الطبري ٣: ١١٢ ـ ١١٤، حوادث سنة ٩؛ أُسد الغابة ٤: ١٠ ـ ١١، الرقم ٣٦٠٤؛ ٧: ١٥٧، الرقم ٦٩٨٩؛ الكامل في التاريخ ٢: ٢٨٥ ـ ٢٨٦، حوادث سنة ٩.

٢. الأرثّ: البالي. المعجم الوسيط: ٣٢٨، «ر. ث. ث».

تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا.

فقال: كيف رأيت فعل الله بأخيك وأهل بيتك؟

فقالت: ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج[١] يومئذٍ، ثكلتك أُمّك يابن مرجانة.

فغضب اللعين من كلامها واستشاط حتّى همّ أن يضربها، فقال له ابن حريث: أيّها الأمير إنّها امرأة والمرأة لا تؤخذ بشيء من منطقها.

فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعتاة المردة من أهل بيتك.

فرقّت عليها السلام وبكت وقالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرزت أهلي، فإن كان هذا شفاك، فقد اشتفيت.

فقال اللعين: هذه سجّاعة[٢] ولعمري كان أبوها سجّاعاً شاعراً[٣].

وأفضع من هذا وقوف أهل البيت شباباً على درج الجامع في دمشق، حيث يقام جواري السبي، ودخولُهم مربّقين بالحبال على يزيد بن معاوية، وقد جلس للناس مجلساً عامّاً، وحفّ به وزراؤه، وعنده اليهود والنصارى، فقام رجل من أهل الشام حين نظر إلى فاطمة بنت الحسين، فقال: يا أميرالمؤمنين، أُريد منك أن تهب لي هذه الجارية.

فقالت فاطمة لعمّتها زينب ـ وقد ارتاعت ولاذت بها ـ: يا عمّتاه، أُوتمت على

---

١. الفَلْجُ: الظفَر والفَوْز. لسان العرب ٢: ٣٤٧، «ف. ل. ج».

٢. السجع: ... كلام له فواصل كفواصِل الشعر من غير وزن، وصاحبه سجّاعة. لسان العرب ٨: ١٥٠، «س. ج. ع».

٣. راجع: الإرشاد للمفيد ٢: ١١٥ ـ ١١٦؛ الكامل في التاريخ ٤: ٨١ ـ ٨٢، حوادث سنة ٦١؛ مثير الأحزان: ٩٠ ـ ٩١؛ إعلام الورى ١: ٤٧١ ـ ٤٧٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٠١.

صغر سنّي وأُستخدم، فقالت: لا، ولا كرامة لهذا الفاسق.

فقال الشامي: من هذه الجارية؟

فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين.

فقال الشامي: الحسين بن فاطمة؟ قال: نعم.

فقال الشامي: لعنك الله أتقتل عترة نبيّك وتسبي ذرّيّته؟! والله ما توهّمت إلّا أنّهم سبي الروم.

فقال يزيد: والله لأُلحقك بهم، ثمّ أمر به، فضربت عنقه[1].

فيا غيرة الإسلام هبّي لمعضلٍ به الملّة البيضاء أدمعها حمرُ
أتغدوا مقاصير النبيّ حواسراً وآكلة الأكباد يحجبها قصرُ

---

١. الاحتجاج: ٣٠٦ ـ ٣٠٧، احتجاج عليّ بن الحسين بالشام؛ مثير الأحزان: ١٠٠ ـ ١٠١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٨ ـ ٢١٩؛ بحار الأنوار ٤٥: ١٣٦ ـ ١٣٧، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٩.

المجلس التاسع والعشرون*

وردت بنت حاتم[1] على أخيها عديّ وهو في الشام، فقال لها ـ وكانت امرأة حازمة[2] ـ: ماذا ترين في أمر هذا الرجل، يعني رسول الله ﷺ؟

قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبيّاً، فالسابق إليه فضيلة، وإن يكن مليكاً، فلن تذلّ عنده وأنت أنت.

قال عديّ: فخرجت حتّى أُقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده، فسلّمت عليه، فقال: «من الرجل؟» فقلت: عديّ بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنّه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلّمه في حاجتها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بمَلِكٍ.

ثمّ مضى رسول الله ﷺ حتّى دخل بيته، فتناول وسادة فقذفها لي، فقال لي:

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة للإمام الفاضل مولانا حجّة الإسلام والمسلمين السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه:».

١. اسمها «سَفّانَة» كما صرّح به ابن الأثير الجزري في أُسد الغابة ٧: ١٥٦، الرقم ٦٩٨٩، وابن حجر العسقلاني في الإصابة ٨: ١٨٠، الرقم ١١٣٠٣.

٢. رجل حازم: هو العاقل المميّز، ذو الحُنكة. لسان العرب ١٢: ١٣١، «ح. ز. م».

«اجلس على هذه». قال: قلت: لا، بل أنت فاجلس عليها، قال: «لا، بل أنت» فجلست عليها وجلس رسول الله ﷺ على الأرض[١]. وإنّما فعل هذا؛ لأنّ عديّاً رجل كريم.

لعن الله ابن آكلة الأكباد، ما أقلّ حياءه، أيّ رجل أكرم من زين العابدين وسيّد الساجدين؟ فكيف أوقفه عدوّ الله بين يديه مكشوف الرأس، حافي القدمين، والجامعة في عنقه، والغلّ في يديه، والقيد في رِجليه، وعمّاته وأخواته مرتّعاتٌ بالحبال نصب عينيه، وهو ينكث ثنايا الحسين بمخصرته، مستبشراً بأخذ الثار، واستئصال العترة الأطهار، مترنّماً بقوله:

لعبت هاشم بالملك، فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل[٢]

وكيف أقام عترة محمّد وذرّيّته على درج المسجد، يقام جواري السبي والناس تنظر إليهم، حتّى أتاهم شيخ من أهل الشام فقال لهم: الحمد لله الذي أهلككم وقتلكم، وأراح البلاد من رجالكم، وأمكن أميرالمؤمنين منكم.

فقال له الإمام زين العابدين: «يا شيخ هل قرأت القرآن؟». قال: نعم.

قال: «فهل قرأت: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾[٣]؟».

قال: قرأت ذلك.

فقال له الإمام: «فنحن القربى، يا شيخ، فهل قرأت: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبىٰ حَقَّهُ﴾[٤]؟».

فقال: نعم.

---

١. السيرة النبويّة لابن هشام ٤: ٢٢٠ ـ ٢٢٣؛ الطبقات الكبرى ١: ٣٢٢؛ تاريخ الطبري ٣: ١١٤، حوادث سنة ٩؛ إعلام الورى ١: ٤٧١ ـ ٤٧٢؛ الكامل في التاريخ ٢: ٢٨٥ ـ ٢٨٦، حوادث سنة ٩.

٢. حكاه الطبرسي في الاحتجاج: ٣٠٧، احتجاج زينب بنت عليّ بن أبي طالب...، وابن طاوس في الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٥، وابن الفتال في روضة الواعظين ١: ٤٣٣.

٣. الشورى (٤٢): ٢٣.

٤. الإسراء (١٧): ٢٦.

فقال الإمام: «فنحن القربى، وهل قرأت ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبى﴾[١]؟».

قال: نعم.

فقال له الإمام: «فنحن القربى، يا شيخ، هل قرأت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٢]؟».

قال: قرأت ذلك. فقال الإمام: «فنحن هم».

فبقي الشيخ ساكتاً ثمّ قال: بالله إنّكم هم؟

فقال الإمام: «بالله إنّا لنحن من غير شكّ، وحقّ جدّنا رسول الله».

فبكى الشيخ ورمى عمامته وبرئ من أعداء آل محمّد، فأمر يزيد به، فقتل بعد أن حسنت توبته[٣].

فليبكِ دين الله ممّا نابه ... وليَنْثني الإسلام يقرع نابا
هذا ابن هند وهو شرّ أُميّة ... من آل محمّد يستذلّ رقابا
ويصون نسوته ويبدو زينباً ... من خدرها وسكينة وربابا
سلبت حقّاً مقانعها وما أبقت لها ... حاشى المهابة والجلال حجابا

---

١. الأنفال (٨): ٤١.

٢. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٣. الأمالي للصدوق: ١٤١، المجلس ٣١، ح ٣؛ الاحتجاج: ٣٠٦ـ٣٠٧، احتجاج عليّ بن الحسين عليه السلام بالشام...؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١١ـ٢١٢.

المجلس الثلاثون*

كانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع من الهجرة[1]، أوحى الله ـ عزّ وجلّ ـ إلى نبيّه ﷺ أن يسير إليها بنفسه، ويستنفر الناس للخروج معه، وأعلمه أنّه لا يحتاج فيها إلى حرب، ولا يمنى بقتال عدوّ، وأنّ الأُمور تنقاد إليه بغير سيف، وتعمّد بامتحان أصحابه بالخروج معه؛ ليتميّزوا بذلك، وتظهر به سرائرهم، وقد أينعت ثمارهم، واشتدّ القيظ عليهم، فأبطأ أكثرهم؛ رغبةً في العاجل، وحرصاً على المعيشة وإصلاحِها، وخوفاً من شدّة القيظ وبُعد المسافة ولقاء العدوّ.

واستخلف أميرالمؤمنين عليه السلام في أهله وولده وأزواجه ومُهاجرِه، وقال له: «يا عليّ، إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي وبك»[2].

وذلك أنّه ﷺ علم من خبث نيّات الأعراب، وكثير من أهل مكّة ومَن حولها من غواهم وسفك دمائهم، فأشفق أن يطلبوا المدينة عند نأيه عنها؛ إذ لم يكن فيها

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لسيادة مولانا السيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه. قال نفعنا الله به: ...».

١. للمزيد راجع: تاريخ الطبري ٣: ١٠٠ ـ ١١١، حوادث سنة ٩؛ الكامل في التاريخ ٢: ٢٧٦ ـ ٢٨٢، حوادث سنة ٩.

٢. الإرشاد للمفيد ١: ١٥٦؛ مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٨٤ ـ ٨٥، ح ٤٩؛ كنز العمّال ١١: ٦٠٧، ح ٣٢٩٣٤.

مَن يقوم مقامه في إرهاب العدوّ، وحراسة دار الهجرة، وحياطة من فيها، إلّا أميرالمؤمنين عليه السلام.

فاستخلفه استخلافاً ظاهراً، ونصّ عليه بالإمامة من بعده نصّاً جليّاً، وذلك فيما تظاهرت فيه الرواية أنّ أهل النفاق لمّا علموا باستخلاف عليّ على المدينة حسدوه لذلك، وعظم عليهم مقامه فيها، وعلموا أنّها تحترس به، وكانوا يؤثرون خروجه مع النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لما يرجونه من وقوع الفساد عند نأيهما عن المدينة، وحسدوه على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله، وتكلّف من خرج منهم المشاقّ بالسفر والخطر، فأرجفوا به عليه السلام وقالوا: لم يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا استثقالاً له.

فلمّا بلغ أميرالمؤمنين عليه السلام إرجافهم، أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق بالنبيّ صلى الله عليه وآله فقال: «يا رسول الله، إنّ المنافقين يزعمون أنّك إنّما أخلفتني استثقالاً ومقتاً».

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: «ارجع يا أخي إلى مكانك؛ فإن المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى يا عليّ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؟»[١].

فتضمّن هذا القول نصّاً عليه بالإمامة، ودلّ على فضلٍ لم يشاركه فيه أحد، وأوجب له جميع منازل هارون من موسى إلّا ما خصّه العرف من الأُخوّة، واستثناه الرسول من النبوّة، وقد علم كلّ الناس أنّ هارون كان أخا موسى لأبيه وأُمّه، وشريكه في أمره، ووزيره على نبوّته، وأنّ الله سبحانه شدّ به أزره، وأنّه كان خليفته على قومه، وأنّه كان له فرض الطاعة عليهم، وكان أحبّ قومه إليه وأفضلهم لديه.

---

١. راجع: خصائص أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٩٠ ـ ٩١؛ تاريخ الطبري ٣: ١٠٠ ـ ١١١، حوادث سنة ٩؛ الإرشاد للمفيد: ١٥٦؛ الكامل في التاريخ ٢: ٢٧٦ ـ ٢٨٢، حوادث سنة ٩. للمزيد راجع الموسوعة ج ١، المراجعات، المراجعة ٢٨.

فلمّا جعل رسول الله ﷺ عليّاً بمنزلة هارون من موسى، أوجب له بذلك جميع ما عناه، إلّا ما خصّه العرف من الاُخوّة واستثناه الرسول من النبوّة.

وهذه فضيلة لم يبشّر له فيها أحد من العالمين، ولو علم الله ـ عزّ وجلّ ـ أنّ للمسلمين حاجةً في هذه الغزوة إلى الحرب، لما أذن في تخلّف أميرالمؤمنين عنها، بل علم أنّ المصلحة في استخلافه، فاستخلفه النبيّ ﷺ وخرج في ثلاثين ألفاً فيهم عشرة آلاف فارس[١]، ووجدوا في الطريق شدّةً من العطش، ووصل إلى تبوك فأقام بضع عشرة ليلة ـ وقيل: عشرين يوماً[٢] ـ قدم عليه يُحَنّة [بن رُؤبة] صاحب أيْلَة[٣]، فصالحه على الخير له، وصالح أهل أذرح[٤] وجَرباء[٥] عليها أيضاً.

وأُتي بـ«أُكَيْدر بن عبد الملك» أسيراً، وكان ملكاً على دومة [الجندل]، وكان نصرانيّاً، فحقن له دَمه، وصالحه على مال راتب في كلّ سنة، ورجع إلى قومه عزيزاً[٦].

لعن الله ابن مرجانة وابن آكلة الأكباد، هلّا فعلا بأسراء أهل البيت ما فعله رسول الله بأُكيدر إذ جاءه أسيراً، فأرجعه إلى قومه بدعة وأمان، لم يُسلَب منه عزّ ولا سلطان، وجيء بعبد الله بن يقطر أو قيس بن مسهر[٧] أسيراً إلى ابن مرجانة،

---

١. صرّح به الطبري في تاريخه ٣: ١٠٩، حوادث سنة ٩، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢: ٢٨١، حوادث سنة ٩.

٢. حكاه الحلبي عن الدمياطي في السيرة الحلبيّة ٣: ١١٩.

٣. هي مدينة على شاطئ البحر في مَنْصف ما بين مصر ومكّة. معجم البلدان ١: ٢٩٢؛ معجم ما استعجم ١: ٢١٦.

٤. أذْرُح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة ثمّ من نواحي البلقاء وعمّان مجاورة لأرض الحجاز. معجم البلدان ١: ١٢٨؛ معجم ما استعجم ١: ١٣٠.

٥. جرباء: هي قرية من أذرح بالشام. معجم البلدان ٢: ١١٨؛ معجم ما استعجم ١: ٣٧٤.

٦. راجع: السيرة النبويّة لابن هشام ٤: ١٦٦ ـ ١٦٧؛ تاريخ الطبري ٣: ١٠٨، حوادث سنة ٩؛ الكامل في التاريخ ٢: ٢٨٠ ـ ٢٨١، حوادث سنة ٩؛ البداية والنهاية ٥: ٢١ ـ ٢٣، حوادث سنة ٩.

٧. راجع روضة الواعظين ١: ٤٠٥. فيه قال ابن الفتّال: «... بعث قيس بن مُسهر الصيداوي، ويقال بعث أخاه من الرضاعة عبدالله بن يَقْطُر ...».

فشتمه وعتا عليه عتوّاً كبيراً، وأمره أن يصعد المنبر فيسبّ الحسين وأباه وأخاه أو يقطعه إرباً إرباً. فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ، وأكثر من الترحّم على عليّ عليه السلام والحسن والحسين، ولعن عبيدالله بن زياد وأباه وعُتاة بني أُميّة عن آخرهم. ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ هذا الحسين بن عليّ خير خلق الله وأنا رسوله إليكم، وقد خلّفته بالحاجز فأجيبوه.

فأمر ابن زياد به فرمي - وهو يسبّح الله ويقدّسه - من أعلى القصر فتقطّع[١].

فبلغ الحسين عليه السلام قتله، فاسترجع واستعبر بالبكاء، ثمّ قرأ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[٢]. ثمّ قال: «جعل الله الجنّة ثواباً، اللهمّ اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً في مستقرٍّ من رحمتك، ورغائب من خور ثوابك، إنّك على كلّ شيءٍ قدير»[٣].

وجيء بمسلم بن عقيل أسيراً إلى ابن مرجانة أيضاً، فشتمه وشتم عليّاً والحسن والحسين وعقيلاً، وقال له: قتلني الله إن لم أقتلك قِتلةً لم يُقْتَلها أحد في الإسلام.

فقال له مسلم: أما إنّك حقيق بأن تحدث في الإسلام ما لم يكن، وإنّك لا تدع سوء القِتلة، وقبح المثلة، وخبث السريرة، ولؤم الغلبة لأحد أولى بها منك.

فأمر اللعين بكر بن حمران فقال له: اصعد واضرب عنقه، فصعد به وهو يكبّر الله ويستغفره، ويصلّي على رسوله، ويقول: اللهمّ احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وخذلونا. فضرب عنقه، وأتبع رأسه جثّته.

---

١. الإرشاد للمفيد ٢: ٧٠؛ روضة الواعظين ١: ٤٠٥؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٥ - ١٣٦؛ وقعة الطفّ: ١٦٣؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٠، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

٢. الأحزاب (٣٣): ٢٣.

٣. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٦؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٤، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

وبعث ابن زياد ـ لعنه الله ـ برأسه ورأس هاني بن عروة إلى يزيد، وصلب جثّتيهما بالكناسة بعد أن جرّوهما بالأسواق[١].

وما ينسى فلا ينسى وقوف عليّ بن الحسين عليه السلام أسيراً بين يدي هذا الزنيم، فقال له: من أنت؟. قال: «أنا عليّ بن الحسين».

فقال: أليس قتل الله عليّ بن الحسين؟

فقال الإمام عليه السلام: «كان لي أخ يسمّى عليّاً قتله الناس».

فقال له: الله قتله!! فقال الإمام: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[٢].

فغضب ابن زياد وقال: وبك جرأة على جوابي، وفيك بقيّة للردّ عليّ، اذهبوا به فاضربوا عنقه.

فتعلّقت به عمّته زينب وقالت: يابن زياد حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: لا والله، لا أُفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه.

فنظر ابن زياد ـ لعنه الله ـ إليها وإليه ساعة، ثمّ قال: عجباً للرحم إنّي لأظنّها ودّت إنّي قتلتها معه[٣].

وأفجع من هذا وأمظّ دخول الإمام عليّ بن الحسين وعمّاته وأخواته على يزيد بن معاوية وهم مقرنون في الحبال، فلمّا وقفوا بين يديه وهم على تلك الحال قال له عليّ بن الحسين: «أُنشدك الله يا يزيد، ما ظنّك برسول الله ﷺ لو رآنا على هذه الصفة؟» فأمر يزيد بالحبال فقطعت.

---

١. راجع: الإرشاد للمفيد ٢: ٦٢ ـ ٦٣؛ مثير الأحزان: ٣٦ ـ ٣٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢١ ـ ١٢٢؛ وقعة الطفّ لأبي مخنف: ١٣٩ ـ ١٤١.

٢. الزمر (٣٩): ٤٢.

٣. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٦ ـ ١١٧؛ إعلام الورى ١: ٤٧٢ ـ ٤٧٣؛ مثير الأحزان: ٩١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٠٢؛ الدرّ النظيم: ٥٦١؛ وقعة الطفّ لأبي مخنف: ٢٦٣.

ثمّ وضع رأس الحسين بين يديه، فلمّا رأته زينب، أهوت إلى جيبها فشقّته، ثمّ نادت بصوتٍ حزين يقرح القلوب: يا حسيناه، يا حبيب رسول الله، يابن مكّة ومنى، يابن فاطمة الزهراء سيّدة النساء، يابن بنت المصطفى، فأبكت والله كلّ من في المجلس.

ثمّ جعلت امرأة من بني هاشم تندب الحسين وتنادي: يا حبيباه، يا سيّدا أهل بيتاه، يابن محمّداه، يا ربيع الأرامل واليتامى، يا قتيل أولاد الأدعياء، فأبكت والله كلّ من سمعها[١].

وتهتف شجواً بالحماة كأنّما تعلمن منها هاتفات الحمائم
وتذري دموعاً كالعقيق سوافحاً عليهم ونار الوجد ملئ الحيازم
ومن بلد تسبى إلى شرّ بلدة ومن ظالم تهتدى إلى شرّ ظالم

---

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٣؛ بحار الأنوار ٤٥: ١٣٢، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٩، ذيل الحديث ١.

المجلس الحادي والثلاثون

لمّا جهّز رسول الله ﷺ جيش مؤتة، جعل الأمير يومئذٍ ابن عمّه جعفر بن أبي طالب، وقال ﷺ: «إن أُصيب جعفر، فزيد بن حارثة، فإن أُصيب زيد، فعبد الله بن رواحة»[1].

وقيل: إنّه قدّم زيداً، فقال جعفر: ما كنت أرهب أن تستعمل عليَّ زيداً. فقال ﷺ: «امضِ فإنّك لا تدري أيّ ذلك خير»[2].

قال ابن الأثير:

ثمّ ساروا، فالتقتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء يقال لها: «مشارف» وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: «مؤتة» فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقاتل زيد براية رسول الله ﷺ حتّى شاط في رماح القوم، ثمّ أخذها جعفر فقاتل وهو يقول:

---

١. الأمالي للطوسي: ١٤٠ ـ ١٤٢، المجلس ٥، ح ٤٣. فيه: لمّا قدم جعفر بن أبي طالب من بلاد الحبشة بعثه رسول الله ﷺ إلى مؤتة و... ولكن في أكثر مصادر أهل السنة: استعمل رسول الله ﷺ عليهم زيد بن حارثة وقال: «إن أُصيب زيد بن حارثة فجعفر ...».
حكى اليعقوبي هذا الاختلاف في تاريخه ١: ٣٨٣ ـ ٣٨٤. للمزيد راجع أيضاً: السيرة النبويّة لابن هشام ٤: ١١؛ تاريخ الطبري ٣: ٣٦، حوادث سنة ٨؛ دلائل النبوّة للبيهقي ٤: ٣٥٨ ـ ٣٧١؛ الكامل في التاريخ ٢: ٢٣٤، حوادث سنة ٨؛ عيون الأثر لابن سيّدان ٢: ٢٠٨.

٢. رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٨: ٣٦٥، ح ٢٢٦١٤، والبيهقي في دلائل النبوّة ٤: ٣٦٧.

يا حبّذا الجنّة واقترابُها طيّبة وباردٌ شرابُها
والروم روم قد دنى عذابُها كافرة بعيدة أنسابُها
عليَّ إذ لاقيتها ضرابُها

فلمّا اشتدّ القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثمّ قاتل القوم حتّى قتل ـ وكان أوّل من عقر فرسه في الإسلام ـ فوجد به بضع وثمانون جرحاً، ما بين ضربة ورمية وطعنة.

بأبي أنت وأُمّي يا أباعبدالله. بأبي أنت وأُمّي يابن رسول الله، لئن وجدوا في جسد عمّك بضعاً وثمانين جرحاً، فلقد أُصبت يوم الطفّ بألف وتسعمائة، ما بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورضخة بحجر [١].

رماك الدارمي يا ريحانة المصطفى بسهم فأثبته في حنكك الشريف. وضربك ابن النسر الكندي على رأسك بالسيف يا حشاشة الزهراء حتّى امتلأ برنسك دماً، فاستدعيت بخرقة شددت بها رأسك تحت العمامة. ووقفت يا سيّدي لتستريح ساعة وقد ضعفت عن القتال، فأتاك حجر في جبهتك المباركة، فأخذت الثوب لتمسح الدم عن وجهك، فأتاك سهم مسدّد مسموم له ثلاث شعب فوقع على قلبك الطاهر، فأخرجته من ظهرك، فانبعث الدم كأنّه ميزاب [٢].

سهم رمى أحشاك يابن المصطفى سهم به كبد الهداية قد رمي
يا أرض ميدي، يا سماء تفطّري يا شمس غيبي، يا جبال تقسّمي

---

١. حكاه ابن شهر آشوب بلفظ «قيل». راجع أيضاً: مناقب آل أبي طالب ٤: ١٢٠. ولكن في مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٢؛ مثير الأحزان: ٧٦؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٨ روي: أنّه وجد في قميصه مائة وبضع عشرة مابين رمية وضربة وطعنة. قال الصادق عليه السلام: «وجد بالحسين عليه السلام ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة».

٢. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٩؛ مثير الأحزان: ٧٣؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٢.

قال ابن الأثير:

فلمّا قتل جعفر أخذ الراية عبدالله بن رواحة، فتردّد بعض التردّد، ثمّ قال يخاطب نفسه:

أقسمت يا نفس لتنزلنّهْ ... طائعة أو لا لتكرهنّهْ
إن أجلب الناس وشدّوا الرنّهْ ... ما لي أراكِ تكرهين الجنّهْ
قد طال ما قد كنت مطمئنّهْ ... هل كنتِ إلّا نطفة في شنّهْ

وقال أيضاً:

يا نفس إن لم تقتلي تموتي ... هذا حِمام الموت قد صليتي
وما تمنّيتِ فقد أُعطيتِ ... إن تفعلي فعلهما هديتِ

وتقدّم فقاتل حتّى قُتل.

ثمّ إنّ الخبر جاء من السماء في ساعته إلى النبيّ ﷺ فصعد المنبر وأمر فنودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال: «ثار خبر ـ ثلاثاً ـ عن جيشكم هذا الغازي، إنّهم لقوا العدوّ، ثمّ نعى لهم زيداً وجعفراً وعبدالله».

وقال ﷺ ـ بعدها بليلة ـ: «مرّ بي جعفر البارحة في نفر من الملائكة، له جناحان مخضّب القوادم بالدم»[1].

وفي ترجمة جعفر من كتاب الاستيعاب:

بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة في جمادى الأُولى سنة ثمان من الهجرة، فقاتل فيها جعفر حتّى قطعت يداه جميعاً، ثمّ قتل، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنّة حيث يشاء»[2].

وقد لحقه في هذه الفضيلة شبل أخيه قمر بني هاشم فإنّه قطعت يداه في سبيل الله تعالى، وضرب على هامته بعمود من حديد.

---

١. الكامل في التاريخ ٢: ٢٣٤ ـ ٢٣٨، حوادث سنة ٨. راجع أيضاً: السيرة النبويّة لابن هشام ٤: ٢٠؛ تاريخ الطبري ٣: ٣٦ ـ ٤٢، حوادث سنة ٨.

٢. الاستيعاب ١: ٢٤٢، الرقم ٣٢٧.

ولئن أُصيب ذو الجناحين ببضع وثمانين جراحة، فلقد روي في حديث بني أسد: أنّه لمّا دفنوا العبّاس عليه السلام، كانوا كلّما رفعوا منه جانباً سقط الآخر؛ لكثرة ضرب السيوف وطعن الرماح.

وامتاز العبّاس بعظيم المواساة، فإنّه لمّا اقتحم المشرعة قال: لا أشرب الماء وأبوعبدالله عطشان.

وهل سمعت بأحد من الأوّلين والآخرين فدى قربة من الماء رجاء أن يشربها أخوه وعياله وأطفاله بنفسه، ووقاها حرصاً على إيصالها إليهم بمهجته؟

وليتك يا ساقي عطاشى كربلاء أرويت كبدك الحرّى بجرعة منها قبل مقتلك، وليتهم إذ قتلوك أبقوا ماءها لغسلك، وبالعزيز على سكينة عزيزة أخيك أن تراك ذبيحاً دون يسير من الماء توصله إليها، ويعزّ على عقيلتكم زينب أن تراك مقطّعاً نصب عينيها، وليتك ترى أخاك الوحيد واقفاً عليك وهو ينادي: الآن انكسر ظهري، الآن تبدّد عسكري وقلّت حيلتي، ثمّ بكى بكاءً شديداً.

أحقّ الناس أن يبكى عليه ... فتى أبكى الحسين بكربلاءِ
أخوه وابن والده عليّ ... أبوالفضل المضرّج بالدماءِ
ومن واساه لا يثنيه شيء ... وجاد له على عطش بماءِ[1]

ونقل ابن الأثير عن أسماء زوجة جعفر ذي الجناحين ـ رضي الله عنها ـ قالت:

أتاني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد غسلت أولاد جعفر ودهنتهم، فأخذهم وشمّهم ودمعت عيناه، فقلت: يا رسول الله، أبلغك عن جعفر شيء؟

قال: «نعم أُصيب هذا اليوم» ثمّ أمر أهله أن يصنعوا لآل جعفر طعاماً، فهو أوّل طعام عُمل في الإسلام[2].

---

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٠؛ مقاتل الطالبيّين: ٥٥.

٢. الكامل في التاريخ ٢: ١١٥.

بأبي أنت وأُمّي يا نبيّ الرحمة، دمعت عيناك إذ رأيت يتامى ابن عمّك جعفر، مع أنّهم كانوا في هيئة حسنة، وزيّ بهيج، وأمرت لهم بطعام، مع أنّهم لم يكونوا جياعاً، رأفة منك ورحمة.

فكيف بك لو رأيت يتاماكم يوم عاشوراء جياعاً عطاشى، حفاة عراة، مدهوشين والهين، مربقين بالحبال، يخافون أن يتخطّفهم الناس من حولهم، هذا يضربهم، وهذا يسلبهم، وذاك يضرم النار في خيامهم، وآخر ينتزع الملاحف عن ظهورهم، وظهور أُمّهاتهم وعمّاتهم؟ وليتك يا نبيّ الرحمة تراهم ليلة الحادي عشر من المحرّم وقد أحاطت بهم الأعداء، وهم يرون ثمانية عشر من حماتهم، واثنين وسبعين من شيعتهم جثثاً على الرمضاء، ورؤوسهم على أطراف الرماح.

يا رسول الله لو عاينتهم وهم ما بين قتلٍ وسبا
من رميض يمنع الظلّ ومن عاطش يسقى أنابيب القنا
ومسوق عاثر يسعى به خلف محمول على غير وطا
لرأت عيناك منهم منظراً للحشا شجواً وللعين قذى[1]

١. ديوان الشريف الرضي ١: ٤٤ ـ ٤٥؛ مناقب آل أبي طالب ٤: ١٣١؛ عوالم العلوم والمعارف والأحوال ١٧: ٤٥٤.

المجلس الثاني والثلاثون*

روى الإمام محبّ الدين أبوجعفر أحمد بن عبدالله بن محمّد بن أبي بكر بن محمّد بن إبراهيم الآملي المكّي الشافعي إمام الحرم بمكّة شرّفها الله، في كتابه ذخائر العقبى: أنّ النبيّ ﷺ قال: «أنا وأهل بيتي كشجرة في الجنّة وأغصانها في الدنيا، فمن شاء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً فليحبّنا»[1].

وقال النبيّ ﷺ: «في كلّ خلف من أُمّتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإنّ أئمّتكم وفدكم إلى الله، فانظروا من توفدون»[2].

أخرجه الملّاء في سيرته، وابن حجر في صواعقه[3].

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لسيادة سيّدنا ومولانا الحجّة السيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه. قال نفعنا الله به: ...».

١. ذخائر العقبى: ١٦. راجع أيضاً: ينابيع المودّة ٢: ١١٣، الباب ٥٦، ح ٣٧؛ الصواعق المحرقة: ١٥٠، الباب ١١، الفصل ١.

٢. ذخائر العقبى: ١٧.

٣. راجع: الصواعق المحرقة: ١٥٠، الباب ١١، الفصل ١؛ ينابيع المودّة ٢: ١١٣ ـ ١١٤، الباب ٥٦، ح ٣١٨.

وقال ﷺ: «أهل بيتي أمان لأُمّتي»[1].

وقال: «النجوم أمانٌ لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء. وأهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض».

أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المناقب[2].

وقال ﷺ: «استوصوا بأهل بيتي خيراً، فإنّي أُخاصمكم عنهم غداً، ومن أكن خصمه أخصمه، ومن أخصمه دخل النار»[3].

وقال ﷺ: «أربعة أنا لهم شفيع: المكرم لذرّيّتي، والقاضي حوائجهم، والساعي في أمرهم، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه»[4].

«ولو أنّ رجلاً صفَّ بين الركن والمقام، وصلّى وصام ثمّ لقي الله وهو مبغض لأهل بيتي، دخل النار»[5].

وقال الحسين بن عليّ: «من دمعت عيناه فينا دمعة بقطرة، أعطاه الله الجنّة»[6].

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٠، الباب ٣١، ح ١٤؛ المستدرك على الصحيحين ٣: ٢٤١، ح ٣٧٢٨؛ المعجم الكبير ٧: ٢٢، ح ٦٢٦؛ نوادر الأُصول ٣: ٦١، الأصل ٢٢٢؛ مسند أبي يعلى ١٣: ٢٦٠، ح ٧٢٧٦؛ ذخائر العقبى: ١٧؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٧٧، ح ١٥٠٢٥؛ كنز العمّال ١٢: ١٠٢، ح ٣٤١٨٨.

٢. حكاه عنه محبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى: ١٧، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ١١٤، الباب ٥٦، ح ٣٢٠. للمزيد راجع أيضاً: المستدرك على الصحيحين ٣: ٢٤١، ح ٣٧٢٨؛ فرائد السمطين ٢: ٢٥٢ـ٢٥٣، ح ٥٢٢.

٣. ذخائر العقبى: ١٨؛ الصواعق المحرقة: ١٥٠، الباب ١١، الفصل ١؛ ينابيع المودّة ٢: ١١٥، الباب ٥٦، ح ٣٢٤.

٤. مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٣٠؛ بشارة المصطفى: ٦٩ ـ ٧٠، الجزء الثاني، ح ١؛ ذخائر العقبى: ١٨؛ كنز العمّال ١٢: ١٠٠، ح ٣٤١٨٠؛ ينابيع المودّة ٢: ١١٥، الباب ٥٦، ح ٣٢٤.

٥. المعجم الكبير ١١: ١٤٢، ح ١١٤١٢؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٠، ح ٤٧٦٦؛ ذخائر العقبى: ١٥؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٧٢، ح ١٥٠٠٦.

٦. ذخائر العقبى: ١٩؛ ينابيع المودّة ٢: ١١٧، الباب ٥٦، ح ٣٣٧؛ عيون صحاح الأخبار: ٣٩٥ـ٣٩٦، ح ٧٩٤؛ بشارة المصطفى: ١٠٨، الجزء الثاني، ح ٤٦، بتفاوت في الألفاظ.

وقال رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تعلّق بها فاز، ومن تخلّف عنها زجّ في النار»[1].

وقال ﷺ: «يرد الحوض أهل بيتي ومن أحبّهم من أُمّتي كهاتين السبّابتين»[2].

وقال ﷺ: «من صنع إلى أحدٍ من أهل بيتي يداً كافَيتُه عنه يوم القيامة»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة، أنت وأنا وهذين ـ حسناً وحسيناً ـ وهذا الراقد ـ يعني عليّاً ـ في مكان واحد يوم القيامة».

أخرجه الإمام أحمد[4].

وأخرج الترمذي وأبوحاتم عن زيد بن أرقم، أنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ وفاطمة وحسن وحسين: «أنا حربٌ لمن حاربتم، وسلمٌ لمن سالمتم»[5].

ولمّا نزلت: ﴿قُلْ لا أسْألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾[6] قالوا: يا رسول الله، مَن هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال ﷺ: «عليٌّ وفاطمة وابناهما»[7].

---

١. ذخائر العقبى: ٢٠. رواه أيضاً: الطبراني في المعجم الكبير ٣: ٤٥ ـ ٤٦، ح ٢٦٣٦ ـ ٢٦٣٨، والصدوق بألفاظ أُخر في عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٠، الباب ٣١، ح ١٠، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٦٥، ح ١٤٩٧٨ ـ ١٤٩٨١.

٢. مقاتل الطالبيّين: ٤٤؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٤٥؛ ذخائر العقبى: ١٨؛ الصواعق المحرقة: ١٥٣، الباب ١١، الفصل ١؛ ينابيع المودّة ٢: ١١٦، الباب ٥٦، ح ٣٢١.

٣. من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٥، ح ١٧٣٧؛ الكافي ٤: ٦٠، باب الصدقة لبني هاشم و...، ح ٨؛ ذخائر العقبى: ١٨؛ ينابيع المودّة ٢: ٣٧٩، الباب ٥٦، ح ٧٦.

٤. مسند أحمد ١: ٢١٧، ح ٧٩٢ بتفاوت. رواه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير ٣: ٤٠ ـ ٤١، ح ٢٦٢٢، والهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٦٨ ـ ٢٦٩، ح ١٤٩٩١.

٥. الجامع الصحيح ٥: ٦٩٩، ح ٣٨٧٠؛ الكامل في ضعفاء الرجال ٢: ٨٦ـ٨٧، الرقم ١٠٣٠٧. للمزيد راجع أيضاً: المعجم الكبير ٣: ٤٠، ح ٢٦١٩ ـ ٢٦٢٠؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٣٠، ح ٤٧٦٨؛ ذخائر العقبى: ٢٥.

٦. الشورى (٤٢): ٢٣.

٧. المعجم الكبير ٣: ٤٧، ح ٢٦٤١؛ شواهد التنزيل ٢: ١٣٠ ـ ١٣٤، ح ٨٢٢ ـ ٨٢٨؛ ذخائر العقبى: ٢٥؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٦٦، ح ١٤٩٨٢.

و «إنّ الله تعالى جعل أجري عليكم المودّة لأهل بيتي، وإنّي سائلكم عنهم غداً»[١].

وقال سعد بن أبي وقّاص: إنّ لعليّ ثلاثاً لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت النبيّ يقول له: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؟». وسمعته يقول يوم خيبر: «لأُعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله على يديه» فأعطاها عليّاً. ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[٢] دعا عليّاً وفاطمة وحسناً وقال: «اللهمّ هؤلاء أهلي».

أخرجه مسلم والترمذي[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «إنّ أهل بيتي سيلقون بعدي أثرةً وشدّةً وتطريداً في البلاد»[٤].

فكان الأمر كما قال؛ إذ أوثر يزيد بن هند صاحب الخمور والفجور والفهود على سبطه وريحانته سيّد شباب أهل الجنّة أبي عبدالله عليه السلام، ولاقى من الشدّة الشديدة والضنك والضيق ما أوجب له الهرب من حرم جدّه إلى مكّة حرم الله، ثمّ هرب منها إلى العراق بأصحابه وأهل بيته وعياله وأطفاله، فتعلّق بهم ما لا يفعل بالشراة والخوارج، وقابلوهم بما لا يقابلون به أهل الخنا والريب حتّى سبوا عياله وذبحوا أطفاله، هبوا أنّكم قاتلتموا فقتلتم فما ذنب أطفال يقاسي نبالها؟

يا لله، يا للمسلمين، ما ذنب عبدالله الرضيع حين أخذه أبوه ليودّعه فجعل يقبّله

---

١. ذخائر العقبى: ٢٦؛ ينابيع المودّة ١: ٣١٦، الباب ٣٢، ح ٤.

٢. آل عمران (٣): ٦١.

٣. صحيح مسلم ٤: ١٨٧١، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٢؛ الجامع الصحيح ٥: ٦٣٨، ح ٣٧٢٤. رواه أيضاً النسائي في خصائص أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب: ٨٥، ح ٥٤، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤: ٧١، ح ٤٦٣٢.

٤. ذكر أخبار أصبهان ٢: ١٢؛ ذخائر العقبى: ١٧؛ ميزان الاعتدال ٤: ٤٢٣، الرقم ٩٦٩٥.

ويبكي ويقول: «ويل لهؤلاء القوم إذا كان جدّك محمّد المصطفى خصمهم»[1] فرماه حرملة بن كاهل بسهم فوقع في نحره فذبحه، فقال لزينب: «خذيه» ثمّ تلقّى الدم بكفّيه، فلمّا امتلأتا رمى بالدم نحو السماء وقال: «هوّنَ عليّ ما نزل [بي] أنّه بعين الله».

قال الباقر عليه السلام: «فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض»[2].

قال: واشتدّ العطش بالحسين فركب المسنّاة يريد الفرات والعبّاس أخوه بين يديه، فاعترضه خيل ابن زياد، فرمى رجل من بني دارم الحسين بسهم، فأثبته في حنكه الشريف، فانتزع ـ صلوات الله عليه ـ السهم وبسط يديه تحت حنكه حتّى امتلأت راحتاه من الدم ثمّ رمى به وقال: «اللهمّ إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيّك»[3].

ثمّ اقتطعوا العبّاس عنه فجعل يحمل عليهم ويحملون عليه وهو في ذلك يطلب شربة من ماء فلا يجد حتّى أصابه اثنان وسبعون جراحة، فوقف يستريح ساعة وقد ضعف عن القتال، فبينا هو واقف إذ أتاه حجر فوقع على جبهته الشريفة، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن جبهته فأتاه سهم مسموم له ثلاث شعب فوقع على قلبه، فقال: «بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله»[4]. ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: «إلهي أنت تعلم أنّهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيره»[5]. ثمّ أخذ السهم فأخرجه من وراء ظهره فانبعث الدم كأنّه ميزاب، فضعف عن القتال

---

١. حكاه الخوارزمي في مقتله ٢: ٣٧، ولكن في الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٨، ومثير الأحزان: ٦٩، والملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٩ روي عنه عليه السلام في شهادة القاسم بن الحسن، ووقعة الطفّ لأبي مخنف: ٣٤٤.

٢. مثير الأحزان: ٧٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٩؛ بحار الأنوار ٤٥: ٤٦، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

٣. الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٩؛ مثير الأحزان: ٧٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٠.

٤. مثير الأحزان: ٧٣؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٢.

٥. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٢. روي أيضاً بنقيصة في الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٩، ومثير الأحزان: ٧٣، وبحار الأنوار ٤٥: ٥٠، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

ووقف، وكلّما أتاه رجل انصرف عنه؛ كراهة أن يلقى الله بدمه، حتّى جاءه رجل من كندة يقال له: مالك بن النسر، فشتم الحسين عليه السلام وضربه على رأسه الشريف بالسيف فقطع البرنس ووصل السيف إلى رأسه فامتلأ البرنس دماً، ثمّ استدعى الحسين بخرقة فشدّ بها رأسه، واستدعى بقلنسوة فلبسها واعتمّ عليها.

فلبثوا هنيئة، ثمّ عادوا إليه وأحاطوا به، فخرج عبدالله بن الحسن فلحقته زينب لتحبسه، فأبى وامتنع امتناعاً شديداً، فقال: والله لا أُفارق عمّي الحسين. فأهوى بحر بن كعب ـ وقيل: حرملة بن كاهل ـ إلى الحسين بالسيف، فقال له الغلام: ويلك يابن الخبيثة أتقتل عمّي؟ فضربه بالسيف فاتّقاها الغلام بيده فأطنّها إلى الجلد فإذا هي معلّقة، فنادى الغلام: يا عمّاه ـ وقيل: نادى: يا أُمّاه[1] ـ فأخذه الحسين فضمّه إليه وقال: «يابن أخي، اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين»[2].

يا غيرة الله غار الصبر فانهتكي	هتك النساء لما في كربلاء كانا
هبي الرجال بما تأتي به قتلت	وإن يكن قتلت ظلماً وعدوانا
ما بال أطفالها صرعى ونسوتها	أسرى يجاب بها سهلاً وأحزانا
تهدى وهنّ كريمات النبيّ إلى	من أعظمها لله كفرانا
والمسلمون بمرأى لا ترى أحداً	لله ولرسول الله غضبانا

١. قال به المفيد في الإرشاد ٢: ١١٠، وابن حاتم الشامي في الدرّ النظيم: ٥٥٧، وأبومخنف في وقعة الطفّ: ٢٥٤.

٢. إعلام الورى ١: ٤٦٨؛ مثير الأحزان: ٧٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٣؛ بحار الأنوار ٤٥: ٥٣ـ ٥٤، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

المجلس الثالث والثلاثون*

لمّا اشتدّ غضب الرشيد على العلويّين جعل يتربّص بهم الدوائر، منهم من قتله قتلاً، ومنهم من صلبه صلباً، فتفرّقوا عنه في البلدان.

وكان من جملة من مضى القاسم بنُ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام[1]، فخرج من المدينة متخفّياً حتّى أتى «حيّ أبي حمزة» فبينا هو في حيرة شديدة، إذ وفد عليه بنتان صغيرتان تلعبان تقول إحداهما للأُخرى: لا، وحقّ المنتجب بالوصيّة، والحكم بالرعيّة، والفاصل بالقضيّة، وصاحب بيعة الغدير، ما كان الأمر كذا وكذا.

فلمّا سمع ذلك منهما، تهلّل وجهه بشراً، ثمّ قال لإحداهما: يا بنيّة، ولمن تعنين؟ قالت: أعني به سيف الله المسلول، وزوج البتول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت.

١. هو أخو الإمام عليّ بن موسى من أُمّه، وكان أبوه يعظّمه ويحبّه حبّاً شديداً، كما يظهر من قوله عليه السلام: «لو كان الأمر إليّ لجعلته في القاسم ابني؛ لحبّي إيّاه ورأفتي عليه ...».

وفيه أيضاً رواية أُخرى تدلّ على اهتمام أبيه فيه، حيث قال عليه السلام مخاطباً له: «قم يا بنيّ فاقرأ عند رأس أخيك ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ حتّى تستمّها، فقرأ، فلمّا بلغ ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمَّنْ خَلَقْنَا﴾ قضى الفتى ...».

قبره قريب من مدينة الحلّة في العراق بحوالي ثلاث فراسخ ويزار من قِبَل عامّة الناس.

للمزيد راجع: الكافي ١: ٣١٤، باب الإشارة والنصّ على أبي الحسن الرضا عليه السلام، ح ١٤، و ٣: ١٢٦، باب إذا عسر على الميّت الموت و...، ح ٥؛ منتهى الآمال ٢: ٣٦٢؛ معجم رجال الحديث ١٤: ٦٠ـ ٦١، الرقم ٩٥٥٥.

فقال: يا جارية، اهديني على رئيس هذا الحيّ.

قالت: هو أبي وأنا ابنته.

فجاء القاسم حتّى دخل عليه، فأكرمه غاية الإكرام، وأقام في خدمته ثلاثة أيّام، فلمّا قضيت الثلاثة أيّام قال القاسم لصاحب الحيّ: إنّي سمعت ممّن سمع من رسول الله ﷺ: «إنّ الضيف إلى ثلاثة أيّام، ومن بعدها فليأكل الصدقات»[1]. فأُحبّ منك أن تجعل لي بعض الأشغال حتّى لا يكون زادي صدقة. فجعله سقّاً كما أراد القاسم.

وبقي القاسم مدّةً في حيّ أبي حمزة، لا يعرفه أحد من القوم، فانتبه الشيخ ليلة فرأى القاسم قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، فقال: ويلك يا شيخ، هذا وليّ من أولياء الله، اللهمّ اغفر لي بما قصّرت في حقّه؟ وقرّبه إليه حتّى صار له عنده منزلة، فزوّجه ابنته وأقامه في داره إلى أن رزقه الله ابنة واحدة.

وبقي القاسم عندهم وقد أينعت بلادهم، وأخصبت وأثمرت أشجارهم، ونمت وكثر عليهم النماة والبركة، كلّ ذلك ببركة القاسم بن الإمام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ هذا وهم لم يعرفوا أنّه ابن الإمام موسى بن جعفر، ولم يزل قائماً بينهم إلى أن مرض المرض الذي توفّي فيه، وكان الشيخ يزوره، فأقبل الشيخ يوماً على عادته لزيارة القاسم، فرآه يعالج سكرات الموت، فأخذ برأسه وجرّه إليه وقال: يا قاسم قل: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله ﷺ، عليّ وليّ الله، فقال القاسم فوق ما قال عمّه.

فقال له عمّه: يا قرّة عيني من أنت؟ ولمن تنتسب؟ فإنّي أرى لك نوراً ما أراه لأحد في هذا الحيّ لغريب أو قريب، فدمعت عين القاسم فمسح الشيخ دموعه

---

١. راجع كنز العمّال ٩: ٢٤٦، ح ٢٥٨٦٣، و ٢٥٣، ح ٢٥٩٠٨ ـ ٢٥٩٠٩.

وبكى لبكائه، ثمّ قال له: يا عمّ أخاف أن يطفح عليك ممّا أُخبرك به.

فبكى الشيخ وقال: الله أكبر يا عمّ لعلّك علويّ؟

قال: نعم يا عمّ، ولولا أن تسألني ما أخبرتك؛ لأنّ الرشيد ما أبقى من أهل هذا البيت أحداً إلّا قتله، أو صلبه، أو بدّده حتّى شرّدهم عن خيرهم.

فقال الشيخ: يا عمّاه أنت ابن مَن؟

فقال: ابن الإمام موسى بن جعفر.

فلمّا سمع الشيخ، جعل يلطم على رأسه ويقول: وا حيائي من أبيك، لقد استخدمناك، فاجعلني يا سيّدي في حِلّ ممّا قصّرت في أمرك.

فقال القاسم: يا عمّ لا بأس عليك غفر الله لك.

ثمّ قال الشيخ: يا قرّة عيني أوصني بما شئت فإنّي فاعل إن شاء الله.

فقال: يا عمّ، إذا أنا قضيت نحبي فغمّضني، وشدّ لحيتي، وغسّلني وكفّنّي وادفنّي في مكاني، ونوّه باسمي على قبري، وإذا خرجت إلى مكّة فاجعل طريقك على مدينة جدّي رسول الله ﷺ، وخذ ابنتي وزوجتي معك، فإذا دخلت المدينة فأطلق ابنتي هذه، فإنّها ستأتي إلى محلّة بني هاشم، وتأتي داراً عالية وإنّ تلك الدار هي لنا ليس فيها رجال إلّا أرامل وأيتام؛ لأنّ الرشيد لم يدع لنا فيها أحداً، ثمّ قضى نحبه صابراً محتسباً.

فقام الشيخ وهو ينادي: وا قاسماه، وا غريباه، وا ابن إماماه. ثمّ قام في تجهيزه وتكفينه ودفنه، فلمّا كان الموسم مضى للحجّ وأخذ معه ابنته وابنة القاسم، فقضى حجّه ومناسكه وأتى المدينة المنوّرة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والتحيّة ـ ثمّ قال لابنته: الآن يستبين لك البرهان، فجعلت البنت تمشي على هدوء ووقار حتّى أتت داراً عالية، فدخلت البنت، فما مضى قليلاً إلّا وقد علا البكاء والصراخ من داخل الدار، وارتفع الضجيج، وبكت أُمّ القاسم ونادت: وا ولداه، وا قاسماه، وا مهجة قلباه.

فصاح الشيخ من خارج الدار: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعدن العلم، ومهبط العلم والتوحيد، خذوا ابنتكم عظّم الله أجركم، والله ما عرفنا عن عزيزكم القاسم حتّى أدركته الوفاة.

لا تأمن الدهر إنّ الدهر ذو غِيَرٍ وذو لسانين في الدنيا ووجهين
أخنى على عترة الهادي فشتّتهم فلا ترى جامعاً منهم بشخصين

هذا القاسم بن الإمام موسى بن جعفر وإن كان مات غريباً وحيداً، لكنّه وفد على قوم حفظوه وأكرموه وزوّجوه، وأقام بينهم على كلّ كرام حتّى توفّاه الله، فغسّل وكفّن ودفّن ورأسه معه.

لكنّ القاسم بن الحسن لمّا ورد مع عمّه الحسين إلى كربلاء، وكان ما كان من أمر ابن زياد وابن سعد، وضيّقوا على الحسين ومنعوه وأهل بيته من شرب الماء، وقتل من قتل من أصحابه وأهل بيته.

جاء القاسم يطلب الرخصة من عمّه الحسين ويقال: أنّه قال: «يابن أخي أنت العلامة من أخي الحسن، دعني أتسلّى بك».

فقال: يا عمّ إنّي لا أُحبّ الحياة بعد هذه الفترة.

بينما هو يخاطبه إذ خرجت امرأة من بين الخيام تقوم مرّة وتقعد أُخرى، فقال عليه السلام لأُخته زينب: «يا أُختاه أوَ ليست هذه أُمّ القاسم؟».

قالت: بلى يا أخاه.

فقال: «يا بنيّ ارجع إلى أُمّك لتتسلّى بك».

قال: يا عمّ ستنظر أُمّي ما تقول.

فلمّا وصلت إلى الحسين سلّمت عليه والتفتت نحو القاسم، وقالت: يا قاسم إنّي حملتك في بطني تسعة أشهر، وساهرتك الليالي، والآن لم أكن أرضى منك إلّا أن تجتهد في نصرة عمّك الحسين.

قال: يا أُمّاه لأُنعمنّكِ عيناً، فهذي وصيّتك لي وعندي لكِ وصيّة.

فقالت: قل يا نور عيني.

قال: يا أُمّاه إذا تشربين بارد الماء فاذكري عطشي، وإذا رأيت عروساً قد زفّت إلى زوجها فاذكري أيّام تزويجي، وإذا رأيت شابّاً قد صارت أثواب عرسه أكفانه فاذكري شبابي. ويقال: إنّ القاسم لمّا استأذن عمّه بالبراز، بكيا حتّى غشي عليهما[1].

مصائب لا أُنادي الصبر فيها   وأدعو الإله ولا أُجيب

١. للمزيد راجع: الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٨؛ مقاتل الطالبيّين: ٥٨؛ مثير الأحزان: ٦٩؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٧ ـ ١٦٨؛ الدرّ النظيم: ٥٥٦؛ بحار الأنوار ٤٥: ٣٤ ـ ٣٥، تاريخ الحسين بن عليّ سيّدالشهداء عليه السلام، الباب ٣٧؛ وقعة الطفّ لأبي مخنف: ٢٤٣ ـ ٢٤٤. فيها لم تذكر الواقعة بالتفصيل الذي ذكره المؤلّف رحمه الله.

المجلس الرابع والثلاثون*

روى الواقدي: أنّ عبدالله بن جعفر فاخر يزيد بن معاوية [بين يدي معاوية] فقال له: بأيّ آبائك تفاخرني، أبحَرْبٍ الذي أجرناه، أم بأُميّةَ الذي مَلكناه، أم بعبد شمس الذي كفَلْناه؟

فقال معاوية: لحرب يقال هذا؟ ما كنت أحسب أنّ أحداً في عصر حَرْب يزعم أنّه أشرف من حَرْب.

فقال عبدالله: بل أشرف من حَرْب من كفأ عليه إناءه وجلّله بردائه.

فقال معاوية ليزيد: يا بنيّ إنّ عبدالله يفخر عليك بك؛ لأنّك منه وهو منك.

فاستحيا عبدالله وقال: يدان انتشطتا وأخوان اصطرعا.

فلمّا قام عبدالله قال معاوية ليزيد: يا بنيّ إيّاك ومفاخرة بني هاشم؛ فإنّهم لا يجهلون ما علموا، ولا يجد مبغضهم لهم سبّا.

أمّا قوله: «أبحَرْبٍ الذي أجرناه» فإنّ قريشاً كانت إذا سافرت فصارت على العَقَبة لم يتجاوزها أحد حتّى تمرّ قريش، فخرج حرب بن أُميّة ليلة، فلمّا صار على العقبة، لقيه رجل من بني حاجب بن زُرارة، فتنحنح حَرْب وقال: أنا ابن أُميّة،

---

* . هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لسيادة مولانا الحجّة السيّد عبد الحسين شرف الدين المعظّم دام ظلّه:...».

فتنحنح الرجل وقال: أنا ابن حاجب بن زرارة، ثمّ سبق فجاز العَقَبة، فغضب حَرْب وقال: لاها الله، لا تدخل بعدها مكّة وأنا حيّ، فمكث الرجل حيناً لا يدخل مكّة، وكان مَتْجَره بمكّة، فاستشار بمن يستجير، فأُشير عليه بـ[عبد المطّلب أو بـابنه] الزبير بن عبد المطّلب.

فدخل مكّة ليلاً وأناخ ناقته بباب الزبير عمّ النبيّ ﷺ، فرغت الناقة، فقام إليه الزبير فقال: أمستجير فتجار؟ فقال:

لاقـيتُ حـرباً بـالثنيّة مُـقبلاً ... والليل أبـلج[1] نـوره للسـاري

فعلى بصوتٍ واكتنى ليـروعني ... ودعـا بـدعوة مـعلنٍ وشـعارِ

فتركته خَـلْفي وجُـزْتُ أمـامه ... وكذاك كنتُ أكون في الأسفارِ

فـمضى يـهدّدني ويـمنع مكّـة ... إلّا أحـلّ بـها بـدار قـرارِ

فتركته كـالكلب يـنبح وحـده ... وأتـيتُ قَـرْم[2] مكـارم وفـخارِ

ليـثاً هِـزبَراً[3] يسـتجار بـقربه ... رَحْب المباءة[4] مكـرماً للـجارِ

وحلفت بالبيت العتيق وحـجبه ... وبـزمزم والحِـجر والأسـتارِ

إنّ الزُبَـير لمـانعي بـمهنّدٍ ... صـافي الحـديد صارمٍ بـتّارِ

فقال الزبير: اذهب فقد أجرتك، فلمّا أصبح نادى الزبير أخاه الغَيْداق فخرجا متقلّدين سيفيهما، وخرج الرجل معهما، فقالا له: امْشِ أمامنا لتَـرمُقك أبـصارنا، فجعل يشقّ مكّة حتّى دخل المسجد، فلمّا بصر به حرب قال: وإنّك لها هنا ولطمه، فصاح الزبير وقال: أتلطمه وقد أجرته؟! ثمّ انتضى الزبير سيفه وحمل على حرب

---

١. بلج الصبح ...: أسفر وأضاء. لسان العرب ٢: ٢١٥، «ب. ل. ج».

٢. القرم من الرجال: السيّد المعظّم. لسان العرب ١٢: ٤٧٣، «ق. ر. م».

٣. الهزبر: من أسماء الأسد. لسان العرب ٥: ٢٦٣، «هـ. ز. ب. ر».

٤. المباءة: ... أي نزلت من الكرم في صميم النسب. لسان العرب ١: ٣٩، «ب. و. أ».

ففرّ من يديه، وسعى الزبير خلفه فلم يرجع عنه حتّى هجم حرب على عبد المطّلب داره، فقال: ما شأنك؟ فقال: ابنك الزبير يريد قتلي، قال: اجلس، وكفأ عليه إناء كان هاشم يهشم فيه الثَّريد، واجتمع الناس وانضمّ بنو عبد المطّلب إلى الزبير ووقفوا على باب أبيهم وبأيديهم سيوفهم، فأزّر عبد المطّلب حرباً بإزار كان له، [وردّاه برداء له] طرفان وأخرجه إليهم، فعلموا أنّ أباهم قد أجاره فتركوه.

وأمّا معنى قوله: «أم بأُميّة الذي ملكناه» فإنّ عبد المطّلب راهَن أُميّة على فرسخين، وجعل الخطر[1] لمن سبقت فرسه مائةً من الإبل، وعشرة أعبُد، وعشر إماء، واستعباد سنة، وجزّ الناصية. فسبق فرس عبد المطّلب فأخذ الخطر فقسّمه في قريش، وأراد جزّ ناصية أُميّة، فقال: أفتدي باستعباد عشر سنين، فكان أُميّة يعدّ في مماليك عبد المطّلب.

وأمّا قوله: «بعبد شمس الذي كَفلْناه» فإنّ عبد شمس كان مُمْلقاً وكان أخوه هاشم يكفله إلى أن مات هاشم[2].

أقول: ولم يزل لبني هاشم الفضل على بني أُميّة في الجاهليّة، وكفاك من فضلهم في الإسلام أنّ رسول الله ﷺ بعد أن قاتله بنو أُميّة في بدرٍ وأُحد والأحزاب، وبذلوا جهدهم في إطفاء نوره قبل الهجرة وبعدها، وقتلوا ابن عمّه عبيدة وعمّه حمزة وأكلوا كبده ومثّلوا به، ثمّ لمّا أظفره الله بهم يوم الفتح نادى مناديه: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[3].

١. الخَطَر: الذي يوضع في النضال والرهان. لسان العرب ٤: ٢٥١، «خ. ط. ر».

٢. حكاه عن ابن عساكر عن الشعبي في تاريخ مدينة دمشق ٢٧: ٢٦٥ ـ ٢٦٧، الرقم ٣٢٢٢، والواقدي ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٥: ٢٢٩ ـ ٢٣١.

٣. تهذيب الأحكام ٦: ١٣٧، ح ٢٣٠؛ مناقب آل أبي طالب ١: ٢٦٠؛ بحار الأنوار ٩٨: ١٧، كتاب الجهاد والمرابطة، الباب ٢، ح ١.

فكان جزاء رسول الله ﷺ من آل أبي سفيان أنّهم لمّا ظفروا بعترته فعلوا بهم ما يقرح القلوب، ونادى مناديهم: أحرقوا بيوت الظالمين، فأخرجوا نساءه من الخيم ينادين بالويل والثبور: وا جدّاه، وا رسول الله، ثمّ أضرموا النار فيها. وحملوا آل رسول الله ﷺ وودائع النبوّة على أقتاب الجمال، وساقوهنّ كما يساق سبي الديلم[١].

واقتسمت القبائل رؤوس الشهداء ـ وكانت ثمانية وسبعين رأساً[٢] ـ لتتقرّب إلى بني أُميّة، فجاءت هوازن باثني عشر رأساً، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستّة عشر رأساً[٣]. وتركوا أجسادهم بالعراء لوحوش الأرض وطير السماء، تصهرهم الشمس مرمّلين بالدماء، تسفي عليهم ريح الصبا وأعضاؤهم مرضرضة من حوافر خيل الأعداء، وبالعزيز عليك يا رسول الله أن ترى حبيبك وريحانتك مفصوم[٤] العرى.

بأبي من أوجب الله على الناس ولاه   بأبي من لم يدع من فلك إلّا سماه
بأبي أفدي قتيلاً رضّت الخيل قراه   عقرت ما وطئت إلّا لقرآن مجيده

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠ ـ ١٨١؛ بحار الأنوار ٤٥: ٥٨ ـ ٦١، تاريخ الحسين بن علي سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

٢. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٣؛ الدرّ النظيم: ٥٥٩، وفيهما: «كانت اثنين وسبعين رأساً».

٣. راجع: الملهوف على قتلى الطفوف: ١٩٠.

٤. الفصم: الكسر من غير بينونة. لسان العرب ١٢: ٤٥٣، «ف. ص. م».

المجلس الخامس والثلاثون*

روى الزمخشري بإسناده، قال: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة مهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمّة مِن ولدها اُمناء ربّي، وحبلٌ ممدود بينه وبين خلقه، مَن اعتصم بهم نجا، ومن تخلّف عنهم هلك»[1].

وروى الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[2] بأسانيدَ متعدّدةٍ عن رسول الله ﷺ قال: «يا أيّها الناس، تركت فيكم الثقلين خليفتين إن أخَذتم بهما لن تضلّوا بعدي: كتاب الله حبلٌ ممدود ما بين السماء والأرض؛ وعترتي أهل بيتي، [ألا] وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوضَ»[3].

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لسيادة مولانا الحجّة السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه. قال أيّده الله: ...».

١. مائة منقبة من مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام: ٧٦ ـ ٧٧، المنقبة ٤٤؛ مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٩٩، الفصل ٥، ح ٢١؛ نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٢٧، ح ٢٥؛ فرائد السمطين ٢: ٦٦، ح ٣٩٠.

٢. آل عمران (٣): ١٠٣.

٣. حكاه عنه ابن طاوس في الطرائف ١: ١٢١ ـ ١٢٢، ح ١٨٥، والقندوزي في ينابيع المودّة ٢: ٢٥٣، الباب ٥٦، ح ٧١١.

وفي الجمع بين الصحيحين[١] ما يقرب من هذا.

وفي الجمع بين الصحاح الستّة قال رسول الله ﷺ: «رحم الله عليّاً، اللهمّ أدرِ الحقّ معه حيثُ دار»[٢].

وقال ﷺ لعمّار: «سيكون في أُمّتي بعدي هنات[٣] واختلاف، حتّى يختلف السيف بينهم، وحتّى يقتل بعضهم بعضاً، ويتبرّأ بعضهم من بعض.

يا عمّار، تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحقّ والحقّ معك، إنّ عليّاً لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى.

يا عمّار، من تقلّد سيفاً أعان به عليّاً على عدوّه، قلّده الله وشاحَيْن من درّ، ومن تقلّد سيفاً أعان عدوّه، قلّده الله يوم القيامة وشاحَيْن من نار، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الذي عن يميني، وإن سلك الناس كلّهم وادياً، فاسلك وادياً سلكه عليّ، وخلّ الناس طرّاً.

يا عمّار، إنّ طاعة عليّ طاعتي، وطاعتي من طاعة الله»[٤].

وروى أحمد بن موسى بن مردويه من عدّة طرقٍ عن أُمّ المؤمنين عائشة أنّ رسول الله ﷺ قال: «الحقّ مع عليّ، وعليّ مع الحقّ، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[٥].

---

١. الجمع بين الصحيحين للإشبيلي ٣: ٥٥٠ ـ ٥٥١، ح ٤٢٤٧. روي أيضاً ـ بتفاوت في بعض الألفاظ ـ في مسند أحمد ٤: ٣٠، ح ١١١٠٤؛ الجامع الصحيح ٥: ٦٦٣، ح ٣٧٨٨؛ المعجم الكبير ٥: ١٥٣ ـ ١٥٤، ح ٤٩٢١ ـ ٤٩٢٣؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٥٦، ح ١٤٩٥٧.

٢. حكاه عنه ابن طاوس في الطرائف: ١٠٢، ح ١٤٩. ورواه الترمذي أيضاً في الجامع الصحيح ٥: ٦٣٣، ح ٣٧١٤، وابن مردويه في مناقبه: ١١٤، ح ١٣٥.

٣. هَنَاتٌ أي شدائدُ وأُمور عظام. لسان العرب ١٥: ٣٦٧، «هـ. ن. أ».

٤. تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٧٢ ـ ٤٧٣، الرقم ٤٩٣٣؛ الطرائف ١: ١٠١ ـ ١٠٢، ح ١٤٨؛ كشف اليقين في فضائل أميرالمؤمنين: ٢٣٤؛ البداية والنهاية ٧: ٣٤٠، حوادث سنة ٦٩.

٥. مناقب عليّ بن أبي طالب لابن مردويه: ١١٥ ـ ١١٦، ح ١٤٠.

وفي مسند أحمد بن حنبل من عدّة طرق، وفي الجمع بين الصحاح الستّة عن أمّ سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي فأتت فاطمة، فقال: «ادعي زوجك وابنيك» وكان تحت كساء خيبري، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] فأخذ فضل الكساء وكساهم به، ثمّ أخرج يده فألوى بها إلى السماء وقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، اللهمّ أذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً»[2].

صلّى الله عليك يا رسول الله، وعلى أهل بيتك الطاهرين المظلومين، أحيى الله لك العزاء بآلك الأصفياء.

أمّا النبيّ فقد قضى وبُلبه	من فعلهم قبسات وجدٍ مكمنِ
والمرتضى أردوه في محرابه	بيمين أشقى العالمين وألعنِ
والبضعة الزهراء ماتت بعدما	ألقت بضرب سياطهم للمحسنِ
وبشربة السمّ النقيع عداوة	من كفّ جعدة قد قضى الحسنِ
وإليك عنّي لا تقل حدّث بما	لاقى الحسين فرزئة قد شفّني
حيث المصائب جمّة لا أدري	ما منها أقصّ عليك إذ كلّفتني

نعم، أقصّ عليك مصيبته بأطفاله:

فعن أبي الفرج الإصفهاني:

إنّه كان في مخيّم الحسين ستّ أطفال وقفوا ـ وقد أضرّ بهم العطش ـ في باب الخيمة فأتلعوا برقابهم[3] ينظرون إلى الفرات كأنّه بطون الحيتان، فجاءتهم السهام

---

١. الأحزاب (٣٣): ٣٣.

٢. رواه ابن طاوس في الطرائف ١: ١٠٢ ـ ١٠٣، ح ١٥٠، والعلّامة في نهج الحقّ وكشف الصدق: ٢٢٥، ح ٢٤، والبياضي عن أحمد البياضي في الصراط المستقيم ١: ٢٧٤، الباب ٨. ورواه الحسكاني أيضاً في شواهد التنزيل ٢: ٨٣ ـ ٨٤، ح ٧٥٨ و ٧٥٩.

٣. أتلعوا أعناقهم... أي رَفعوها. لسان العرب ٨: ٣٦.

فذبحتهم عن آخرهم، وكان الحسين قد تناول الرضيع ليودّعه، فلمّا أومأ إليه ليقبّله، رماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه، فتلقّى الحسين عليه السلام دمه بكفّيه، فلمّا امتلأتا رمى بالدم نحو السماء، فلم يسقط منه قطرة إلى الأرض، ثمّ قال: «هوّن عليّ ما نزل بك بعين الله»[١].

وقيل: إنّ الطفل كان مغمى عليه من شدّة العطش، فلمّا أحسّ بحرارة السهم، أخرج يديه من القماط واحتضن أباه[٢].

ولمّا سقط الحسين عن ظهر جواده، خرج عبدالله بن الحسن ـ وهو غلام لم يراهق ـ واشتدّ حتّى وقف إلى جانب عمّه، فلحقته عمّته لتحبسه، فأبى وامتنع شديداً وقال: والله لا أُفارق عمّي الحسين، فأهوى بحر بن كعب لعنه الله ـ وقيل: اللعين حرملة بن كاهل[٣] ـ إلى الحسين بالسيف، فقال له: ويلك يا ابن الخبيثة، أتقتل عمّي الحسين؟ فضربه بالسيف فاتّقاها الطفل بيده فأطنّها إلى الجلد فإذا هي معلّقة، فنادى الغلام: يا عمّاه ـ وقيل: يا أُمّاه[٤] ـ فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه إليه وقال: «يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير؛ فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين»[٥]. فرماه حرملة ـ لعنه الله ـ بسهمٍ فذبحه وهو في حجر عمّه.

هبوا أنّكم قاتلتموا فقتلتم فما بال أطفال تقاسي نبالها

---

١. انظر مقاتل الطالبيّين: ٥٩ ـ ٦٠.

٢. لم نعثر على قائله.

٣. ممّن قال به أبوالفرج الإصفهاني في مقاتل الطالبيّين: ٥٨، والمفيد في الإرشاد ٢: ١١٠.

٤. قال به المفيد في الإرشاد ٢: ١١٠، وابن حاتم الشامي في الدرّ النظيم: ٥٥٧، وأبومخنف في وقعة الطفّ: ٢٥٤.

٥. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٠؛ إعلام الورى ١: ٤٦٨؛ مثير الأحزان: ٧٣ ـ ٧٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٣.

المجلس السادس والثلاثون

ذكر الزبير بن بكّار عن محمّد بن الحسن المخزومي، عن عبد الرحمن بن عبدالله، عن أبيه، عن أبي وَجزَة قال:

لمّا حضرت الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلميّة حرب القادسيّة، ومعها بنوها أربعة رجال، فقالت لهم من الليل:

يا بنيّ، إنّكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين. ووالله الذي لا إله إلّا هو إنّكم لبنو رجل واحد، كما إنّكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجّنت حسبكم، ولا غيّرت نسبكم. وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أنّ الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]. فإذا أصبحتم غداً سالمين إن شاء الله تعالى فاغدوا إلى قتال عدوّكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها، وأضرمت لظى عن سياقها، وجلّلت على أرواقها، فتيمّموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة.

---

١. آل عمران (٣): ٢٠٠.

فخرج بنوها قابلين لنصحها، عازمين على قولها، فلمّا أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وأنشأ أوّلهم يقول:

يا إخوتي إنّ العجوز الناصحة قد نصحتنا إذ رعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة فباكروا الحرب الضروس الكالحة
وإنّما تلقون عند الصائحة من آل ساسان الكلاب النائحة
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة وأنتم بين حياة صالحة
أو ميتةٍ تورث غنماً رابحة

وتقدّم فقاتل حتّى قتل رحمه الله تعالى.

ثمّ برز الثاني وهو يقول:

إنّ العجوز ذات حَزمٍ وجَلَدْ والنظر الأوفق والرأي السددْ
قد أمرتنا بالسداد والرَشدْ نصيحةً منها وبرّاً بالولدْ
فباكروا الحرب حُماةً في العددْ إمّا لفوزٍ باردٍ على الكبدْ
أو ميتةٍ تورثكم عزّ الأبدْ في جنّة الفردوس والعيش الرغدْ

فقاتل حتّى قتل رحمه الله تعالى.

ثمّ حمل الثالث وهو يقول:

والله لا نعصي العجوز حرفا قد أمرتنا حزناً وعطفا
نُصحاً وبرّاً صادقاً ولُطفا فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتّى تلاقوا آل كسرى لفّا أو يكشفوكم عن حماكم كشفا
إنّا نرى التقصير منكم ضعفا والقتل فيكم نجدةً وزلفى

فقاتل حتّى قُتل رحمه الله تعالى.

ثمّ برز الرابع وهو يقول:

لست للخنسا ولا للأخرمِ ولا لعمرو ذي السناء الأقدمِ

إن لم أُرد في الجيش جيش الأعجمِ ماضٍ على الحول خضمّ خضرمِ
إمّا لفوز عاجل أو مغنمِ أو لوفاة في السبيل الأكرمِ

ثمّ قاتل حتّى قتل رحمه الله تعالى.

فبلغها الخبر فقالت: الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم، وأرجو من ربّي أن يجمعني بهم في مستقرّ رحمته[1].

ذكرت من حال هذه المرأة الصالحة حال أُمّ وهب بن حباب الكلبي يوم عاشوراء حين برز إلى ثلاثين ألفاً فأحسن في الجلاد، وبالغ في الجهاد، وكانت معه امرأته ووالدته فرجع إليهما وقال: يا أُمّاه أرضيتِ أم لا؟ فقالت: يا بنيّ، ما رضيت حتّى تقتل بين يدي الحسين عليه السلام.

وقالت امرأته: بالله عليك لا تفجعني بنفسك.

فقالت له أُمّه: يا بنيّ، أُغرب عن قولها وارجع، فقاتل بين يدي ابن بنت نبيّك تنل شفاعة جدّه يوم القيامة.

فرجع ولم يزل يقاتل حتّى قطعت يداه في سبيل الله تعالى، فأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: قاتل فداك أبي وأُمّي يا وهب دون الطيّبين من حرم رسول الله ﷺ.

فقال لها: كيف كنتِ تنهينني عن القتال، والآن تأمرينني به؟

قالت: لا تلمني يا وهب، فإنّي سمعت من سيّدي ومولاي الحسين كلمة كسرت قلبي، سمعته يقول:

«أما من ناصر فينصرنا؟ أما من موحّد يخاف الله فينا؟ أما من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله؟».

---

١. راجع: الاستيعاب ٤: ١٨٢٧ ـ ١٨٢٩، الرقم ٣٣١٤؛ أُسد الغابة ٧: ٩٩ ـ ١٠٠، الرقم ٦٨٧٦؛ الإصابة ٨: ١١١، الرقم ١١١١٢.

فأقبل كي يردّها إلى النساء، فأخذت بجانب ثوبه وقالت: لن أعود حتّى أموت معك.

فقال الحسين عليه السلام: «جُزيتم عن أهل بيتي خيراً، ارجعي إلى النساء رحمك الله» فانصرفت إليهنّ[١].

ولم يزل يقاتل حتّى قتل رحمه الله تعالى.

رجال تواصوا حيث طابت أُصولهم وأنفسهم بالصبر حتّى قضوا صبرا
حماة حموا خدراً أبى الله هتكه فعظّمه شأناً وشرّفه قدرا

١. راجع: الفتوح لابن أعثم ٥: ١٨٩ ـ ١٩١؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٥ ـ ١٦، مثير الأحزان: ٧١ ـ ٧٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦١.

الفصل الثالث

في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه وإرشاداته

المجلس السابع والثلاثون*

كان أميرالمؤمنين عليه السلام أوّل من آمن بالله ورسوله، وأوّل ذَكرٍ دعاه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الإسلام فأجاب، ولم يزل ينصر الدين، ويجاهد المشركين، ويذبّ عن الإيمان، ويقتل أهل الزيغ والطغيان، وينشر معالم السنّة والقرآن، ويحكم بالعدل، ويأمر بالإحسان سواه.

وكان مقامه مع الرسول صلى الله عليه وآله بعد البعثة ثلاثاً وعشرين سنة، منها ثلاث عشرة سنة بمكّة قبل الهجرة مشاركاً له أيّام حصارهم له في الشعب، وقبلها وبعدها متحمّلاً أكثر عنه أثقاله.

ولبث بعد الهجرة في خدمته عشر سنين بالمدينة، يكافح عنه المشركين، ويجاهد دونه الكافرين، ويقيه بنفسه من أعدائه في الدين إلى أن اختار الله لنبيّه صلى الله عليه وآله دار كرامته، ورفعه في علّيّين[1].

فمضى صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين يومئذٍ ثلاثون سنة، وكان قدعهد إليه بالإمامة، ونصّ على أنّه خليفته من بعده[2].

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لسيادة مولانا الحجّة السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه: ...».

١. للمزيد راجع: الإرشاد للمفيد ١: ٦؛ روضة الواعظين ١: ٣١٧ـ٣١٨، ح ٣٢٨.

٢. للمزيد راجع الموسوعة ج ١، المراجعات، المراجعة ٢٠.

فكانت مدّة إمامته بعد النبيّ ﷺ ثلاثين سنة، منها أربع وعشرون سنة وستّة أشهر ممنوعاً فيها من التصرّف في أُمور المسلمين، ومنها خمس سنين وستّة أشهر مُمْتَحناً بجهاده الناكثين والقاسطين والمارقين، ومضطَهداً بفتنِ الضالّين[١].

كما كان رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة من نبوّته خائفاً مترقّباً محبوساً تارةً، ومطروداً مرّة، وهارباً أُخرى، لا يتمكّن من جهاد، ولا يقدر على دفاع، ثمّ هاجر ﷺ فأقام بعد الهجرة عشر سنين مجاهداً للمشركين، وممتحناً بالمنافقين، فما أشبه حال الوصيّ بحال النبيّ صلوات الله عليهما وآلهما، وما أجلّ رزاياهما، وأعظم غنائمهما[٢].

وكانت وفاة أميرالمؤمنين سنة أربعين، ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان، شهيداً قتيلاً بسيف أشقاها[٣].

وكان ابن ملجم ـ لعنه الله ـ بايعه فيمن بايعه ثمّ أدبر عنه، فدعاه فتوثّق منه وتأكّد عليه أن لا يغدر ولا ينكث، ففعل ثمّ أدبر، فدعاه الثانية فتوثّق منه وتأكّد عليه أن لا يغدر ولا ينكث، ففعل، ثمّ أدبر، فدعاه فأخذ عليه العهد والميثاق المؤكّد بأن لا يغدر ولا ينكث. فقال ابن ملجم ـ لعنه الله ـ: والله يا أميرالمؤمنين ما رأيتك فعلت هذا بأحدٍ غيري، فقال عليه السلام:

«أُريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي

---

١. راجع الإرشاد للمفيد ١: ٩.

٢. للمزيد راجع: الإرشاد للمفيد ١: ٦؛ روضة الواعظين ١: ٣١٧ـ٣١٨، ح ٣٢٨.

٣. الطبقات الكبرى ٣: ٣٧؛ مقاتل الطالبيّين: ٢٥؛ المعجم الكبير ١: ١٠٥، ح ١٧٢؛ الاستيعاب ٣: ١١٢٧، الرقم ١٨٥٣؛ الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٧، حوادث سنة ٤٠؛ أُسد الغابة ٤: ١٣٠، الرقم ٣٧٨٣؛ روضة الواعظين ١: ٣٠٣، ح ٣١٣.

امضِ يابن ملجم فوالله ما أرى أن تفي بما قلت»[١].

وجاءه مرّة فقال: يا أميرالمؤمنين احملني، فنظر إليه ثمّ قال: «نعم أحملك يا غزوان احمله على الأشقر» فجاء بفرس أشقر فركبه، فلمّا ولّى قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي»[٢]

قال المعلّى بن زياد: فلمّا كان من أمره ما كان وضرب أميرالمؤمنين عليه السلام قبض عليه فجيء به إليه، قال له: «والله لقد كنت أصنع بك ما أصنع من المعروف، وأنا أعلم أنّك قاتلي، ولكن كنت أفعل ذلك لأستظهر بالله عليك»[٣].

وكان عليه السلام يقول على المنبر ـ حين يسأم من أصحابه ـ: «ما يمنع أشقاها أن يخضّبها من فوقها بدم» ويضع يده على لحيته[٤].

وعن الأصبغ بن نباتة رضي الله عنه قال: خطبنا أميرالمؤمنين عليه السلام في الشهر الذي قتل فيه فقال: «أتاكم شهر رمضان، و[هو] سيّد الشهور، وأوّل السنة، وفيه تدور رحى السلطان، ألا وإنّكم حاجّوا العام صفّاً واحداً، وآية ذلك أنّي لست فيكم».

قال: فهو ينعى نفسه ونحن لا ندري[٥].

وكان يتعشّى في ذلك الشهر ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند

---

١. مقاتل الطالبيّين: ١٨؛ الإرشاد للمفيد ١: ١٢؛ روضة الواعظين ١: ٣٠٣، ح ٣١٣؛ بحار الأنوار ٤٢: ١٩٢ ـ ١٩٣، تاريخ أميرالمؤمنين عليه السلام، الباب ١٢٦، ح ٧.

٢. الإرشاد للمفيد ١: ١٢ ـ ١٣؛ بحار الأنوار ٤٢: ٣٠٨، تاريخ أميرالمؤمنين عليه السلام، الباب ١٢٨، ح ٨، فيهما «جباءه» بدل «حياته».

٣. الإرشاد للمفيد ١: ١٣.

٤. الإرشاد للمفيد ١: ١٣؛ الاستيعاب ٣: ١١٢٦، الرقم ١٨٥٣؛ روضة الواعظين ١: ٣٠٩ ـ ٣١٠، ح ٣١٧؛ إعلام الورى ١: ٣١٠.

٥. الإرشاد للمفيد ١: ٣٢٠؛ إعلام الورى ١: ٣١٠؛ روضة الواعظين ١: ٣٠٩ ـ ٣١٠، ح ٣٠٧.

ابن عبّاس[١]، وكان لا يزيد على ثلاث لُقَم، فقيل له في ذلك: «فقال يأتيني أمر الله وأنا خميص، إنّما هي ليلة أو ليلتان»[٢].

وعن أُمّ موسى خادمتهم قالت: سمعت عليّاً عليه السلام يقول لابنته أُمّ كلثوم: «يا بنيّة، إنّي أراني قلّ ما أصحَبُكم».

قالت: وكيف ذلك يا أبتاه؟ قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وهو يمسح الغبار عن وجهي ويقول: يا عليّ، لا عليك قد قضيتَ ما عليك».

قالت: فما مكث إلّا ثلاثاً حتّى ضُرب تلك الضربة. فصاحت أُمّ كلثوم، فقال: «يا بنيّة لا تفعلي، فإنّي أرى رسول الله يشير إليّ بكفّه ويقول: هلمَّ إلينا، فإنّ ما عندنا هو خير لك»[٣].

وعن أبي صالح الحنفي قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: «رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله في منامي فشكوت إليه ما لقيت من أُمّته من الأوَد[٤] واللَّدد[٥] [حتّى بكيت]، فقال: لا تبكِ والتفت، فالتفتُّ فإذا رجلان مُصفَّدان، وإذا جلاميد تُرضَخ بها رؤوسهما».

قال أبو صالح: فغدوتُ إليه كما كنت أغدو إليه كلّ يوم، حتّى إذا كنت أغدو لقيت الناس يقولون: قتل أمير المؤمنين[٦].

---

١. كذا في المصادر، ولكن في الإرشاد للمفيد ١: ١٤، والخرائج والجرائح ١: ٢٠١، ح ٤١ بدل عبدالله بن عبّاس «عبدالله بن جعفر». وابن طاووس في إعلام الورى ١: ٣٩ بعدما ذكر عبدالله بن عبّاس قال: «والأصحّ عندي عبدالله بن جعفر». للمزيد راجع أيضاً الصواعق المحرقة: ١٣٤، الباب ٩، الفصل ٥.

٢. الإرشاد للمفيد ١: ١٤ و ٣٢٠؛ روضة الواعظين ١: ٣١٠، ح ٣١٨؛ إعلام الورى ١: ٣٩.

٣. الإرشاد للمفيد ١: ١٤ ـ ١٥؛ المناقب للخوارزمي: ٣٨٧، ح ٤٠٢؛ مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٥٦.

٤. الأوَد: الدواهي العظام. لسان العرب ٣: ٧١، «أ. و. د».

٥. اللّدَد: الخصومة الشديدة. لسان العرب ٣: ٣٩١، «ل. د. د».

٦. الإرشاد للمفيد ١: ١٥ ـ ١٦؛ مسند أبي يعلى ١: ٣٩٨، ح ٥٢٠؛ شرح نهج البلاغة ٤: ١٠٨ ـ ١٠٩؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ١٩٠، ح ١٤٧٨٨.

وروي: أنّه أقام تلك الليلة التي ضرب في صبيحتها ساهراً بالعبادة، فقالت له أُمّ كلثوم: ما هذا الذي أسهرك يا أبتاه؟ فقال: «إنّي مقتول لو قد أصبحت».

وأتاه ابن النبّاح فآذنه بالصلاة، فمشى غير بعيد ثمّ رجع، فقالت له أُمّ كلثوم: لو أمرتَ جَعْدَةَ أن يصلّي بالناس، قال: «نعم مُرُوا جَعْدَةَ ليصلّيَ» ثمّ قال: «لا مفرّ من الأجل» فخرج عليه‌السلام إلى المسجد وكان ـ بأبي هو وأُمّي ـ أكثر من الخروج تلك الليلة ومن النظر إلى السماء، وهو يقول: «والله ما كذِبْتُ ولا كُذِّبْتُ، وإنّها الليلة التي وعدتُ فيها»[1].

ولمّا خرج إلى المسجد، شدّ إزره وهو يقول:

اشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت وإن حلّ بناديكا[2]

كما أضحكك الدهر كذاك الدهر يبكيكا

فلمّا صار في صحن الدار استقبله الإوَزّ فصِحْنَ في وجهه، فقال: «دعوهنّ فإنّهنّ نوائح»[3].

وعن حبيب بن عمرو مرسلاً قال: دخلت على أميرالمؤمنين عليه‌السلام بعد أن عمّمه ابن ملجم ـ لعنه الله ـ بالسيف وعنده الوجوه من أشراف القبائل وشرطة الخميس، وقد نزف دمه، وأصفر وجهه، وهو يحلّ عصابة صفراء قد عصب بها رأسه، وما من أحد من الأشراف إلّا وماء عينيه يترقرق فوق سوادها؛ حزناً على أميرالمؤمنين،

---

١. الإرشاد للمفيد ١: ١٦؛ روضة الواعظين ١: ٣١١، ح ٣٢٠.

٢. الطبقات الكبرى ٣: ٣٣؛ مقاتل الطالبيّين: ١٨؛ المناقب للخوارزمي: ٣٩٣، ح ٤١٢؛ أُسد الغابة ٤: ١٢٧، الرقم ٣٧٨٣؛ الدرّ النظيم: ٤١٣.

٣. الإرشاد للمفيد ١: ١٦ ـ ١٧، و٣٢١؛ روضة الواعظين ١: ٣١١ ـ ٣١٢، ح ٣٢١؛ المناقب للخوارزمي: ٣٩٣، ح ٤١٢.

ونظرت إلى أولاده ومعهم من الهاشميّين يتململون تململ السليم، وقد أحدقوا بأميرالمؤمنين عليه السلام فما تنفّس منهم أحد إلّا وظننت شظايا قلبه تخرج من نفسه من الوجد والوله، والكلّ ساكت؛ رأفةً بأمير المؤمنين وهيبةً منه.

وقد أحضروا أثير بن عمرو الجرّاح فنظر إلى جرحه، فقال الناس: يا أثير كيف جرحُ أميرالمؤمنين؟ فخرس وتلجلج عن جوابهم فكأنّهم يئسوا منه، فاختنقوا بالبكاء ولم يرفعوا أصواتهم؛ مخافة أن تهيج النساء، ويضطرب أميرالمؤمنين لهيجانهم، فنشجوا نشيجاً خفيفاً، ووضعوا رؤوسهم بين ركبهم إلّا الأصبغ بن نباتة ـ عليه رحمته ـ فإنّه لم يملك نفسه أن شرق بعبرته وبكائه عالياً، ففتح أميرالمؤمنين عينيه وكان مغشيّاً عليه، فقال: «لا تبكِ يا أصبغ؛ فإنّها والله الجنّة». فقال: والله يا أميرالمؤمنين أنا أعلم أنّك تصير إلى الجنّة وإنّما أبكي لفقدك يا أميرالمؤمنين.

قال حبيب: فما أحببت أن يقول الأصبغ هذا الكلام في وجه أميرالمؤمنين، فأردت رفع ما وقع من الرقّة من كلام الأصبغ؛ فدنوت منه وقلت: لا بأس عليك يا أميرالمؤمنين من هذا فإنّه غير ضائر، وما هو بأعظم من ضربة عمرو بن عبد ودّ، فلا يهولك ما ترى؛ فإنّ البرد لا يزلزل الجبل الأصمّ، ولفحة الهجير لا تجفّف البحر الخطم[1]، والليث يضري إذا خدش، والصلّ[2] يقوى إذا ارتعش.

قال: فنظر إليه أميرالمؤمنين عليه السلام نظرة رأفة ورحمة وقال: «هيهات هيهات يابن عمرو، نفذ القضاء، وأُبرم القدر المحتوم، وجرى القلم بما فيه، وإنّي مفارقك الليلة».

---

١. الخَطْمُ والخطمة: أنف الجبل. لسان العرب ١٢: ١٤٠، «خ. ط. م».

٢. الصلّ: الحيّة التي تقتلُ إذا نَهَشَتْ من ساعتها. لسان العرب ١١: ٣٨٤، «ص. ل. ل».

وكانت أُمّ كلثوم واقفة خلف الستر، تسمع كلام أبيها، فاختنقت بعبرتها، فرقّ لها أميرالمؤمنين، وقال لها بضعف وانكسار: «ما يبكيك يا بنيّة؟».

فقالت: يا أبتاه أنت قمر الهاشميّين وشمس الطالبيين، عَضبُها[1] اليمانيُّ إذا كهمت[2] الوغى سيوفها، ونجمها الشعشعاني إذا أسدلت الظلماء سجونها، عزّنا إذا شاهت الوجوه ذلاًّ، وجمعنا إذا الموكب الكثير قلا، فكيف لا أبكي وأنت على هذه الحال؟

فقال: «يا بنيّة لو رأيت الذي رأيتُ ما جزعت، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في كتيبة من الأنبياء، ورعيل من الملائكة، لكأنّي أنظر إليهم على نجيب من نُجُب الجنّة وبأيديهم ألوية التسبيح والتقديس، ليزفّوا روح أبيك إلى الجنّة».

فعند ذلك يئست أُمّ كلثوم من أبيها سيّد الأوصياء، كما يئست زينب يوم الطفّ من أخيها سيّد الشهداء حين سمعته يقول:

يا دهر أُفٍّ لك من خليلِ كم لك بالإشراقِ والأصيلِ
من طالبٍ وصاحبٍ قتيل والدهر لا يقنع بالبديلِ
وكلّ حيّ سالك سبيل ما أقرب الوعد من الرحيلِ
إنّما الأمر إلى الجليلِ[3]

فلم تملك نفسها أن وثبت، تجرّ ثوبها حتّى انتهت إليه، وقالت: وا ثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أُمّي فاطمة، وأبي عليّ، وأخي الحسن، يا خليفة الماضين وثمال الباقين.

---

١. العَضْبُ: السيف القاطع. لسان العرب ١: ٦٠٩، «ع. ض. ب».
٢. كَهُمَ الرجل...: بَطُؤ عن النصرة والحرب. لسان العرب ١٢: ٥٢٩، «ك. م. م».
٣. الإرشاد للمفيد ٢: ٩٣؛ إعلام الورى ١: ٤٥٦ بتفاوت يسير؛ مثير الأحزان: ٤٩؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٤٠.

فنظر إليها الحسين وقد تَرَقْرَقَت عيناه بالدموع وقال: «يا أُختاه لا يذهبنّ حلمكِ الشيطان». وقال: «لو تُرك القَطا لَنام».

فقالت: يا ويلتاه أفتُغتصب نفسك اغتصاباً؟! فذلك أقرحُ لقلبي، وخرّت مغشيّاً عليها، فقام الحسين فصبّ على وجهها الماء[1].

نادت فقطّعت القلوب بشجوها لكـن مـا انـتظم البـيان فـريدا

إنسان عيني يـا حسـين أخـي يا أملي وعقد جماني المنضودا

١. تاريخ الطبري ٥: ٤٢٠، حوادث سنة ٦١؛ الإرشاد للمفيد ٢: ٩٣ ـ ٩٤؛ مقاتل الطالبيّين: ٧٥؛ مقتل الحسين للخوارزمي: ٣٣٨ ـ ٣٣٩، الفصل ١١؛ وقعة الطفّ لأبي مخنف: ٢٠٠ ـ ٢٠١.

المجلس الثامن والثلاثون*

روى قيس بن الربيع قال: حدّثنا أبوهارون العبدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت: يا أباعبدالله، إنّا لنتحدّث عن عليّ عليه السلام ومناقبه، فيقول لنا أهل البصرة: لا تفرطون في عليّ، فهل تحدّثني عنه بحديث؟

فقال حذيفة: يا ربيعة، وما تسألني عن عليّ، فوالذي نفسي بيده لو وُضع أعمال أصحاب محمّد في كفّة الميزان منذ بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله إلى يوم الناس، ووُضع عمل عليّ في الكفّة الأُخرى، لرَجح عمل عليّ على جميع أعمالهم.

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يُقعد.

فقال حذيفة: يا لكع، أين كان أبوبكر وعمر وحذيفة وجميع أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله يوم عمرو بن عبد ودّ وقد دعى إلى المبارزة، فأحجم الناس كلّهم ما خلا عليّ عليه السلام، فإنّه برز إليه وقتله الله على يديه؟ والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليومَ أعظم أجراً من عمل أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة[1].

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لمولانا الحجّة المعتمد سيادة السيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي دام ظلّه. قال أيّده الله:».

١. الإرشاد للمفيد ١: ١٠٣؛ إعلام الورى ١: ٣٧٩ ـ ٣٨٠؛ شرح نهج البلاغة ١٩: ٦٠ ـ ٦١؛ كشف اليقين في فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام: ١٣٤ ـ ١٣٥.

وفيه أنزل الله تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْـزَالاً شَدِيداً * وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلّا غُرُوراً﴾ إلى قوله: ﴿وَكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾[1].

وقد توجّه العتب عليهم والتوبيخ والتقريع والخطاب ولم ينج من ذلك أحد بالاتّفاق إلّا أميرالمؤمنين؛ إذ كان الفتح له وعلى يديه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وكان قتله عمراً ـ سيّدَ بني عامر ـ سببَ هزيمة المشركين.

وقال رسول الله ﷺ يومئذٍ: «نغزوهم ولا يغزوننا»[2].

ولمّا انهزم الأحزاب وولّوا الدبر، وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ عليه السلام، عمد رسول الله ﷺ على قصد بني قُريظة، فانفكّ أميرالمؤمنين عليه السلام إليهم في ثلاثين من الخزرج، فقال له: «سِرْ على بركة الله تعالى» فسار حتّى ركز الراية في أصل الحصن.

قال عليّ عليه السلام: «لمّا دنوت من سورهم أشرفوا عليّ فرأوني، فصاح صائح منهم: جاءكم قاتل عمرو، وجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك، وألقى الله في قلوبهم الرعب.

ـ قال: ـ وسمعت راجزاً يرتجز ويقول:

قتل عليٌّ عَمرا صاد عليٌّ صَقْرا
قَصم عليٌّ ظهرا أبرم عليٌّ أمرا
هَتَك عليٌّ سِترا

فقلت: الحمد لله الذي أظهر الإسلام، وقَمَع الشرك.

واستقبلوني من صياحهم يسبّون رسول الله، فكرهت أن يسمع ﷺ ذلك، فعملت

---

١. الأحزاب (٣٣): ١٠ ـ ٢٥.

٢. مسند أحمد ٦: ٣٦٢، ح ١٨٣٣٦ و ١٨٣٣٧؛ صحيح البخاري ٤: ١٥٠٨، ح ٣٨٨٣؛ الإرشاد للمفيد ١: ١٠٥ ـ ١٠٦؛ إعلام الورى ١: ٣٨٢.

على الرجوع إليه، فإذا به قد طلع وسمع سبّهم، فناداهم: يا إخوة القردة والخنازير.

فقالوا له: يا أباالقاسم، ما كنت جهولاً ولا سبّاباً. فاستحى رسول الله صلى الله عليه وآله ورجع القهقرى».

ثمّ أمر فضربت خيمته بإزاء حصونهم، فحاصروهم خمساً وعشرين ليلة حتّى سألوا النزول على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة.

وأمر النبيّ بإنزال الرجال منهم ـ وكانوا تسعمائة رجل ـ فجيء بهم إلى المدينة، فأنفذ فيهم حكم سعد رضي الله عنه.

وكان فيهم حُيَيُّ بن أخطب وكعب بن أسد وهما رأسيا القوم، وقد قال حُيَيٌّ ـ حين أراد أميرالمؤمنين عليه السلام قتله ـ: قِتلةَ شريفٍ بيد شريف.

فقال [له] أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنّ خيار الناس يقتلون شرارهم، وشرارهم يقتلون خيارهم، فالويل لمَن قتله الأخيار الأشراف، والسعادة لمن قتله الأراذل».

فقال: صدقت، لا تسلُبني حُلّتي.

فقال: «هي أهون عليَّ من ذلك».

فقال حُيَيُّ بن أخْطَب: سترتني سترك الله، فضرب أميرالمؤمنين عنقه، ولم يسلبه وهو العدوّ الألدّ[1].

قتل الله عمر بن سعد وأصحابه إذ أقبلوا بعد قتل الحسين ـ روحي فداه ـ على سَلَبه، فأخذ ابن سعد درعه، وأخذ إسحاق بن حويّة الحضرمي قميصه، وأخذ الأخنس بن مرثد عمامته، وأخذ رجل من بني دارم سيفه[2].

---

١. الإرشاد للمفيد ١: ١٠٩ ـ ١١١؛ مناقب آل أبي طالب ١: ٢٥١ ـ ٢٥٢؛ كشف الغمّة ١: ٢٠٧ ـ ٢٠٩؛ بحار الأنوار ٢٠: ٢١٠ ـ ٢١٢، تاريخ نبيّنا صلى الله عليه وآله، الباب ١٧.

٢. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٨ ـ ١٧٩؛ بحار الأنوار ٤٥: ٥٧ ـ ٥٨، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧؛ إعلام الورى ١: ٤٦٩.

وكان الحسين ـ بأبي هو وأُمّي ـ حين أيقن بالقتل، دعا بسراويلَ يمانيّة، ففزرها ثمّ لبسها تحت ثيابه؛ لكي لا يسلبها بعد قتله، فلمّا قُتل، عمد أبجر بن كعب إليه فسلبه السراويل المفزّرة وتركه مجرّداً، وكانت يدا أبجر تيبسان في الصيف حتّى كأنّهما عودان، وتترطّبان في الشتاء فتنضحان دماً وقيحاً[١].

وانتهبوا رحله ـ بأبي هو وأُمّي ـ وأبكروا ثقاله، وسلبوا نساءه، وكانت المرأة من أخواته وبناتها، تنازع ثوبها عن ظهرها حتّى تغلب عليه.

وقد انتهوا إلى عليّ بن الحسين عليه السلام وهو منبسط على فراش، وهو شديد المرض، فقالوا لشمر ـ وهو واقف عليه ـ: ألا نقتل هذا العليل؟ فقال حميد بن مسلم: إنّه لِما به ـ قال: ـ فلم أزل حتّى دفعتهم عنه.

وجاء عمر بن سعد فصاح النساء في وجهه وبكين إليه، فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هذه النسوة، ولا تتعرّضوا لهذا المريض[٢].

قال المفيد رحمه الله في الإرشاد:

> وسألته النسوة ليسترجع ما أُخذ منهم ليسترن به. فقال: مَن أخذ من متاعهنّ شيئاً فليردّه، فوالله ما ردّ أحد منهم[٣].

فتنازعت أحشاؤها حرق لجوى وتجاذبت أيدي العدوّ رداءها
وترى من الزفرات تجمع قلبها بيد وتدفع في يدِ أعدائها
عجباً لحلم الله وهي بعينه برزت تطيل عويلها وبكاءها

١. الإرشاد للمفيد ٢: ١١١؛ إعلام الورى ١: ٤٦٨؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٤؛ بحار الأنوار ٤٥: ٣٠١ ـ ٣٠٢، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٤٦، ذيل الحديث ٢.

٢. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٢ ـ ١١٣؛ إعلام الورى ١: ٤٦٩.

٣. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٣.

المجلس التاسع والثلاثون*

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام: «إنّ فيك مثلاً من عيسى، أبغضه اليهود حتّى بَهتوا أُمّه، وأحبّه النصارى حتّى أنزلوه المنزل الذي ليس له»[1].

وروى في مسنده أيضاً، وفي الجمع بين الصحاح الستّة: أنّ النبيّ ﷺ قال: «لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق»[2].

وروى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده أيضاً: أنّ رسول الله النبيّ ﷺ قال: «إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»[3].

قال أبوبكر الصدّيق: أنا هو يا رسول الله؟ فقال: «لا».

فقال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ فقال: «لا، ولكنّه خاصف النعل». وكان عليّ

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن المجالس الفاخرة لسيادة مولانا الحجّة السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه وكان هذا المجلس المحترم أوّل مجلس ألّفه سنة تشريفه لجبل عامل، قال أيّده الله وأدام ظلّه: ...».

١. مسند أحمد ١: ٣٣٦، ح ١٣٧٦. روي أيضاً في المستدرك على الصحيحين ٤: ٩٠ ـ ٩١، ح ٤٦٨٠؛ مسند أبي يعلى ١: ٤٠٧، ح ٥٣٤؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٩٣، الرقم ٤٩٣٣.

٢ و٣. مسند أحمد ١: ٢٠٤، ح ٧٣١، و ٢٧٢، ح ١٠٦٢. روي أيضاً في الأمالي للصدوق: ١١٦، المجلس ٢٨، ح ٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٨٣، وكنز العمّال ١١: ٦٢٢، ح ٣٣٠٢٨.

يخصف نعل رسول الله النبيّ ﷺ في الحجرة عند فاطمة[١].

وفي الجمع بين الصحاح الستّة: قال رسول الله ﷺ: «لتنتهنّ معشر قريش، أو ليبعثنّ عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان، يضرب رقابكم على الدين» قيل: يا رسول الله، أبوبكر؟ قال: «لا» قيل: عمر؟ قال: «لا»، ثمّ قال: «ولكنّه خاصف النعل»[٢].

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل و الجمع بين الصحاح الستّة عن أنس بن مالك قال: كان عند النبيّ ﷺ طائر قد طبخ فقال ﷺ: «اللهمّ ائتني بأحبّ الناس إليك يأكلْ معي» فجاء عليّ عليه السلام فأكل معه[٣].

ومن مسند أحمد بن حنبل أيضاً عن ابن عبّاس رضي الله عنه: أنّه لمّا حضرته الوفاة قال: «اللهمّ إنّي أتقرّب إليك بولاية عليّ بن أبي طالب»[٤].

وذكر الإمام الحنبلي أيضاً، ومسلم في صحيحه، قالا: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله قال سلوني، إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٥].

---

١. مسند أحمد ٤: ٦٧ ـ ٦٨، ح ١١٢٨٩. للمزيد راجع أيضاً: المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٣٧٠، ح ٣٢٠٧٣؛ خصائص أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب: ٢١٧، ح ١٥٦؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ٩٠، ح ٤٦٧٩؛ الإرشاد للمفيد ١: ١٢٢؛ مسند أبي يعلى الموصلي ٢: ٣٤١، ح ١٠٨٦.

٢. راجع: تاريخ بغداد ٨: ٤٣٣، الرقم ٤٥٤٠؛ المناقب للخوارزمي: ١٤٢، ح ١٦١؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٤٢، الرقم ٤٩٣٣؛ أُسد الغابة ٤: ١١٤، الرقم ٣٧٨٣؛ كشف اليقين في فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام: ١٠٦ ـ ١٠٧؛ كنز العمّال ١٣: ١١٥، ح ٣٦٣٧٣.

٣. راجع: الجامع الصحيح ٥: ٦٣٦ ـ ٦٣٧، ح ٣٧٢١؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ١٠٢ ـ ١٠٣، ح ٤٧٠٦؛ مسند أبي يعلى ٧: ١٠٥ ـ ١٠٦، ح ٤٠٤٧؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٥٠، الرقم ٤٩٣٣؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ١٦٨ ـ ١٦٩، ح ١٤٧٢٦.

٤. مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٣٢؛ بشارة المصطفى: ٣٦٥، ح ٥٧؛ بحار الأنوار ٤٠: ٦٧ ـ ٦٨، تاريخ أميرالمؤمنين عليه السلام، الباب ٩١، ح ١٠١.

٥. للمزيد راجع: الأمالي للصدوق: ١١٥، المجلس ٢٨، ح ١؛ إكمال الدين وتمام النعمة: ٥٢٥، الباب ٤٧، ح ١؛ ينابيع المودّة ٢: ١٧٣، الباب ٥٦، ح ٤٩٢، و ٤٠٥، الباب ٥٩، ح ٦٦؛ ٣: ١٤٤، الباب ٦٥، و ٢٠٨، الباب ٦٨.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»[١].

وفي مسند أحمد بن حنبل من عدّة طرق: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «من آذى عليّاً فقد آذاني»[٢].

[وقال صلى الله عليه وآله:] «أيّها الناس من آذى عليّاً بعث يوم القيامة يهوديّاً أو نصرانيّاً»[٣].

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل أيضاً: أنّ أبابكر وعمر خطبا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله [فاطمة] فقال: «إنّها صغيرة» فخطبها عليّ عليه السلام فزوّجها منه[٤].

وفي الجمع بين الصحيحين: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على ابنته فاطمة وقبّل رأسها ونحرها وقال: «أين ابن عمّك؟» قالت: «في المسجد» فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول: «اجلس يا أباتراب» مرّتين[٥].

وروى المحدّثون من عدّة طرق: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حمل عليّاً عليه السلام حتّى كسر الأصنام من فوق الكعبة[٦].

---

١. المعجم الكبير ١١: ٥٥، ح ١١٠٦١؛ المستدرك على الصحيحين ٤: ٩٦ ـ ٩٧، ح ٤٦٩٣ ـ ٤٦٩٤؛ الجامع الصغير: ١٦١، ح ٢٧٠٥؛ مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ١١٥ ـ ١١٩، ح ١٢٠ ـ ١٢٦.

٢. مسند أحمد ٥: ٤٠٤ ـ ٤٠٥، ح ١٥٩٦٠. روى أيضاً في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٩٧، ح ٧٦؛ عمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٨٢، ح ٤٥٩؛ كشف اليقين في فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام: ٢٩٥؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ١٧٥، ح ١٤٧٣٨؛ الصواعق المحرقة: ١٧٢.

٣. مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٩٧، ح ٧٦؛ كشف اليقين في فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام: ٢٩٥؛ عمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٨٢، ح ٤٥٩.

٤. خصائص أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب: ١٦٧، ح ١٢٣؛ المستدرك على الصحيحين ٢: ٥١٨، ح ٢٧٥٣؛ مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٩٣.

٥. الجمع بين الصحيحين ٣: ٥٤٩، ح ٤٢٤٣. روي أيضاً في صحيح البخاري ٣: ١٣٥٨، ح ٣٥٠٠؛ أدب المفرد: ٢٨٧، ح ٨٥٥؛ صحيح مسلم ٤: ١٨٧٤ ـ ١٨٧٥، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٨؛ المعجم الكبير ٦: ١٤٨، ح ٥٨٧.

٦. راجع: مسند أحمد ١: ١٨٣، ح ٦٤٤؛ المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٤٠٤، ح ٣٦٨٩٦؛ تاريخ بغداد ١٣: ٣٠٢، الرقم ٧٢٨٢؛ الأمالي للطوسي: ٥٥٠، ح ١١٦٨.

وأنّه لا يجوز على الصراط إلّا من كان معه كتاب بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام[١].

وأنّه ردّ الشمس عليه بعد ما غابت؛ حيث كان النبيّ صلى الله عليه وآله نائماً على حِجره ودعى له، فردّها؛ ليصلّي عليّ العصر، فردّت له[٢].

وأنّه أنزل الله بسطل عليه منديل وخير ماء، فتوضّأ للصلاة ولحِق بصلاة النبيّ صلى الله عليه وآله[٣].

وأتى منادياً من السماء نادى يوم أُحد: «لا سيف إلّا ذو الفقار، لا فتى إلّا عليّ صلوات الله وسلامه عليه»[٤].

وقد أنشد حسّان بن ثابت في ذلك اليوم:

بأعلى صوته جبريل معلنا والنقع ليس ينجلي
والخيل تعثر بالجماجم والوشيج الذبلِ
هذا النداء لمن له الزهراء ربّة منزلِ
لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ[٥]

وقال بعض التابعين:

وله بلاء يوم أُحد صالح والمشرفيّة تأخذ الأدبارا
لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ إن عددت فخارا[٦]

---

١. المناقب للخوارزمي: ٣١٩ ـ ٣٢٠، ح ٣٢٤؛ ذخائر العقبى: ٧١؛ فرائد السمطين ١: ٢٨٩، ح ٢٢٨؛ ينابيع المودّة ١: ٣٣٥ و ٣٣٧، الباب ٣٧، ح ١٤ و ١٩.

٢. الإرشاد للمفيد ١: ٣٤٦؛ كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ١١١ ـ ١١٢.

٣. الأمالي للصدوق: ١٨٧ ـ ١٨٨، المجلس ٤٠، ح ٤؛ مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب: ١٢٥، ح ١٣٩؛ المناقب للخوارزمي: ٣٠٤ ـ ٣٠٥، ح ٣٠٠؛ الطرائف ١: ٨٥ ـ ٨٧، ح ١٢٠؛ ينابيع المودّة ١: ٤٢٨ ـ ٤٢٩، الباب ٤٩، ح ٦.

٤. تاريخ الطبري ٢: ٥١٤، حوادث سنة ٣؛ الكافي ٨: ٩٥، ح ٩٠؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٧١، الرقم ٤٩٣٣؛ الأمالي للطوسي: ١٤٣، المجلس ٥، ح ٤٦؛ ينابيع المودّة ٢: ٢٩١، الباب ٥٦، ح ٨٣٤.

٥. مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٤٢، ولم ينسبه إلى حسّان بن ثابت.

٦. حكاه ابن شهرآشوب عن الحميري في مناقب آل أبي طالب ٣: ١٥٢.

وروى أحمد بن حنبل في مسنده: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين عليهما السلام وقال: «من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمّهما، كان معي في درجتي يوم القيامة»[١].

وفيه عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ذات يوم بعرفات وعليّ تجاهه: «أُدن منّي يا عليّ، خلقت أنا وأنت من شجرة، فأنا أصلها [وأنت] فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلّق بغُصنٍ من أغصانها، أدخله الله الجنّة»[٢].

وفيه عن أبي سعيد الخُدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتابَ الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوضَ»[٣].

وروى أحمد بن حنبل من عدّة طرق، وفي صحيح مسلم من موضعين عن زيد بن أرقم قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله بين مكّة والمدينة ثمّ قال بعد الوعظ:

«أيّها الناس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين: أوّلهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به». فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: «وأهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي»[٤].

---

١. مسند أحمد ١: ١٦٨، ح ٥٧٦. روي أيضاً في الجامع الصحيح ٥: ٦٤١ ـ ٦٤٢، ح ٣٧٣٣، والذرّيّة الطاهرة: ١٦٧، ح ٢٢٥.

٢. راجع: الكامل في ضعفاء الرجال ٥: ١٧٨، الرقم ١٣٣٦؛ شواهد التنزيل ١: ٢٨٨ ـ ٢٩١، ح ٣٩٥ ـ ٣٩٧؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٦٤، الرقم ٤٩٣٣؛ ينابيع المودّة ١: ٢٧، الباب ٢٠، ح ٥.

٣. مسند أحمد ٤: ١١٨، ح ١١٥٦١. روي أيضاً في مسند أبي يعلى ٢: ٢٩٧ ـ ٢٩٨، ح ١٠٢١؛ المعجم الكبير ٣: ٦٥، ح ٢٦٧٨؛ بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٥٧، ح ١٤٩٦٢.

٤. مسند أحمد ٧: ٧٥، ح ١٩٢٨٥؛ صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٦. روي أيضاً في السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٢١٢، ح ٢٨٥٧؛ و٧: ٤٨، ح ١٣٢٣٨.

بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله عزيز عليك ما جرى على أهل بيتك من الرزايا والمصائب.

تركوهم شتّى مصارعهم وأجمعها فظيعه
فمغيّب كالبدر ترتقب الورى شوقاً طلوعه
ومكابد للسمّ قد سُقيت حُشاشته نقيعه
ومضرّج بالدم آثر عزّة وأبى خضوعه
ومصفّدٌ لله سلّم أمرّ ما قاسى جميعه
وسبية باتت بأفعى الهمّ مهجتها لسيعه
وكرائمَ التنزيل بين أُميّة برزت مروعه
تدعو ومن تدعو وتلك كفات دعوتها صريعه[1]

تدعو ومن تدعو، وتشكو وإلى مَن تشكو، لعليّ بن الحسين الأكبر وهو مقطّع إرباً إرباً، أم للقاسم بن الحسن وهو جثّة بلا رأس، أم لقمر بني هاشم أبي الفضل العبّاس، مرضوخ الهامة بعمود من حديد، أم لسيّد الشهداء وقد فعلت به الأعداء ما يقرح القلوب، ويهيّج الأحزان والكروب، أم لمريض كربلاء زين العابدين وقد أنهكته العلّة، وأكلت الجامعة ساعديه والقيد رجليه.

قلبوه عن نطعٍ مسجّى فوقه فكبت له أملاك سبع شداد
غلّوا يديه وقيّدوا رجليه وازدحموا عليه وهو لا يتكلّم
قيّدوه لحلمه بقيود ربّ حلم يقيّد الضرغاما

ولقد يعزّ عليك يا رسول الله أن ترى زين العابدين مغلول اليدين، مكشوف الرأس، حافي القديمن، وعدوّ الله يزيد بن معاوية ـ ابن آكلة الأكباد ـ على سرير

---

١. ديوان السيّد حيدر الحلّي: ٩٠ ـ ٩١.

الملك، رافلاً بالحرير والديباج، وعلى رأسه تاج السلطنة، وبين يديه رأس ريحانتك وقرّة عينك سيّد شباب أهل الجنّة، وهو ينكث ثناياه بمخصرته هاتفاً بأشياخه، مهنّياً لأسلافه بأخذ الثأر واستئصال الأئمّة الأبرار، وبناتك سبايا كأنّهنّ من الديلم ليس معهنّ من حماتك حميّ، ولا من ولاتهنّ وليّ.

يا رسول الله لو عايَنْتَهم   وهم ما بين قتلى وَسِبا[١]
عظّم الله لك الأجر بمن   كظّ أحشاه الظما حتّى قضى
ضارب في كربلا خيمته   ثمّ ما خيّم حتّى قوّضا

بأبي هو من مخيَّم قوّض الأعداء خيامه، وذلك لمّا هجموا بخيولهم على مخيّمه وفيها ودائع النبوّة وحرائر الوحي، يلذن بعضهنّ ببعض، ينادين: وا جدّاه، وا رسول الله، ليت السماء أُطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل، ثمّ نادى المنادي بعد النهب والسلب: أحرقوا بيوت الظالمين جميعاً، فأضرموا النار بالخيم، ففرّت العيال والأطفال.

قال حميد بن مسلم ـ على ما روي مرسلاً ـ: نظرت إلى آل الرسول وقد فرّوا مذعورين هائمين مدهوشين لمّا استعرّت النار، ورأيت امرأة ـ عليها سيماء الجلالة والوقار ـ على باب الخيمة كالمتحيّرة، فتقدّمت نحوها وقلت لها: لِم لا تفرّ منّي؟ فقالت بانكسار: يا هذا إنّ لنا بالخيمة عليلاً.

فنازعت أحشاؤها حرق الجوى   وتجاذبت أيدي العدوّ رداءها
من أين تخجل أوجه أُمويّة   سكبت بلذّات الفجور حياءها[٢]

---

١. ديوان الشريف الرضي ١: ٤٤.
٢. ديوان السيّد حيدر الحلّي: ٥٢ و ٥٤.

المجلس الأربعون

روى المنذر بن الجارود[1] فيما حدّث به أبوحنيفة، الفضل بن الحُباب الجمحي، عن ابن عائشة، عن مَعْن بن عيسى، عن المنذر بن الجارود قال:

لمّا قدم عليّ عليه السلام البصرة دخل ممّا يلي الطفّ فأتى الزاوية، فخرجت أنظر إليه، فورد موكب نحو ألف فارس يقدمهم فارس على فرس أشهب، عليه قلنسوة وثياب بيض، متقلّداً سيفاً، معه راية، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة مدجّجين في الحديد والسلاح، فقلت: من هذا؟ فقيل: أبوأيّوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وهؤلاء الأنصار غيرهم.

ثمّ تلاهم فارس آخر، عليه عمامة صفراء وثياب بيض، متقلّداً سيفاً، متنكّب قوساً، معه راية على فرس أشقر في نحو ألف فارس، فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا خُزَيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين.

ثمّ مرّ بنا فارس آخر على فرس كُمَيتٍ، معتمّ بعمامة صفراء من تحتها قلنسوة

---

(١) كما في ص ٢٤٢ من الجزء الثاني من مروج الذهب [1].

---

١. مروج الذهب ٢: ٣٦٦ ـ ٣٧١.

بيضاء، وعليه قباء أبيض مصقول، متقلّد سيفاً، متنكّب قوساً، في نحو ألف فارس من الناس ومعه راية، فقلت: من هذا؟ فقيل لي: أبوقَتَادة بن ربعي.

ثمّ مرّ بنا فارس آخر على فرس أشهب، عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سَدَلها بين يديه ومن خلفه، شديد الأُدمة، عليه سكينة ووقار، رافع صوته بقراءة القرآن، متقلّد سيفاً، متنكّب قوساً، معه راية بيضاء في ألف فارس من الناس مختلفي التيجان، وحوله مشيخة وكهول وشباب، كأنّ قد أُوقفوا للحساب، أثر السجود قد أثّر في جباههم. فقلت: من هذا؟ فقيل: عمّار بن ياسر في عدّة من الصحابة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم.

ثمّ مرّ فارس على فرس أشقَرَ، عليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء وعمامة صفراء، متنكّب قوساً، متقلّداً سيفاً، تخطّ رجلاه في الأرض في ألف فارس من الناس، الغالب على تيجانهم الصفرة والبياض، معه راية صفراء، قلت: من هذا؟ قيل: هذا قيس بن سعد بن عبادة في الأنصار وأبنائهم وغيرهم من قحطان.

ثمّ مرّ بنا فارس على فرس أشهلَ ما رأينا أحسن منه، عليه ثياب بيض وعمامة سوداء قد سَدَلها بين يديه بلواء. قلت: من هذا؟ قيل: هو عبدالله بن العبّاس في عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ.

ثمّ تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأوّلين. قلت: من هذا؟ قيل: قُثَم بن العبّاس، أو سعيد بن العاص.

ثمّ أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضاً واشتبكت الرماح.

ثمّ ورد موكب فيه خلق من الناس، عليهم السلاح والحديد مختلفوا الرايات، في أوّله راية كبيرة يقدمهم رجل كأنّما كُسر وجُبر ـ قال ابن عائشة: وهذه صفة رجل شديد الساعدين، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، كذلك تخبر العرب في

وصفها إذا أخبرت عن الرجل: أنّه كسر وجبر ـ كأنّما على رؤوسهم الطير، وعن ميسرتهم شابّ حسن الوجه، قلت: من هؤلاء؟

قيل: هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهذان الحسن والحسين عن يمينه وشماله، وهذا محمّد بن الحنفيّة بين يديه معه الراية العُظمى، وهذا الذي خلفه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم، وهؤلاء المشايخ أهل بدر من المهاجرين والأنصار.

فساروا حتّى نزلوا الموضع المعروف بالزاوية، فصلّى أربع ركعات، وعفّر خدّيه على التربة وقد خالط ذلك دموعه، ثمّ رفع يديه يدعو: «اللهمّ ربّ السماوات وما أظلّت، والأرضين وما أقلّت، وربّ العرش العظيم، هذه البصرة أسألك خيرها، وأعوذ بك من شرّها. اللهمّ أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين. اللهمّ هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبغوا عليَّ، ونكثوا بيعتي. اللهمّ احقن دماء المسلمين».

وبعث إليهم من يناشدهم الله في الدماء، وقال: «على مَ تقاتلونني؟» فأبوا إلّا الحرب.

فبعث رجلاً من أصحابه يقال له: مسلم، معه مصحف يدعو إلى الله، فرموه بسهم فقتلوه، فحمل إلى عليّ، وقالت أُمّه:

يا ربّ إنّ مسلماً أتاهمْ يتلو كتاب الله لا يخشاهمْ
فخضّبوا من دمه لحاهمْ وأُمّه قائمة تراهمْ

وأمر عليّ عليه السلام أن يصافّوهم ولا يبدأوهم بقتال، ولا يرموهم بسهم، ولا يضربوهم، ولا يطعنوهم برمح، حتّى جاء عبدالله بن بديل بن ورقاء من الميمنة بأخ له مقتول، وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمي بسهم فقتل.

فقال عليّ عليه السلام: «اللهمّ اشهد».

وتواتر عليه الرمي فقام عمّار بن ياسر فقال: ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين؟

فقام عليّ عليه السلام فقال: «أيّها الناس إذا هزمتموهم فلا تُجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، ولا تتّبعوا مولّياً، ولا تهتكوا ستراً، ولا تمثّلوا بقتيل، ولا تقربوا من أموالهم إلّا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع»[1].

ولقد يعزّ عليك يا أمير المؤمنين بما فعل القوم الظالمون يوم عاشوراء من تسابقهم على نهب بيوت آل الرسول وقرّة عين الزهراء البتول، يسلبونهنّ وينتزعون الملاحف عن ظهورهنّ، ثمّ يضرمون النار في خيامهنّ، فخرجن حواسر معوّلات حافيات باكيات، ينادين: وا محمّداه، وا عليّاه، بناتك سبايا، وذرّيّتك مقتّلة تسفى عليهم ريح الصبا، هذا حسينك محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، بأبي العطشان حتّى مضى، بأبي من جدّه المصطفى، بأبي من أبوه عليّ المرتضى[2].

أُعزّيك فيهم أنّهم وردوا الردى بأفئدة ما بلّ غلّتها قطرُ
وثاوين في حرّ الهجيرة بالعرى عليهم سوافي الريح بالترب تنجرُّ

---

١. مروج الذهب ٢: ٣٦٦ـ ٣٧١.

٢. راجع: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٢ـ ٤٣؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠ـ ١٨١.

المجلس الحادي والأربعون

ومن كلام لأمير المؤمنين وسيّد الوصيّين صلوات الله وسلامه عليه:

«ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطِمريه، ومن طُعمه بقرصيه، ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفّة وسداد، والله ما كنزت من دنياكم تِبراً، ولا ادّخرتُ من غنائمها وَفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طِمراً، ولا حُزت من أرضها شبراً، ولا أخذتُ منها إلّا كقوت أتانٍ دَبِرة، ولهي في عيني أوهى [وأهون] من عفصةٍ مَقِرة.

بلى كانت في أيدينا فدكٌ من كلّ ما أظلّته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قومٍ آخرين، ونعم الحَكَمُ الله، وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفس مظانّها في غدٍ جدثٌ، تنقطع في ظلمته آثارُها، وتغيب أخبارها... .

ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مُصفَّى هذا العسل، ولُباب هذا القَمح، ونسائج هذا القزّ. ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويَقُودَني جَشَعي إلى تَخَيُّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهدَ له بالشبع، أو أبيت مِبطاناً وحولي بطونٌ غَرثَى، وأكبادُ حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك عاراً[1] أن تبيت ببطنةٍ ... وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ

---

١. في المصدر «داءاً» بدل «عاراً».

أأطمعُ[١] أن يقال أمير المؤمنين ولا أُشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أُسوةً لهم في جشوبة العيش، فما خُلقت ليشغلني أكل الطيّبات، كالبهيمة المربوطة همُّها علفها، والمرسلة شُغْلها تقمُّمها، تكترش من أعلافها، وتلهو عمّا يراد بها،...

وكأنّي بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران، ومنازلة الشُجعان. ألا وإنّ الشجرة البرّيّة أصلب عوداً، والرواتع الخضرة أرقُّ جلوداً، والنابتات العذيَة أقوى وَقوداً وأبطأ خموداً. وأنا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالضوء من الضوء، والذراع من العضد. والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها»[٢].

بأبي أنت وأُمّي كم تظاهرت العرب على قتالك، فظهرت عليها ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَال﴾[٣] بعليّ أمير المؤمنين وسيّد المجاهدين.

وهل الجهاد لأحدٍ من الناس إلّا له؟ وهل قامت دعائم الدين، أو رست قواعد الشرع، أو علت كلمة التوحيد إلّا بجهاده؟

وهل شهد التنزيل لغيره بأنّه شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله؟

وهل باهى الله ـ عزّ وجلّ ـ ملائكة السماء ليلة المبيت على فراش النبيّ صلى الله عليه وآله بغيره؟

وهل تولّى خدمة النبيّ وجميع بني هاشم أيّام حصرهم في الشعب غيره؟

وهل قاسى الخطر ولاقى الأهوال في إيصال القوت إليهم يومئذٍ سواه؟

---

١. في المصدر: «أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا...» بدل «أأطمع أن يقال...».

٢. نهج البلاغة: ٥٧٣ ـ ٥٧٦، الكتاب ٤٥.

٣. الأحزاب (٣٣): ٢٥.

وهل نصر الله نبيّه في جميع المواطن إلّا به؟

وهل قتل عمراً ومرحباً، وجندل وعتبة وشيبة والوليد غيره؟

وهل أفنى بني عبد الدار، وقتل بني سفيان بن عوف الأربعة يوم أُحد سواه؟

وهل أذلّ عتاة الشرك وجبابرة الكفرة إلّا صارم سطوته؟

وهل فتح حصون خيبر ودحا بابها، وقلع الصخرة عن فم القليب، وسلب العزّة من جبابرة اليمن، ومهد أمرها إلّا ماضي عزمه؟

وهل قاتل الناكثين والمارقين والقاسطين غيره؟

وهل باهل باسم غيره جبرائيل:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ؟

ولقد ورث منه هذه الشجاعة شبله أبوالأئمّة، وشفيع الأُمّة أبوعبدالله الحسين عليه السلام حتّى قال بعض الرواة:

والله ما رأيت مكثوراً قطّ قتل ولده وأهل بيته وأنصاره أربط جأشاً من الحسين عليه السلام، وإن كانت الرَجّالةُ لتشدُّ عليه فيشدّ عليها فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب [١].

ولقد كان يحمل فيهم وقد تكمّلوا ثلاثين ألفاً فينهزمون بين يديه كأنّهم الجراد المنتشر، ثمّ يرجع إلى مركزه وهو يقول: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم» [٢] حتّى قتل منهم ألفاً وتسعمائة عدا المجروحين.

فناداهم ابن سعد لعنه الله: الويل لكم يا أهل الكوفة أتدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب، فاحملوا عليه من كلّ جانب، وكانت الرماة

---

١. الإرشاد للمفيد ٢: ١١١؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٤؛ مثير الأحزان: ٧٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٠ ـ ١٧٢.

٢. راجع الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧١.

أربعة آلاف فرموه بالسهام، حتّى حالوا بينه وبين رحله.

فصاح بهم: «ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون»[١].

فناداه شمر ـ لعنه الله ـ: ما تقول يابن فاطمة؟

قال عليه السلام: «أنا أُقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا عتاتكم وجهّالكم عن التعرّض لحرمي ما دمت حيّاً»[٢].

فقال الشمر ـ لعنه الله ـ: لك ذلك يابن فاطمة، ثمّ صاح: إليكم عن حرم الرجل واقصدوه بنفسه؛ فلعمري إنّه كفؤ كريم.

فقصده القوم بالقتال وهو مع ذلك يطلب شربة من الماء، وكلّما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه حتّى أجلوه عنه، فنادى: «هل من مغيث فيغيثنا؟ هل من ناصر فينصرنا؟»[٣].

ووقف على جثث أهل بيته وأصحابه فناداهم بأسمائهم، فاضطربت أجسامهم اضطراب السمكة في الماء، فناداهم:

«قوموا عجالاً فما العرى بدار ولا هذا المقام مقامُ
فماجت على وجه الصعيد جسومهم ولو أذن الله القيام لقاموا»

---

١ و ٢. الفتوح لابن أعثم ٥: ٢١٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧١.

٣. انظر مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٧؛ مثير الأحزان: ٧٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٨.

المجلس الثاني والأربعون

ومن كلام له عليه السلام:

«والله لأن أبيتَ على حَسَكِ السعدان مُسهّداً، أو أُجَرَّ في الأغلال مصفَّداً، أحبُّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحُطام، وكيف أظلمُ أحداً لنفس يُسرِعُ إلى البِلى قُفُولها، ويطول في الثرى حُلولها.

والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق(١) حتّى استماحني من بُرّكم هذا صاعاً، ورأيت صبيانه شُعثَ الشُعور(٢) غُبرَ الألوان من فقرهم(٣) كأنّما سُوِّدت وجوههم

---

(١) أملق: افتقر أشدّ الفقر[١]. واستماحني: استعطاني[٢].

(٢) الشعث: جمع أشعث، وهو من الشعر المتلبّد بالوسخ[٣].

(٣) الغبر: جمع أغبر، وهو متغيّر اللون شاحبه[٤].

---

١. لسان العرب ١٠: ٣٤٨، «م.ل.ق».

٢. المصدر ٢: ٤٨٩، «س.م.ح».

٣. المصدر ٢: ١٦٠، «ش.ع.ث».

٤. صحاح اللغة ٢: ٧٦٤؛ لسان العرب ٥: ٤، «غ.ب.ر».

بالعِظلِم(١)، وعاودني مؤكّداً، وكرّر عليَّ القول مُردّداً، فأصغيتُ إليه سمعي، فظنّ أنّي أبيعه ديني، وأتّبع قيادَهُ مفارقاً طريقتي، فأحميت له حديدةً، ثمّ أدنيتُها من جسمه ليعتبر بها، فضجّ ضجيج ذي دَنَفٍ من ألمَها، وكاد أن يحترق من مِيسمها، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئنّ من حديدةٍ أحماها إنسانها لِلعِبه، وتَجُرُّني إلى نار سجرها جبّارها لغضبه؟ أتئِنُّ من الأذى ولا أئنُّ من لَظى؟!!

وأعجب من ذلك طارقٌ طرقنا بملفوفةٍ في وعائها، ومعجونةٍ شَنئتها كأنّما عُجنت بريق حيّةٍ أو قَيئها، فقلت: أصلةٌ، أم زكاةٌ، أم صدقةٌ؟ فكلّ ذلك محرّم علينا أهل البيت»[١].

بأبي أنت وأُمّي يا أمير المؤمنين كيف بك لو رأيت أطفالك وأيتام ولدك أبي عبدالله وهم في أشرّ الذلّة ووثاق السبي، يساقون عطاشى جياعاً مربّطين بالحبال، وأهل الكوفة يتصدّقون عليهم وهم في المحامل مقرّنين بالأصفاد، فجعلت صبيتكم لشدّة جوعهم يتناولون بعض الخبز والتمر والجوز، فصاحت خفرتك وعقيلتك أُمّ كلثوم:

ويلكم يا أهل الكوفة إنّ الصدقة علينا حرام، وجعلت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وترمي به إلى الأرض، والناس يبكون على ما أصابهم، فأطلعت رأسها من المحمل وقالت لهم: مهْ يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم؟ فالحكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء[٢].

---

(١) العِظلِم كزبرج: سواد يصبغ به، قيل: هو النيلج[٣].

---

١. نهج البلاغة: ٤٧١ ـ ٤٧٣، الكلام ٢٢٤.

٢. راجع: مثير الأحزان: ٨٨؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٩٨؛ ينابيع المودّة ٣: ٨٧، الباب ١١.

٣. لاحظ لسان العرب ١٢: ٤١٢، «ع.ظ.م»، والقاموس المحيط ٤: ١٥٤.

فبينا هي تخاطبهم إذا بضجّة قد ارتفعت، وإذا هم بالرؤوس قد جاؤوا بها على الرماح، يقدمهم رأس الحسين عليه السلام وهو رأس زهري قمري، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولحيته كسواد السبج، قد نصل منها الخضاب ووجهه دائرة قمر طالع، والريح تلعب بكريمته الشريفة يميناً وشمالاً، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدّم المحمل حتّى سال الدم من تحت قناعها، وأومأت إليه بحرقة.

يا هلالاً لما استتمّ كمالا غاله خسفه فأبدى غروبا

ما توهّمت يا شقيق فؤادي كان هذا مقدّراً مكتوبا[1]

---

١. مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ١٦١ بنقيصة.

المجلس الثالث والأربعون

ومن خطبة له عليه السلام:

«وكم أكلت الأرض من عزيز جسدٍ، وأنيق لونٍ، كان في الدنيا غَذيَّ تـرفٍ، وربيبَ شرفٍ! يتعلّلُ بالسرور في ساعة حـزنه، ويـفزعُ إلى السـلوَةِ إن مـصيبة نزلت به، ضنّاً بغضارة عَيشه، وشحاحة بلهوه ولعبه، فبينا هو يضحك إلى الدنـيا، وتضحك الدنيا إليه في ظلّ عيش غَفول، إذ وَطِـئَ الدهـر بـه حَسَكـه، ونَـقضَت الأيّامُ قُواه، ونظرت إليه الحُتُوف من كَـثَبٍ، فـخالطه بثٌّ لا يَـعرِفه، ونـجيُّ هَـمّ ما كان يجده، وتولّدت فيه فترات عِللٍ، آنس ما كان بصِحَّته، ففزع إلى مـا كـان عَوّدهُ الأطبّاء من تسكين الحارّ بالقارّ، وتحريك البارد بالحارّ، فلم يُطفئ ببارد إلّا ثَوَّر حرارةً، ولا حرّك بحارّ إلّا هيّج برودةً،... حتّى فتر مُعلِّله، وذهـل مُـمَرِّضه، وتعايا أهلُه بصفة دائه، وخَرِسوا عن جواب السائلين عنه، وتنازعوا دونه شَـجِيَّ خبر يكتمونه، فقائل يقول: هو لِما به، ومُمَنٍّ لهم إياب عافيته، ومُصَبّر لهم عـلى فقده، يُذكِّرهم أَسَى الماضين من قَبله، فبينا هو كذلك على جَناحٍ من فِراق الدنيا، وترك الأحبّة، إذ عرض له عارضٌ من غُصَصه، فتحيّرت نوافذُ فـطنته، ويـبِسَت رطوبة لسانه.

ـ إلى أن قال عليه السلام : ـ وإنّ للموت لغَمَرات، هي أفظَعُ من أن تُستغرق بصفةٍ، أو تعتدل على عقول أهل الدنيا »[١].

وتالله لا يهوّن سكرات الموت إلّا ولاء آل رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ مواليهم ليبشّره ملك الموت ثمّ منكر ونكير بالجنّة، وإنّ الملائكة لتزفّ أرواح مواليهم إكراماً لهم حتّى تدخلها عليهم كما تزفّ العروس إلى زوجها. وأيم الله إنّ من تمام موالاتهم الحزن لحزنهم، والبكاء على ما أصابهم، فحدّثوا أنفسكم بمصارع هاتيك العترة، وتأسّفوا على ما فاتكم من الفوز بتلك النصرة، واذكروا واعية الحسين وحاله وهو بين ثلاثين ألفاً وحيداً فريداً، قد حال العطش بينه وبين السماء كالدخان، وقد نزف دمه، والحجارة والسهام تأتيه من كلّ جانب، وأهل بيته وأصحابه كالأضاحيّ حوله، ونساؤه نوائح ونوادب من خلفه، وهو تارةً يصبّرهم ويعزّيهم، وتارةً يعظ القوم وينذرهم، ومرّةً ينعى أصحابه ويرثيهم، وأُخرى يقف على جثثهم ويمسح الدماء عن وجوههم...

ولمّا وقف على ولده عليّ الأكبر وهو ابن تسع عشرة سنة[٢]، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً، فوجده مقطّعاً إرباً إرباً، نادى بأعلى صوته: «قتل الله قوماً قتلوك يا بني، ما أجرأهم على الله، وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفا»[٣].

ولمّا وقف على ابن أخيه القاسم وهو ابن ثلاث عشرة سنة[٤] ووجده يفحص برجليه الأرض، قال: «عزّ على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا يغني عنك»[٥].

---

١. نهج البلاغة: ٤٦٢ ـ ٤٦٥، الخطبة ٢٢١.

٢. قال به ابن حاتم الشامي في الدرّ النظيم: ٥٥٥.

٣. الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٦؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٦؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٧.

٤. راجع مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣١، فيه: «هو غلام لم يبلغ الحلم».

٥. الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٨؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٨.

ثمّ وضع خدّه على خدّ الغلام واحتمله ورجلاه يخطّان الأرض، فـفتح الغـلام عينيه وتبسّم في وجه عمّه ثمّ فـاضت نـفسه الزكـيّة، فـوضعه بـين القـتلى مـن أهل بيته... .

ولمّا وقف على أخيه العبّاس وهو كبش كتيبته، وحامل لوائه، وموضع سـرّه، ووجده مرضوخ الهامة بعمود من حديد، مـقطوع السـاعدين، وضـع يـده عـلى خاصرته ونادى: «الآن انكسر ظهري، الآن قلّت حيلتي، وشمت بي عدوّي»[1].

وهــوى عـليه مـا هـنالك قـائلاً ... الآن بـــان عـن اليـمين حسـامها
الآن آل إلى التــــفرّق جـــمعنا ... الآن حــلّ مــن البــنود نـظامها
الآن نـــامت أعــين بك لم تــنم ... وتســـهّدت أُخـــرى فـعزّ مـنامها
أشقيق روحي هل تراك عـلمت إذ ... غـــودرت وانـثالت عـليك لئـامها
مــن مــبلّغٌ أشــياخ مكّـــة أنّـه ... قد قـلّ نـاصرها وغـاب هـمامها

١. مقتل الحسين ﷺ للخوارزمي ٢: ٣٤؛ مثير الأحزان: ٨٤.

المجلس الرابع والأربعون

ومن خطبة له عليه السلام:

«أمّا بعد، فإنّي أُحذّركم الدنيا، فإنّها حُلوةٌ خَضرة، حُفّت بالشهوات، وتحبّبت بالعاجلة، وراقت بالقليل، وتحلّت بالآمال، وتزيّنت بالغرور، لا تدوم حبرتُها[1] ولا تؤمن فجعتها، غَرّارةٌ ضَرّارة، حائلة زائلة، نافدة بائدة، أكّالةٌ غوّالة، لا تَعدو إذا تناهت إلى أُمنيّة أهل الرغبة والرضاء بها أن تكون كما قال الله تعالى: ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾[1] لم يكن امروٌ منها في حَبرةٍ، إلّا أعقبتهُ بعدها عَبرَةً، ولم يلق من سرّائها بطناً، إلّا منحتهُ من ضرّائها ظهراً، ولم تطلّه فيها ديمةُ رخاء إلّا هتنت عليه مُزنة بلاءٍ، وحريٌّ إذا أصبحت له منتصرةً أن تُمسي له مُتنكّرة، وإن جانبُ منها اعذوذَبَ واحلَولَى أمرَّ منها جانب

(١) حبرتها: بهجتها وسرورها[2].

١. الكهف (١٨): ٤٥.

٢. صحاح اللغة ٢: ٦٢٠، «ح.ب.ر».

فأوبى[(١)]، لا ينال امرؤٌ من غَضارتها رَغباً، إلّا أرهقتهُ من نوائبها تعباً، ولا يُمسي منها في جناح أمنٍ، إلّا أصبح منها على قوادم خوفٍ، غرّارَةُ غرور ما فيها، فانية فانٍ من عليها، لا خير في شيء من أزوادها إلّا التقوى، من استقلّ منها استكثر ممّا يؤمنُهُ، ومن استكثر منها استكثر ممّا يوبقُه، وزال عمّا قليلٍ عنه، كم من واثقٍ بها قد فجعتهُ، وذي طمأنينةٍ إليها قد صرعتهُ، وذي أُبّهةٍ قد جعلته حقيراً، وذي نخوةٍ قد ردّته ذليلاً، سلطانُها دُوَّلٌ، وعيشها رَنقٌ[(٢)]، وعذبها أُجاج، وحلوها صَبِر، وغذاؤها سِمام، وأسبابها رِمام، حَيُّها بعرض موتٍ، وصحيحها بعرض سُقمٍ، ملكها مسلوبٌ، وعزيزها مغلوب»[١].

هذه أنبياء الله وأصفياؤه تغلّبت عليهم الجبابرة، وتحكّمت فيهم أعداء الله حتّى كان بنو إسرائيل، ربما يقتلون بين طلوعي الفجر والشمس سبعين نبيّاً، ثمّ يجلسون في أنديتهم كأنّهم لم يفعلوا شيئاً.

ولمّا بعث الله إسماعيل بن حزقيل إلى قومه سلخوا جلدة وجهه وفروة رأسه، فأتاه ملك من ربّه ـ عزّ وجلّ ـ يقرئه السلام ويقول له: «قد أمرني الله بطاعتك، فمرني بما شئت» فقال عليه السلام: «لي بالحسين أُسوة»[٢].

---

(١) فأوبى: أي كثر فيها الوباء[٣].

(٢) الرنق: الكدر[٤].

---

١. نهج البلاغة: ٢١٢ ـ ٢١٤، الخطبة ١١١.

٢. كامل الزيارات: ١٣٧ ـ ١٣٩، الباب ١٩، ح ١ ـ ٤؛ علل الشرائع ١: ٩٨، ح ٢ و٣؛ وسائل الشيعة ٣: ٢٦٥، الباب ٧٧ من أبواب الدفن، ح ١٩ و٢٠.

٣. لاحظ صحاح اللغة ١: ٧٩، «و.ب.أ».

٤. القاموس المحيط ٣: ٢٤٦، «ر.ن.ق».

بأبي أنت وأُمّي يا أباعبدالله. بأبي أنت وأُمّي يا من تأسّت به أنبياء الله، لئن سلخت جلدة وجه إسماعيل وفروة رأسه في سبيل الله، فلقد أصابك في إعلاء كلمةالله من ضرب السيوف ووخز الأسنّة، ورمي الأحجار، ورشق النبال، ووطء الخيل، وعسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء ما هو أعظم من ذلك.

تأسّت بك أنبياء الله لكن لم يبلغوا شأوك، ولا أُصيبوا بما أُصبت، وهل مُني أحد من العالمين بما منيت به؟ فررت بدمك من حرم جدّك ﷺ إلى حرم الله عزّوجلّ حيث يأمن الوحش والطير، فلم تأمن فيه على نفسك، ففررت منهم لمّا خفتهم بعيالك وأطفالك وأهل بيتك، فلاقيت من أعداء الله ما رفع الله به قدرك، وعظّم به أمرك.

ولقد يعزّ على جدّك رسول الله ﷺ أن يراك بين ثلاثين ألفاً لا ناصر لك ولا معين، وأبناؤك وإخوتك وأهل بيتك والخيرة من شيعتك مجزّرين كالأضاحيّ نصب عينيك، ورضيعك يذبح وهو على يديك، وحرمك نوائح ونوادب من خلفك ينادين: وا غربتاه، وا ضيعتاه.

وبالعزيز على فاطمة الزهراء أن تراك يا عزيزها بين جموعهم وقد ضعفت عن القتال، ونزف دمك من كثرة الجراح، وحال العطش بينك وبين السماء كالدخان، وأنت تنادي: «أما من ناصر فينصرنا؟ أما من مغيث فيغيثنا؟»[١].

وليت رسول الله رآهم وقد افترقوا عليك أربعة فرق: فرقة بالسيوف، وفرقة بالرماح، وفرقة بالسهام، وفرقة بالحجارة، حتّى ذبحوك عطشاناً من القفا، وأنت تستغيث فلا تغاث.

ثمّ هجموا على ودائع النبوّة فسلبوهنّ ونهبوا خيامهنّ، وأشعلوا فيها النار

١. راجع: مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٦ ـ ٣٧؛ مثير الأحزان: ٧٠؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٨.

فخرجن حافيات حاسرات معولات مسلّبات ينادين: وا محمّداه، وا عليّاه.

وما اكتفوا بذلك حتّى أجالوا الخيل على جسدك الطاهر، ورفعوا رأسك على رمح طويل، وساقوا نساءك وهنّ عقائل الوحي سبايا كأنّهنّ من كوافر الديلم، حتّى أدخلوهنّ تارةً على ابن مرجانة، وأُخرى على ابن آكلة الأكباد.

وأعظم ما يشجي الغيور دخولها على مجلسٍ ما بارح اللهو والخمرا

يعارضها فيه الدعيّ مسبّةً ويصرف عنها وجهه معرضاً كبرا

المجلس الخامس والأربعون

ومن كلام له عليه السلام:

«الدنيا دارٌ مُنِيَ لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء، وهي حُلوَةٌ خضراء، وقد عَجِلت للطالب، والتبست [بقلب الناظر]، فارتحلوا منها بأحسن ما بحضرتِكم مـن الزاد، ولا تسألوا فيها فوقَ الكفاف، ولا تطلُبو منها أكثر من البلاغ»[1].

هذا الكلام كان من عليّ عليه السلام وفق فعله، فإنّه ما شبع من طعام قطّ، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً.

قال عبيدالله بن أبي رافع: دخلت عليه يوم عيد فقدّم إليه جراب مختوم، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً فأكل منه، فقلت: يا أمير المؤمنين، كيف تختمه؟ قال: «خفت هذين الولدين أن يليناه بسمن أو زيت».

وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارةً، وبليف أُخرى، ونعلاه من ليـف، وكـان يـلبس الكرابيس، فإذا وجد كمّه طويلاً قطعه، وكان يأتـدم بـخلّ أو مـلح، فـإن تـرقّى فببعض نبات الأرض، فإن ارتفع فبقليل مـن ألبـان الإبـل، ولا يأكـل اللـحم إلّا قليلاً، وقد طلّق الدنيا ثلاثاً، وكانت الأموال تجبى إليه من جـميع بـلاد الإسـلام

---

١. نهج البلاغة: ٨٣ ـ ٨٤، الخطبة ٤٥.

إلّا من الشام، فيفرّقها ثمّ يقول:

«هذا جنايَ وخـياره فـيهْ إذ كلّ جانٍ يده إلى فيهْ»[١]

ورآه عديّ بن حاتم وبين يديه ماء قراح، وكسيرات من خبز الشعير فـقال: لا أرى لك يا أمير المؤمنين أن تظلّ نهارك صائماً مجاهداً، وبالليل ساهراً مكابداً ثمّ يكون هذا فطورك؟ فقال عليه السلام:

«عـلّل النـفس بـالقليل[٢] وإلّا طلبت منك فوق ما يكفيها»[٣]

ولم يزل هذا دأبه، وهذه سجيّته، حتّى ضربه أشقى الآخرين على رأسـه فـي مسجد الكوفة صبيحة ليلة الأربعاء لتسعة عشر مضين من شهر رمضان المبارك[٤]، وهو ساجد لله في محرابه، فبلغ السيف موضع السجود من رأسـه. فـقال: «بسم الله وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملّة رسـول الله، فـزتُ وربّ الكـعبة، لا يـفوتنّكم ابن ملجم»[٥].

واصطفقت أبواب الجامع، وهبّت ريح سوداء مظلمة، ونـادى جـبرائـيل بـين السماء والأرض:

«تهدّمت والله أركان الهدى، وانطمست والله أعلام التقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قتل ابن عمّ المصطفى، قتل الإمام المجتبى، قتل عليّ المرتضى. وجـعل الدم يجري على وجهه، فيخضب به لحيته الشريفة»[٦].

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٦.

٢. في المصدر: «بالقنوع» بدل «بالقليل».

٣. مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٤؛ بحار الأنوار ٤٠: ٣٢٥، تاريخ أمير المـؤمنين عليه السلام، البـاب ٩٨، ح ٧؛ مسـتدرك الوسائل ٧: ٣٦٥، الباب ٩ من أبواب أداب الصائم، ح ٣.

٤. راجع: تاريخ اليعقوبي ٢: ١١٩؛ تاريخ الطبري ٥: ١٤٣، حوادث سنة ٤٠؛ مروج الذهب ٢: ٤٢٦.

٥. بحار الأنوار ٤٢: ٢٨١، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، الباب ١٢٧، ذيل الحديث ٧٨.

٦. بحار الأنوار ٤٢: ٢٨٢، ٢٨٥، و٢٨٦، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، الباب ١٢٧، ذيل الحديث ٧٨.

واقتدى به ولده أبوعبدالله عليه السلام حيث رماه سنان ـ لعنه الله ـ بسهم فوقع في نحره فسقط عن جواده، وقرن كفّيه جميعاً فكلّما امتلأتا خضّب بهما رأسه ولحيته وهو يقول: «هكذا ألقى الله وأنا مخضّب بدمي، مغصوب حقّي»[1].

وخرجت زينب عليها السلام حينئذٍ من فسطاطها تنادي: وا أخاه، وا سيّداه، وا أهل بيتاه، ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل[2].

وقال هلال بن نافع: وقفت على الحسين عليه السلام وإنّه ليجود بنفسه، فوالله ما رأيت قتيلاً مضمّخاً بدمائه أحسن منه وجهاً، ولا أنور منه، ولقد شغلني نور وجهه، وجمال هيئته عن الفكرة في قتله[3].

ومجرّح ما غيّرت منه القنا حسناً ولا غيّرن منه جديدا
قد كان بدراً فاغتدى شمس الضحى مذ ألبسته يد الدماء لبودا

١. الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٦.
٢. المصدر: ١٧٥.
٣. المصدر: ١٧٧.

المجلس السادس والأربعون

ومن كلام له عليه السلام بعد تلاوته ﴿أَلْهَاكُمُ التَكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾[1]:

«يا له مراماً ما أبعدَه، وزَوراً ما أغفله، وخطراً ما أفظعَهُ! لقد استخلَوا منهم أيَّ مُدّكرٍ، وتناوشوهم من مكان بعيد! أفبمصارعِ آبائهم يَفخَرون، أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟ يرتجعون منهم أجساداً خَوَت، وحركات سكنت، ولأن يكونوا عِبَراً أحقُّ من أن يكونوا مفتَخراً، ولأن يهبطوا بهم جناب ذِلّة أحجى من أن يقوموا بهم مكان[2] عِزّة، لقد نظروا إليهم بأبصار العَشوة، وضربوا منهم في غَمرة جهالة، ولو استنطقوا عنهم عرصاتِ تلك الديار الخاوية والربوع الخالية، لقالت: ذهبوا في الأرض ضُلّالاً، وذهبتم في أعقابهم جُهّالاً تطَؤون في هامهم، وتستنبتون في أجسامهم[3]، وترتعون فيما لفظوا، وتسكنون فيما خرَّبوا، وإنّما الأيّام بينكم وبينهم بَواكٍ ونوائح عليكم.

أُولئكم سلفُ غايتكم، وفُرّاط مناهِلِكم، الذين كانت لهم مَقاوِم العِزّ، وحلبات الفخر، ملوكاً وَسوقاً، سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً، سُلّطت الأرض عليهم فيه،

---

١. التكاثر (١٠٢): ١ـ٢.

٢. في المصدر: «مقام» بدل «مكان».

٣. في المصدر: «أجسادهم» بدل «أجسامهم».

فأكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم جَماداً لا يَنمون، وضِماراً لا يوجدون... .

ولئن بليت[1] آثارهم، وانقطعت أخبارهم، لقد رجعت فيهم أبصار العِبر، وسمعت عنهم آذان العقول، وتكلّموا من غير جهات النُطق، فقالوا: كلحت الوجوه النواضِر، وخَوَت الأجسام النواعم، ولبسنا أهدام البِلى، وتكاءدنا ضيق المضجع، وتوارثنا الوحشة، وتهكّمت علينا الربوع الصُموت، فانمحت محاسن أجسادِنا، وتنكّرت معارف صورنا، وطالت في مساكن الوحشة إقامتُنا، ولم نجد من كرب فرجاً، ولا من ضيق مخرجاً[2]»[3].

وتالله لا يفرج الكرب، ولا يؤنس الوحشة إلّا شفاعة رسول الله ﷺ وأوصيائه عليهم السلام، وبالله لترونَّ أمير المؤمنين عليه السلام واقفاً على شفير قبوركم يعلّمكم جواب منكر ونكير، وليبدّلنّ الله وحشتكم بواسطته أُنساً، وخوفكم برؤيته أمناً، وليدخلنّ عليكم السرور في أجداثكم، ولتقومنّ يوم القيامة سيّدة نساء العالمين عليها السلام مقاماً تغبطون عليه وتدخلون به الجنّة... فحقيق علينا أن نشاركها في مصيبتها التي أرزأت جبرائيل، ونُواسيها في رزيّتها التي عظمت على الربّ الجليل.

فيا ليت لفاطمة وأبيها عيناً تنظر إلى بناتها وبنيها، وهم ما بين مسلوبٍ وجريح، ومأسور وذبيح، وبنات الوحي والنبوّة يطاف بهنّ من بلد إلى بلد حتّى وردوا بهنّ الشام، فلمّا قربوا من دمشق دنت أُمّ كلثوم من شمر ـ لعنه الله ـ فقالت له: لي إليك حاجة.

قال: ما حاجتكِ؟

---

١. في المصدر: «عميت» بدل «بليت».

٢. في المصدر: «متّسعاً» بدل «مخرجاً».

٣. نهج البلاغة: ٤٥٧ ـ ٤٦٢، الكلام ٢٢١.

قالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل نُظّاره، وتقدّم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحونا عنها، ونحن في هذه الحال.

فأمر اللعين في جواب سؤالها: أن تجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل بغياً منه وكفراً، ثمّ سلك بهم الطرق العامّة على تلك الصفة حتّى أتى بهم باب دمشق، فأوقفوهم على درج باب المسجد، حيث يقام السبي، وطافوا برأس الحسين عليه السلام سكك دمشق وشوارعها.

جاؤوا برأسك يابن بنت محمّد ... متزمّلاً بدمائه تزميلا

قتلوك عطشاناً ولمّا يرقبوا ... في قتلك التأويل والتنزيلا

ويكبّرون بأن قتلت وإنّما ... قتلوا بك التكبير والتهليلا[1]

١. مناقب آل أبي طالب ٤: ١٢٧؛ روضة الواعظين ١: ٤٤١ ـ ٤٤٢، ذيل الحديث ٤٢٨؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٠ ـ ٢١١؛ عوالم العلوم والمعارف والأحوال ١٧: ٤٢٩.

المجلس السابع والأربعون

ومن خطبة له عليه السلام:

«ألستم في مساكن من كان قَبلكم أطول أعماراً، وأبقى آثاراً، وأبعد آمالاً، وأعدَّ عديداً، وأكثفَ جُنوداً، تعبّدوا للدنيا أيَّ تعبُّد، وآثروها أيَّ إيثارٍ، ثمّ ظعنوا عنها بغير زاد مُبلّغٍ، ولا ظهرٍ قاطع، فهل بلغكم أنّ الدنيا قد سخت لهم نفساً بفديةٍ، أو أعانتهم بمعونةٍ، أو أحسنت لهم صحبةً، بل أرهقتهم بالقوادح، وأوهقتهم بالقوارع، وضعضعتهم بالنوائب، وعفّرتهم للمناخِر، ووطأتهم بالمناسم، وأعانت عليهم ﴿رَيب المنون﴾[1] ...، أفهذه تؤثرون؟ أم إليها تطمئنّون؟ أم عليها تحرصون؟ فبئست الدارُ لمن لم يتّهمها، ولم يكن فيها على وَجَل منها، فاعلموا وأنتم تعلمون بأنّكم تاركوها، وظاعنون عنها، واتّعظوا فيها بالذين قالوا ﴿مَن أشدَّ مِنَّا قُوّةً﴾[2] حملوا إلى قبورهم فلا يُدعون ركباناً، وأُنزلوا فيها[3] فلا يدعون ضيفاناً، وجعل لهم من الصفيح أجنان، ومن التراب أكفان،

---

١. الطور (٥٢): ٣٠.

٢. فصّلت (٤١): ١٥.

٣. في المصدر: «وأُنزلوا الأجداث فلا ...».

ومن الرفات جيران، فهم جيرة لا يجيبون داعياً، ولا يمنعون ضيماً ...، إن جِيدوا لم يفرحوا، وإن قُحطوا لم يقنَطوا ... قد استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضيقاً، وبالأهل غربةً، وبالنور ظلمةً، فَجاؤوها كما فارقوها، حُفاةً عُراة، قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة، والدار الباقية»[١].

حيث لا ينفع الإنسان إلّا ما قدّمه من أعماله الصالحة، وما يرجوه من شفاعة الشافعين.

وإنّ أفضل عمل صالح، وأقوى سبب لنيل الشفاعة لزوم سنّته، واتّباع عترته صلى الله عليه وآله، فإنّهم أحد الثقلين الذين لا يضلّ من تمسّك بهما، ولا يهتدي إلى الله من صدف عنهما، وقد قال صلى الله عليه وآله من خطبة خطبها يوم غدير خمّ(١):

«ألا أيّها الناس إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم الثَقَلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به... وثانيهما أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي».

وزاد الطبراني: «فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»[٢].

---

(١) فيما أخرجه مسلم في باب فضائل عليّ عليه السلام من صحيحه[٣].

---

١. نهج البلاغة: ٢١٤ـ٢١٦، الخطبة ١١١.

٢. المعجم الكبير ٥: ١٦٦ـ١٦٧، ح ٤٩٧١.

٣. صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، كتاب فضائل الصحابة، ح ٣٦.

وكان آخر ما تكلّم به ـ فيما رواه الطبراني عن ابن عمر ـ: «اخلفوني في أهل بيتي»[١].

وفي رواية: «فلا تقتلوهم، ولا تقهروهم، ولا تقصروا عنهم»[٢].

بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، أين موضع القبول منهم بعهدك إلى أخيك، ووصاياك ببضعتك الزهراء وبنيك؟ وقد هدم القوم ما بنيت، وأضلّوا جانباً ممّن هديت، وفعلوا بعترتك ما لا يفعلون بالخوارج، وقابلوهم بما لا يقابلون به أهل الخنا والريب.

أمّا البتول فقد قضت وبقلبها	من فعلهم قبسات وجدٍ مكمنِ
والمرتضى أردوه في محرابه	بيمين أشقى العالمين وألعنِ
وبشربة السمّ النقيع عداوةً	من كفّ جعدة قد قضى الحسن السنيّ
وإليك عنّي لا تقل حدّث بما	لاقى الحسين فرزؤه قد شفّني
حيث المصائب جمّة لا أدرِ ما	منها أقصّ عليك لو كلّفتني

نعم أقصّ عليك مصيبته بأطفاله، فعن أبي الفرج الإصفهاني: أنّه كان في مخيّم الحسين عليه السلام ستّة أطفال وقفوا في باب الخيمة وقد أضرّ بهم العطش، فاتلعوا برقابهم إلى الفرات، يتموّج كأنّه بطون الحيّات، فجاءتهم السهام فذبحتهم عن آخرهم، وكان الحسين قد تناول ولده الرضيع ليودّعه، فلمّا أومأ إليه ليقبّله رماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه، فتلقّى الحسين عليه السلام دم الطفل بكلتا يديه، فلمّا امتلأتا من الدم رمى به نحو السماء ثمّ قال: «هوّن عليّ ما نزل بك أنّه بعين الله»[٣].

---

١. حكاه عنه الهيثمي في بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ٩: ٢٥٧، ح ١٤٩٦١.

٢. حكاه عنه القندوزي في ينابيع المودّة ١: ١١٦، الباب ٤، ح ٤٠.

٣. انظر مقاتل الطالبيّين: ٥٩ ـ ٦٠. راجع أيضاً: الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٨؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٩.

وقيل: إنّ الطفل كان مغمى عليه من شدّة العطش، فلمّا أحسّ بحرارة السهم، رفع يديه من القماط واحتضن أباه...[١]

ولمّا سقط الحسين عليه السلام عن ظهر جواده خرج عبدالله بن الحسن عليه السلام وهو غلام لم يراهق، واشتدّ حتّى وقف إلى جنب عمّه، فلحقته عمّته زينب لتحبسه فأبى وامتنع امتناعاً شديداً وقال: والله لا أُفارق عمّي.

فأهوى بحر بن كعب ـ وقيل: حرملة بن كاهل ـ إلى الحسين بالسيف فاتّقاها الغلام بيده فأطنّها إلى الجلد فإذا هي معلّقة، فنادى الغلام: يا أُمّاه، فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه إلى صدره وقال: «يابن أخي اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين» فرماه حرملة ـ لعنه الله ـ بسهم فذبحه وهو في حجر عمّه[٢].

هبوا أنّكم قاتلتموا فقتلتم ... فما بال أطفال تقاسي نبالها

---

١. لم نعثر على قائله.

٢. الإرشاد للمفيد ٢: ١١٠؛ مقاتل الطالبيّين: ٧٧؛ مثير الأحزان: ٧٣ ـ ٧٤؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٣؛ الدرّ النظيم: ٥٥٧ ـ ٥٥٨.

المجلس الثامن والأربعون

ومن خطبة له عليه السلام:

«أمّا بعد، فإنّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوَداعٍ، وإنّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطّلاعٍ، ألا وإنّ اليوم المضمار، وغداً السباق، والسبقة الجنّة، والغاية النار، أفلا تائب من خطيئته قبل منيّته؟ ألا عامل لنفسه قبل يوم بُؤسِهِ؟

ألا وإنّكم في أيّام أمل من ورائه أجلٌ، فمن عمل في أيّام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله، ولم يضرّه أجله.

ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة.

ألا وإنّي لا أرى كالجنّة نام طالِبُها، ولا كالنار نامَ هاربها.

ألا وإنّكم قد أُمرتم بالظعنِ، ودُللتم على الزاد، وإنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: اتّباع الهوى، وطول الأمل، فتزوّدوا في الدنيا ما تجهّزوا به أنفسكم غداً، وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى»[1].

---

١. نهج البلاغة: ٦١ ـ ٦٢، الخطبة ٢٨. فيه: «فتزوّدوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً». ولم يرد فيها كلامه: «وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى».

وسمعه أبوالدرداء يقول في مناجاته في جوف الليل، وهو مستتر ببعيلات بني النجّار:

«إلهي أُفكّر في عفوك فتهون عليَّ خطيئتي، ثمّ أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليَّ بليّتي.

آهٍ آه، إن أنا قرأت في الصحف سيّئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته.

آه آه، من نار تنضج الأكباد والكلى. آه آه، من نار نزّاعة للشوى. آه آه، من غمرة من لهبات لظى».

قال أبوالدرداء: ثمّ انغمس في البكاء فلم أسمع له حسّاً ولا حركة، فأتيته فإذا هو كالخشبة اليابسة، فحرّكته فلم يتحرّك، وزويته فلم ينزوِ، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، مات والله عليّ بن أبي طالب، فأتيت أهله أنعاه إليهم.

فقالت فاطمة ـ سلام الله عليها ـ: «هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله تعالى» ثمّ أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق، فرآني أبكي فقال: «ممَّ بكاؤك يا أبا الدرداء؟».

فقلت: ممّا تنزله بنفسك.

قال: «كيف بك لو رأيتني وقد دعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ شداد، ووقفت بين يدي من لا تخفى عليه خافية»[1].

وكان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أعبدَ الناس، وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلّم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد، وقيام النافلة، وكانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده.

---

١. تنبيه الخواطر ٢: ١٥٦ـ١٥٧.

وما ظنّك بمن يبلغ من محافظته على وِرده، أن يبسط له نِطعٌ بين الصفّين ليلة الهرير، فيصلّي عليه السلام ورده والسهام تقع بين يديه، وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع، ولا يقوم حتّى يفرغ من ورده وصلاته[1].

وقد نسج على منواله في ذلك شبله باب الرحمة، وأبوالأئمّة يوم عاشوراء وقد اجتمع عليه ثلاثون ألفاً، وافترقوا عليه أربع فرق: فرقة بالسيوف، وفرقة بالرماح، وفرقة بالسهام، وفرقة بالحجارة، فبينا هو في هذه الحالة إذ حضرت صلاة الظهر، فأمر ـ صلوات الله عليه ـ زهير بن القين، وسعيد بن عبدالله الحنفي أن يتقدّما أمامه مع نصف من تخلّف معه، ثمّ صلّى بهم صلاة الخوف، وتقدّم سعيد بن عبدالله فوقف يقيه السهام بنفسه، ما زال وما تخطّى حتّى سقط إلى الأرض وهو يقول: اللهمّ العنهم لعن عادٍ وثمود. اللهمّ أبلغ نبيّك عنّي السلام، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإنّي أردت ثوابك في نصرة ابن بنت نبيّك:

ثمّ قضى نحبه رضوان الله عليه[2].

وفي رواية: أنّه لمّا سقط قال: يا سيّدي يابن رسول الله هل وفيت؟

فاستعبر الحسين باكياً وقال: «نعم، رحمك الله، وأنت أمامي في الجنّة»[3].

رجالٌ تواصوا حيث طابت أُصولهم وأنفسهم بالصبر حتّى قضوا صبرا
حماة حموا خدراً أبى الله هتكه فعظّمه شأناً وشرّفه قدرا
فأصبح نهباً للمغاوير بعدهم ومنه بنات المصطفى أُبرزت حسرى

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٧.

٢. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٢١؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٥.

٣. نسب هذا ابن طاووس إلى عمرو بن قرظة الأنصاري. راجع الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٢.

المجلس التاسع والأربعون

ومن خطبة له عليه السلام:

«فلو أنّ أحداً يجدُ إلى البقاء سُلَّماً، أو لدفع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داود ـ عليه وعلى نبيّنا وآله السلام ـ الذي سُخّر له ملك الجنّ والإنس، مع النبوّة وعظيم الزُلفة. فلمّا استوفى طُعمَتَه، واستكمل مُدّته، رمته قسيُّ الفَناء بنبالِ الموت، وأصبحت الديارُ منه خاليةً، والمساكن مُعطَّلة، وورثها قوم آخرون. وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة.

أين العمالقة وأبناء العمالقة؟ أين الفراعنة وأبناء الفراعنة؟ أين أصحاب مدائن الرسِّ الذين قتلوا النبيّين، وأطفؤوا سنن المرسلين، وأحيوا سنن الجبّارين؟

أين الذين ساروا بالجيوش، وهزموا بالأُلوف، وعسكروا العساكر، ومدَّنوا المدائن؟»[1].

أين بنو أُميّة الذين فعلوا الأفاعيل، ونهضوا بالأباطيل، وشيّدوا قواعد الظلم والعدوان، وعلوا على أساس أهل الكفر والطغيان؟ فعاثوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، فساموا عباد الله سوء العذاب، يذبّحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، حتّى

---

١. نهج البلاغة: ٣٥٢، الخطبة ١٨٢.

هتكوا المدينة المنوّرة، وفضحوا نساءها، وقتلوا رجالها، ونصبوا على مكّة العرّادات والمجانيق، وفرضوا على عسكرهم عشرة آلاف صخرة يرمونها كلّ يوم، حتّى هدموا الكعبة المشرّفة تارةً، وأحرقوها أُخرى، ولمّا بناها المسلمون بعد ذلك، كان بنو أُميّة يشربون الخمور على سطحها، وقد مزّقوا ثقل رسول الله ﷺ كلّ ممزّق.

أمّا الكتاب فرموه بالنبل حتّى مزّقوه. وقال قائلهم يخاطبه:

تهدّدني بجبّارٍ عنيدٍ فها أنا ذاك جبّار عنيدُ
إذا ما جِئت ربّك يوم حشرٍ فقل: يا ربّ مزّقني الوليدُ[١]

وأمّا العترة الطاهرة فقد شتّتوهم في كلّ ناد، وطافوا برؤوسهم ونسائهم على رؤوس الأشهاد، حتّى أوقفوهم بين يدي عبيدالله بن زياد لعنه الله، فجلست حوراء النساء زينب عليها السلام متنكّرة، وحفّ بها إماؤها، فسأل عنها، فقيل: هذه زينب بنت عليّ عليه السلام.

فأقبل عليها وقال: الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أُحدوثتكم.

فقالت زينب: إنّما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

فقال: كيف رأيتِ صنع الله بأخيكِ وأهل بيتكِ؟

فقالت: ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ هبلتك أُمّك يابن مرجانة.

فغضب اللعين وهمّ أن يضربها، فقال له عمرو بن حريث: إنّها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها.

---

١. الطرائف: ١٦٧؛ بحار الأنوار ٣٨: ١٩٣، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، الباب ٦٣، ذيل الحديث ٢؛ مناقب أهل البيت للشيرواني: ٤٧٩.

فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك.

فرقّت عند ذكرها لأخيها وأهل بيتها، وقالت: لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاءك فقد اشتفيت.

فقال ـ لعنه الله ـ: هذه سجّاعة، ولعمري لقد كان أبوها شاعراً سجّاعاً.

فقالت: يابن زياد ما للمرأة وللسجع؟[1]

وأعظم ما يشجي الغيور دخولها	إلى مجلسٍ ما بارح اللهو والخمرا
يعارضها فيه الدعيّ مسبّةً	ويصرف عنها وجهه معرضاً كبرا[2]

١. الفتوح لابن أعثم ٥: ٢٢٦ ـ ٢٢٧؛ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٧ ـ ٤٨؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٠١ ـ ٢٠٢؛ مثير الأحزان: ٩٠.

٢. في الطبعة الأُولى: «تمّ بحمد الله وحسن توفيقه ما عثر عليه من كتاب المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة للإمام المجاهد السيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي قدس سره في ١٥ شوّال ١٣٨٦هـ في مطابع النعمان النجف الأشرف».

المجلس الخمسون*

ومن وصيّة له عليه السلام أوصى بها عسكره قبل لقاء العدوّ بصفّين:

«لا تُقاتِلوهم حتّى يَبْدَؤوكم، فإنّكم بحمد الله على حُجّةٍ، وتَرْكُكُمْ إيّاهم حتّى يَبْدَؤُوكُم حجّةٌ أُخرى لكم عليهِمْ. فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً، ولا تُصيبوا مُعْوِراً، ولا تُجْهِزُوا على جريحٍ، ولا تَهِيجوا النساء بأذىً، وإن شَتَمنَ أعراضَكم وسَبَبْن أُمراءكم، فإنّهنّ ضَعيفات القُوى والأنفُسِ والعُقولِ؛ إن كنّا لنُؤمَرُ بالكفّ عنهنّ وإنّهنّ لمُشرِكاتٌ، وإن كان الرجل لَيَتناوَل المرأة في الجاهليّة بالفهر أو الهِرَاوَةِ فيُعَيَّرُ بها وَعَقِبُه مِن بعده»[1].

بأبي أنت وأُمّي يا أمير المؤمنين ليتك شاهدت عقائلك يوم العاشر من المحرّم حين تسابق القوم إلى نهب بيوتهنّ، وتزاحموا على سلبهنّ وضربهنّ، وانتزعوا الملاحف عن ظهورهنّ، فبرزن وهنّ كريمات رسول الله صلّى الله عليه وآله، حاسرات حافيات مدهوشات حائرات في أسر الذلّة ووثاق السبي، تارة فيصرخن: يا جدّاه،

---

*. هذا المجلس وجدناه في المجالس الفاخرة طبعة مؤسّسة العارف للمطبوعات في بيروت. وفي أوّله: «ومن الخطب لأمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه وعلى أبنائه المعصومين ـ نقلتها من تأليفات مولانا الحجّة السيّد سيّد عبد الحسين شرف الدين دام ظلّه من مجالسه المسمّاة بـ«المجالس الفاخرة».

١. نهج البلاغة: ٥٠٩، الكتاب ١٤.

يا رسول الله، ومرّة ينادينك مستغيثات بك: يا أبتاه، يا عليّاه، وطوراً يلذن بأبي عبدالله وهو جثّة بلا رأس، ومرّة يلتجئن إلى عمر بن سعد ويستعطفن غيره من أعدائكم، فما نظر والله إليهنّ أحد بعطفه، ولا راعوا لهنّ حرمة بلا، هجموا يا أميرالمؤمنين عليهنّ وقائدهم عمر بن سعد لابساً درع الحسين، ومعه الأخنس بن مرثد لابساً عمامته، ويسلبونهنّ تارة، ويضربونهنّ أُخرى، وهنّ يلوذ بعضهنّ ببعض[1].

ثمّ أضرموا النار في خيامهنّ ففررن في البيداء، فما انتصروا لله يا مولاي لهنّ إلّا امرأة من بكر بن وائل كانت مع زوجها في عسكر ابن سعد، فإنّها أخذت سيفاً وأقبلت نحوهنّ وهي تنادي: يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله؟ لا حكم إلّا لله، يا لثارات رسول الله، فأخذها زوجها وردّها إلى رحله[2].

ثمّ ساقوهم سوق العبيد والإماء، ومرّوا بهم على مصارع الشهداء، فيا حرّ قلبي، ويا لهف نفسي، كيف رؤوا تلك الجثث الطاهرة عارية بالعرى، تجري عليها خيل العدى.

يا غيرة الله غار الصبر فانهتكي	هتك النساء لما في كربلا كانا
هبي الرجال بما تأتي به قتلت	وإن يكن قتلت ظلماً وعدوانا
ما بال أطفالها صرعى ونسوتها	أسرى يجاب بها سهلاً وأحزانا
تهدى وهنّ كريمات النبيّ إلى	من كان أعظمها لله كفرانا
والمسلمون بمرأى لا ترى أحداً	لله أو لرسول الله غضبانا[3]

---

١. للمزيد راجع: الإرشاد للمفيد ٢: ١١٢؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٨ ـ ١٧٩.

٢. راجع: مثير الأحزان: ٧٧؛ الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠؛ بحار الأنوار ٤٥: ٥٨، تاريخ الحسين بن عليّ سيّد الشهداء عليه السلام، الباب ٣٧.

٣. هذا ما عثرنا عليه من كتاب المجالس الفاخرة، والحمد لله كما هو أهله ومستحقّه.

فهرس الموضوعات

(١٠) الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام

(١١) المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة